خَيرُ البَشَرِ بخَيرِ البَشَرِ ﷺ

تأليف

محمد بن عبد الله بن محمد
ابن ظفر الصقلي المكي الحموي

المتوفى ٥٦٥ هـ

قدم له واعتنى به وشرحه

الشيخ علي أحمد عبد العال آل ناصر
عميد معهد علوم القرآن والحديث

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

خير البشر بخير البشر ﷺ

تأليف

محمد بن عبد الله بن محمد
ابن ظفر الصقلي المكي الحموي
المتوفى ٥٦٥ هـ

قدم له واعتنى به وشرحه

علي أحمد عبد العال آل ناصر
عميد معهد علوم القرآن والحديث

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com [illegible] [illegible] [illegible]

Title	: **HAYR AL-BIŠAR BIHAYR AL-BAŠAR** ﷺ (**The glad tidings of the Prophet Mohammed**)	**الكتاب**	: **خير البشر بخير البشر** ﷺ
Classification:	Prophetic praises	**التصنيف**	: مدائح نبوية
Author	: Ibn Ẓafar al-Ṣiqilli al-Ḥamawi	**المؤلف**	: ابن ظفر الصقلي المكي الحموي
Editor	: Al-šayḫ ʿAli Aḥmad ʿAbdul-ʿĀl Āl-Nāṣir	**المحقق**	: الشيخ علي أحمد عبد العال آل ناصر
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	**الناشر**	: دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages	: 224	**عدد الصفحات**	: 224
Size	: 17*24	**قياس الصفحات**	: 17*24
Year	: 2010	**سنة الطباعة**	: 2010
Printed in	: Lebanon	**بلد الطباعة**	: لبنـــان
Edition	: 1st	**الطبعة**	: الأولى

ISBN 2-7451-5257-2

9 782745 152572 90000

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾، [الأحزاب : ٧٠-٧١].

أما بعد:

إخواني في الله تعالى: ما الذي تعرفونه عن حبيبنا محمد ﷺ؟ هو بشر؛ لقول الله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ [الكهف: ١١٠]، ولقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة : ١٢٨].

أما من ناحية الأفضلية والشأن العظيم فهو أفضل الخلق، بل هو الرحمة المهداه للعالمين، بما فيهم الملائكة والإنس والجان؛ لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

معتقدات باطلة حول النبي ﷺ

محمد ﷺ بشر وليس من نور الله؛ يقولون: إن محمدًا خلق من نور الله، ويعرفونه في كتبهم أنه : نور انبثق وفاض من الله.

ونرد عليهم فنقول : إن زعمهم أن محمدًا (نور انبثق من الله) يعوزه دليل من الكتاب والسنة يؤيد هذا الاعتقاد الموروث من اليهود والنصارى ؟ لقد أمر الله رسوله أن يخبرنا أنه بشر مثلنا لكي لا نعتقد أنه نور كما ندعي فقال الله تعالى : ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**﴾ [الكهف : ١١٠]، ويقول له : ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾ [الأنبياء : ٣٤] ن ويقول الله تعالى على لسان المشركين الأولين : ﴿**ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون**﴾ [المؤمنون : ٣٤].

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**كلكم لآدم، وآدم من تراب**».

كل هذه الآيات والأحاديث الواضحة تدل على أن محمدًا من أولاد آدم المخلوق من تراب، وأنه بشر من ظهر وبطن كما يشهد هو في حديثه : «**إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**». وأنه مرت به جميع أطوار الطفولة كما تمر بكل طفل، وإنه كان يأكل طعام البشر ويشرب شرابهم، كما قال عنه مشركو الجاهلية الأولى : ﴿**ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**﴾ [المؤمنون : ٣٣]. وكذلك يقظته، ونومه، ولبسه، وكل ما فيه من مظاهر البشرية، مثلنا ولكنهم مع ذلك يكذبون هذه الآيات الواضحات، ويصرون في عناد على موقفهم المخالف لما صرح به كتاب الله وبينته سنة رسوله ﷺ . ويقولون : خلق من نور الله.

آدم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام خلقوا من تراب

ومن العجب أننا نخالف النصارى في اعتقادهم الباطل بأن عيسى (ابن الله) إذ نؤمن بأن الله ليس له ولد كما قال الله تعالى : ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾ سورة الصمد.

ونؤمن أيضًا أن عيسى عليه السلام خلق من تراب بدليل قوله تعالى : ﴿**إن مثل**

عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تُراب ثم قال له كن فيكون﴾[آل عمران: ٥٩].

العجيب أننا نؤمن بها، ونخالف النصارى فيما يعتقدون. ثم نعتقد بأن محمدًا (خلق من نور)، وأنه (نور انبثق وفاض من الله) علمًا بأن المخلوق من نور الله هو جزء من الله، فكيف ننكر على النصارى عقيدتهم هذه بينما نعتنق نحن العقيدة نفسها ونرضاها لأنفسنا؟!

عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام

وعقيدة النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام، هي (عقيدة التثليث) التي تقرر أن الإله مركب من ثلاثة أصول هي (الأب والابن والروح القدس) ومعتنقو هذه العقيدة يعرفونها هكذا (الله الأب. والله الابن. والله الروح القدس) وحجتهم في هذه العقيدة هي : أنه ما دام عيسى لم يولد من أب وأم كما يولد سائر البشر، وما دام الله قد ألقى كلمته إلى مريم بدليل قوله تعالى : ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ...﴾ الآية [النساء : ١٧١]، ما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون عيسى هو ابن الله! ويصبح كل منهما هو الآخر عينهُ. لأن الابن جزء من الأب.. وقد شارك المغالون في محمد ﷺ طائفة النصارى في هذه العقيدة الباطلة.. غير أن هناك اختلافًا بسيطًا في طريقة إعلان العقيدة.

فالنصارى تقول عن عيسى : إنه (ابن الله) أما المسلمون فيقولون عن محمد : إنه (نور انبثق وفاض من الله) فاتفقت العقيدتان في المعنى واختلفتا في التسمية.

محمد ﷺ ليس أول خلق الله

يقولون : إن محمدًا ﷺ هو أول خلق الله. ويظهرون هذا الاعتقاد الباطل في صيغة الصلاة البدعية التي لم ترد في السنة المطهرة. ويسوقون على ذلك - لمن يطالبهم بالدليل - حديثًا اتفق جميع أئمة الحديث على أنه (مكذوب وموضوع). هذا الحديث : «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين وآدم لا ماء ولا

طين».

ونرد عليهم فنقول: إن محمدًا ليس أول خلق الله كما تزعمون. بل إن آدم أبا البشر أولُ خلق الله[١] بشهادة القرآن الذي لا يستطيع أن ينكره إلا كل جاحد مكابر لا يؤمن بالله.

ألا يعجبهم دليلاً أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد خلقه بقوله تعالى : **﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** [الأعراف : ١١ - ١٢]، وقال تعالى : **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾** [البقرة : ٣٤]، وقال تعالى : **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾** [ص:٧٥]. ألا يقنعهم أن الرسول ﷺ يقول : «**كلكم لآدم وآدم من تراب**».

كل هذه آيات وأحاديث تدل على أن آدم أبا البشر أول خلق الله تعالى[٢]. ومع ذلك فهم يصرون في عناد على: أن محمدًا ﷺ هو أول خلق الله. ويجهرون بهذا في الصلاة على النبي ﷺ، فمتى يؤمنون ؟! وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟!.

الكون ليس مخلوقًا من أجل محمد ﷺ

يقولون : إن هذا الكون خلق من أجل محمد ﷺ ووجد إكرامًا له. ويرددون كلامًا مخترعًا يقولون فيه : لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك.

ونرد عليهم فنقول : لقد خلق هذا الكون بما فيه من (إنس وجن) لأجل غاية واحدة، ألا وهي : عبادة الله وحده دون شريك له سبحانه ودون اتخاذ مثيل له. وقد صرح القرآن بهذا في أوضح عبارة، وأجلى بيان، إذ يقول تعالى :

---

(١) أي : من البشر، وإلا فقد سبقه خلق السموات والأرض ومن فيهن.

(٢) أي : من البشر، وإلا فقد سبقه خلق السموات والأرض ومن فيهن.

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ [الذاريات : ٥٦، ٥٧]، ويقول سبحانه عن غير الإنس الجن من الموجودات ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤].

نعم.. خلق الله الإنس والجن وكل دابة في الأرض لتدين له وحده بالولاء والطاعة والذل. ورغبة منه سبحانه وتعالى في إظهار عظيم قدرته، وكمال صنعه، وجميل إبداعه. فإن من يقلب نظره في هذا الكون ليشاهد ما فيه ومن فيه، يدرك حقًا قدرة الله التي لا تدانيها قدرة. وعظمته التي لا تحاكيها عظمة وإبداعه الذي لا يماثله إبداع. ومن هذا يبدو سر خلق الله لهذا الكون البديع النظام المحكم الثابت.

ولا ندري والله كيف يزعمون أن الكون مخلوق من أجل محمد ؟ لماذا خلق الكون من أجله ؟! وما السر في هذا ؟.

إن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو بشر ممن خلق الله، وسبقه كثير من إخوانه الرسل أولى العزم، عليهم جميعًا صلوات الله وتسليماته.

وقد أمرنا الله أن لا نفرق بين أحد من رسله كما قال تعالى : ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ [البقرة : ٢٨٥].

لا ندري لماذا يفترون على الله هذا الكذب وهم يقرأون آيات الله التي تنطق بعكس ما يزعمون ؟!. إن محمدًا لو بعث اليوم من مرقده لتبرأ مما يزعمون.

منزلة الرسول ﷺ في الأمة

أما رسولنا محمد ﷺ : فإننا نبين هنا منزلته وشأنه في الأمة. إن الرسول ﷺ يتساوى مع كل البشر في البشرية، فهو مخلوق من تراب مثلنا. وهو بشر من يوم أن ولد إلى يوم مماته. الرسول بشر مثلنا بشهادة القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ [الكهف: ١١٠]، ولكنه مفضل عن جميع البشر..

فلمَ هذا التفضيل؟ لأنه رسول الله، ولأنه أفضل الرسل وخاتمهم.. ولأنه سيد البشر على الإطلاق، وهذا مذكور في القرآن الكريم وفي نفس الآية: ﴿.. **يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**﴾ [الكهف : ١١٠]، وهذا هو سر التفضيل.

الرسول ﷺ بشر مثلنا

إن الرسول بشر مثلنا ولكن بشريته أكمل طراز في البشرية كلها في كل خصائصها ومزاياها. فروحه أطهر الأرواح، ونفسه أزكي النفوس. وفطرته أسلم الفطر. وعقله أكبر العقول. وفطنته أنبه الفطن، وتفكيره أوسع من كل تفكير، ورجولته أكمل رجولة، وشجاعته أقوى شجاعة، وقوته أقوى قوة، وقلبه أبر القلوب وأرحمها.. لا يستطيع أحد أن ينكر هذا أبدًا. ولكن هذه المزايا والخصائص التي يسمو بها الرسول عنّا لا ينبغي أن تدفعنا إلى الغلو في حبه أكثر من القدر الذي أمرنا به ؛ لأن الإفراط في حبه والغلو فيه يوصلنا حتمًا إلى درجة تقديسه وتأليهه. وهذا ما يبغضه الله لأنه الشرك به ﷺ، وحتى لا يتسرب الشرك إلينا عن طريق تقديس الرسول والغلو في محبته، قال ﷺ محذرًا : «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا : عبد الله ورسوله**».

عزيزي القارئ قرأت لك كتاب : «**خير البِشَر بخير البَشَر**»، للعلامة ابن ظفر الحموي - رحمه الله تعالى- وهو كتاب شيق، وبه مادة علمية ممتازة، ترد على الذين يقولون: إن النبي ﷺ أول خلق الله تعالى، وإنه خلق من النور.

وإنني أريد أن أسألك أيها القارئ الكريم بالله عليك، هل أنت أكبر أم أبوك؟ ما هو ردك على هذا السؤال؟

لو قلت لي: أنك أكبر من أبيك، أقول لك: اذهب فعالج عقلك فورًا.

من أجل ذلك، استعنت بالله تعالى وشرحت هذا الكتاب ونقحته وجعلت له زيادات، وأسميته : «**خير البِشَر بخير البَشَر**»، والبِشَر: يعني البشرى، والبَشَر: أي أن النبي ﷺ بشر مثلنا، بل هو خير البشر، وجعلته أربعة فصول:

الفصل الأول: ويشمل تمهيدًا يشتمل على أدلة من العقل والمنطق والقرآن على أن النبي ﷺ من ذرية آدم عليه السلام.

الفصل الثاني: وهو يتحدث عن آدم أبي البشر عليه السلام.

الفصل الثالث: وهو يبين أن نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

الفصل الرابع: وهو يشتمل على كتاب ابن ظفر الحموي.

اقرأ جيدًا بتدبر ثم قدمه هدية لأهلك وجيرانك لكي تعم الفائدة والله أعلم.

وكتبه

الشيخ / علي أحمد عبد العال آل ناصر

عميد معهد علوم القرآن والحديث

تمهيد

يشتمل على أدلة من العقل والمنطق على أن نبينا ﷺ من ذرية آدم، مع التعريف به ﷺ

شرح معاني أسمائه ﷺ

أما محمد: فهو اسم مفعول من حمَّد فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود فإن محمودًا من الثلاثي المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر، ولهذا والله أعلم سمي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم، وقد أتينا على هذا المعنى بشواهده هناك وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل الأمر بالعكس، وأنه اسمه في التوراة أحمد.

وأما أحمد: فهو اسم على زنة أفعل التفضيل، مشتق أيضًا من الحمد، وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟ فقالت طائفة: هو بمعنى الفاعل، أي حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه، ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول.. والمقصود أن تقدير أحمد على قول الأولين: أحمد الناس لربه، وعلى قول هؤلاء: أحق الناس وأولاهم بأن يحمد فيكون كمحمد في المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هو كثير الخصال التي يحمد عليها، وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر، فالاسمان واقعان على المفعول، وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى، ولو أريد معنى الفاعل لسمي الحماد، أي كثير الحمد، فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمدًا لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد كما سُميت بذلك أمته.

وأيضًا ؛ فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمدًا ﷺ وأحمد وهو الذي يحمده أهل السماء وأهل

الأرض وأهل الدنيا وأهل الآخرة لكثرة خصاله المحمودة التي تفوق عد العادين وإحصاء المحصين، وقد أشبعنا هذا المعنى في كتاب الصلاة والسلام عليه ﷺ وإنما ذكرنا هاهنا كلمات يسيرة اقتضتها حال المسافر وتشتت قلبه وتفرق همته والله المستعان وعليه التكلان.

وأما اسمه المتوكل: ففي (صحيح البخاري) عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ: «محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله». وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشركه فيه غيره.

وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب: فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم، فالماحي: هو الذي محا الله به الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين وصابئة دهرية - لا يعرفون ربًا ولا معادًا - وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة - لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها - فمحا الله سبحانه برسوله ﷺ ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

وأما الحاشر: فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه، فكأنه بعث ليحشر الناس.

والعاقب: الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فإن العاقب هو الآخر فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما المقفي: فكذلك، وهو الذي قفى على آثار من تقدمه فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل، وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال: قفاه يقفوه إذا تأخر عنه، ومنه قافية الرأس وقافية البيت فالمقفي الذي قفى من قبله من الرسل

فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما نبي التوبة: فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله وكان ﷺ أكثر الناس استغفارًا وتوبة حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**».

وكان يقول: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**». وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولاً وأسهل تناولاً وكانت توبة من قبلهم- بسبب ظلمهم - من أصعب الأشياء حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم، وأما هذه الأمة فمن رحمة الله بها أن جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأما نبي الملحمة: فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يجاهدون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما نبي الرحمة: فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما الفاتح: فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجًا، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

وأما الأمين: فهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة: الأمين.

وأما الضحوك القتال: فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه

ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

وأما البشير: فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب والنذير، المنذر لمن عصاه بالعقاب، وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها قوله: ﴿**وأنه لما قام عبد الله يدعوه**﴾ [الجن: ١٩]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿**الذي نزل الفرقان على عبده**﴾ [الفرقان: ١]، وقوله: ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [النجم: ١٠]، وقوله: ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**﴾ [البقرة: ٢٣]، وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**». وسماه الله سراجًا منيرًا وسمى الشمس سراجًا وهاجًا.

والمنير: هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج.

التعريف بالنبي ﷺ

نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

نشأته: ولد ﷺ بمكة المكرمة بدار أبي يوسف، ولدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. ولدته صبيحة يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول عام الفيل، الموافق لأغسطس عام (٥٧٠) ميلادية، ومات والده عبد الله وهو حَمْل في بطن أمه، وكفله جده عبد المطلب، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جارية أبيه، ومات جده فكفله عمه أبو طالب.

زواجه وأولاده

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد الله، ماتا صغيرين، وأربع بنات: وهن فاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن، ولم

يزاول من الأعمال ﷺ في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم، إذ قال ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا ورعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت ؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة». وكذلك التجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في تجارة خديجة فربح لها ربحًا عظيمًا.

وكان ﷺ في هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق وأطيب الشمائل، فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط فلم يأت ولو مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبدًا فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يلعب قمارًا ولا ميسرًا، ولم يستقسم بزلم، ولم يظلم أحدًا في عرض ولا مال ولا دم، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومته مثاليًا في أخلاقه، وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه، هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد في ديارها أبدًا، لقد كان ﷺ أمينًا في سره وفي علنه، أمينًا في قوله وفي عمله، أمينًا في غيبه ومشهده، أمينًا في كل شيء وعلى كل شيء.

وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى منحه ذلك اللقب السامي الرفيع والكريم - لقب الأمين - فإن الله تعالى قد أقسم له في مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم، وهي شهادة - والله - لا تعادلها شهادة أبدًا، إذ قال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرًا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ١-٤].

عناية الله به

لم يكن الكمال الذي عاش عليه محمد رسول الله ﷺ وعرف به قبل نبوته، لم يكن نتيجة أم أو أب، أو أثر تعليم أستاذ أو مرب قط، وإنما كان أثر عناية الله تعالى به، فالله الذي خلقه لأن يكون واسطة بينه وبين عباده، ليبلغهم شرعه ودينه هو الذي حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، إعدادًا له لحمل رسالته إلى خلقه، وحمل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالاً نفسيًا يكون صاحبه فيه مثلاً أعلى لغيره من سائر الناس، وكذلك كان رسول الله ﷺ، ولنستشهد على عناية الله للرسول ﷺ، وحمايته تعالى له منذ ولادته بشاهدين

اثنين وهما:

١ - ما روى البيهقي عن محمد بن إسحاق عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله ﷻ فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى. قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، فسمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير فقلت: ما هذا ؟ قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ماذا فعلت ؟ فقلت: ما فعلت شيئًا، ثم أخبرته بالذي رأيت - وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذي حصل في الأولى - ثم قال: فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله ﷻ بنبوته».

٢ - ما روى البخاري ومسلم: أن النبي ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة - لما أرادوا تجديد بنائها - وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة. قال: فحله، فجعله على منكبيه، فسقط مغشيًا عليه، فما رؤي بعد ذلك عريانًا ﷺ.

نبوته وبعثته ﷺ

وعلى رأس الأربعين كما هي سنة الله في الأنبياء نبئ محمد ﷺ إذ جاءه الحق وهو بغار حراء بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل، وهو به فضمه إلى صدره، وأرسله ثلاثًا، وقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. وفي الرابعة: قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم﴾ [العلق: ١-٣].

فذهب بها ﷺ إلى خديجة زوجه الكريمة ترجف بوادره، وهو خائف على نفسه، وهي تقول له: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق،

وانطلقت به رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عمها، وكان أمرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمي، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال النبي ﷺ: «**أومخرجي هم؟**». قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

وبعد فترة فتر فيها الوحي تبدى له جبريل في صورته الملائكية، وقد سد الأفق وله ستمائة جناح، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما أوحى، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿**يا أيها المدثر * قمْ فأنذرْ * وربَّك فكبرْ * وثيابَك فطهِّر* والرجزَ فاهجرْ**﴾ [المدثر: ١-٥]، فأرسل بها ﷺ.

بدء الدعوة

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه ولقائه وتوحيده تعالى في عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفًا من الأذى، وأنواعًا من الاضطهاد، مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية، كما حوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم، حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعًا أكلوا معه ورق الشجر.

وفي هذه الأثناء توفيت أم المؤمنين خديجة زوجه المفضلة رضي الله عنها، كما توفي عمه أبو طالب الذي لم يأل جهدًا يدفع عن رسول الله ﷺ ويحميه من كيد أعدائه له، فكان ذلك العام يدعى (عام الحزن) كما قيل.

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام، وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى

أمته الصلوات الخمس، وفي هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية مع بعض رجالات الأوس والخزرج تنص على: أن يحمي أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم وأموالهم، وأن لهم عند الله تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها فسميت بيعة العقبة الثانية، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن كثر بها الإسلام والمسلمون، وكانت قبل ذلك تسمى (يثرب) فصارت بحلول النبي ﷺ فيها تسمى (المدينة النبوية) والعامة تسميها (المدينة المنورة)، وفيها شرعت كل الأحكام الجنائية والمدنية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الإسلام.

ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل، والحق في ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور السلطان إلى عدل الإسلام كما قال ربعي بن حراش لكسرى ملك الفرس، ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى انتظم الإسلام كامل شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامي أوفر وأقوى ما يكون، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾ [المائدة: ٣].

وقبض رسول الله ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول بعد ما مضى عشر سنوات وشهران وبعض الليالي على هجرته إلى المدينة، والتي كانت مبدأ التاريخ الإسلامي، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خيرًا قط إلا دل أمة الإسلام عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، فصلوات الله عليه إلى يوم أن نسعد برؤيته وشفاعته.

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول الله ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته، فكانت مثل ترجمة قصيرة نقدمها بين يدي بحث دلائل نبوته وعموم رسالته، وتقرير أن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة رهن ذلك، ومتوقفة عليه.

مؤهلاته للنبوة

لقد سبق أن ذكرنا أن مؤهلاته للنبوة: العامل الزمني، والمثالية، وشرف النسب، فلننظر الآن فيما إذا كانت هذه العوامل الثلاثة متوفرة للنبي العربي ﷺ أم لا، ولنبدأ بالعامل الزمني فنقول: لقد أجمع من أرخوا للدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية قبل البعثة المحمدية، أجمعوا على أن فسادًا عامًا قد عم تينك الدولتين العظيمتين فسادًا في الدين، وفسادًا في الأخلاق، وفسادًا في الحكم فسرى ضعف هائل في كل أجهزة تينك الدولتين، وخلايا تينك الأمتين الكبيرتين. هذا في دولة الفرس والروم الحضاريتين، أما في غيرهما فإن الأحوال أسوأ، والأمر أردأ، والظلام في كل جوانب الحياة أحلك، ففي شبه جزيرة العرب أصنام تعبد وخمور تشرب، وبنات توأد، وكهانات حلت محل النبوات، وأعراف قبلية سائدة سيادة الشرائع الإلهية، من له يعطى ويزاد، ومن ليس له يؤخذ منه، وليس حال غيرهم خيرًا من حالهم، فالعالم يومئذ كله يعيش في ظلام دامس من الظلم والشر والفساد، وهي حال تدعو بل تصرخ بذي نبوة إلهية، ورسالة ربانية، يصلح الله به وعلى يديه فساد البلاد والعباد.

وحقًا فقد تطلع الناس إلى صاحب هذه النبوة، وحامل تلك الرسالة، ففي الجزيرة العربية إرهاصات كثيرة، وبين أهل الكتاب تنبؤات أكثر، همسات خفية في كل واد، وممنية بقرب نبوة سماوية.

كل الدلائل تشير إلى أن هذه النبوة ستكون هذه المرة في الأمة العربية، قد يلوح سناها بين جبال فاران (مكة)، وتطلع شمس ضحاها في يثرب ذات النخيل والظل الظليل، إنها مهاجر النبي ﷺ الذي قد أطل زمانه.

وسابق بعض أهل الكتاب الأحداث، فهاجروا إلى الحجاز، ونزلوا يثرب نفسها، وتأكدت التنبؤات عند بعضهم، حتى استفتحوا على العرب جيرانهم بأن النبي المنتظر سيبعث فينا ونقاتلكم معه.

وبالجملة فإن تلك الفترة - وهي السبعون سنة بعد الأربعمائة من ولادة السيد المسيح عليه السلام - كانت فترة إرهاصات كثيرة وتطلعات كبيرة وتنبؤات لا

حد لها، وفي أنحاء شتى من العالم إلى نبوة يتغير بها مجرى التاريخ الإنساني ويوقف بها تيار الفساد العام بين البلاد والعباد، ومن يا ترى يكون المؤهل لهذه النبوة.

إنه كان محمد بن عبد الله، دعوة إبراهيم القائل: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [البقرة: ١٢٩].

وبشارة عيسى القائل: ﴿**يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ [الصف: ٦].

إنه كان محمدًا النبي الأمي الذي نادى قائلاً: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمرحبًا بوفادته على الدنيا، ومرحبًا بقيادته للإنسانية، ومرحبًا به هو الرحمة الإلهية.

ومن العامل الزمني إلى المثالية.

فلنلق نظرة سريعة على المثالية المحمدية التي أهلته بإذن الله لقيادة البشرية، وهيأته لتلقي الوحي من السماء، ليكون رسول الله إلى الناس كافة، فلننظر إليها في الجانب الخلقي الذاتي، ثم في الجانب الخلقي النفساني، وإن أصحاب السير وجميع من كتب في السيرة المحمدية مجمعون على أن محمدًا بن عبد الله النبي الأمي كان أكمل الناس ذاتًا، وأجلهم وجهًا، وأحسنهم قدًا واعتدالاً، ولنترك الرواة الصادقين يصفون لنا الذات المحمدية كما رأوها وعرفوها.

الأحاديث في صفة النبي ﷺ [١]

عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: «**كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن** [٢]**. ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم** [٣] **ولا بالجعد القطط، ولا بالسبط** [٤]**، بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر**

---

(١) من كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) والذي اختصره الألباني رحمه الله.

(٢) البائن : الظاهر.

(٣) الأمهق : الشديد البياض، والآدم : الأسمر.

(٤) الجعد : بفتح وسكون على الأشهر، والقطط بفتحتين : الشعر الذي فيه التواء وانقباض. والسبط : بفتح فكسر : الشعر المسترسل.

سنين [١]، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة [٢] وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء» [٣].

وعنه ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ ربعة [٤]، ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم، وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، أسمر اللون، إذا مشي يتكفأ [٥]» [٦].

عن البراء بن عازب يقول: «كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا، بُعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمة [٧] إلى شحمة أذنيه، عليه حُلة حمراء [٨]، ما رأيت شيئًا قط أحسن منه» [٩].

وعن علي بن أبي طالب قال: «لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شَثْنُ [١٠]، الكفين والقدمين، ضخمُ الرأس، ضخمُ الكراديس [١١]، طويل المسربة [١٢]، إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب [١٣]، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ» [١٤].

---

(١) وفي رواية: أقام بها ثلاث عشرة، فتحمل رواية العشر على أن الراوي حذف الكسر الزائد على العشرة.

(٢) وفي رواية : وهو ابن ثلاث وستين، وهي أشهر وأصح، وتحمل رواية الستين على أن الراوي حذف الزائد على العشرة أيضًا.

(٣) أخرجه البخاري في صفة النبي وفي اللباس ومسلم في الفضائل.

(٤) بفتح الراء وسكون الباء، أي كان متوسطًا بين الطول والقصر.

(٥) قلت : أي يتمايل إلى قدام كالسفينة في جريها، زاد في حديث علي الآتي : "كأنما ينحط من صبب".

(٦) أخرجه البخاري في صفة النبي وفي اللباس ومسلم في الفضائل.

(٧) (رجلاً) : بكسر الجيم وهو وصف للشعر. (بُعيد) : بضم الباء. و(الجمة) : بضم الجيم وتشديد الميم، وهي ما سقط من شعر الرأس ووصل إلى المنكبين. و(اللمة): ما جاوز شحمة الأذن، وهي (الوفرة).

(٨) الحلة : ثوبان، إزار ورداء.

(٩) أخرجه البخاري ومسلم في الفضائل.

(١٠) بفتح الشين وسكون الثاء، أي : غليظ الأصابع والراحة.

(١١) وهي رؤوس العظام.

(١٢) المسربة : بفتح الميم وسكون السين : الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

(١٣) الصبب : ما انحط من الأرض.

(١٤) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح٤).

وعن جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقب». قال شعبة: قلت لسماك: ما «ضليع الفم»؟ قال: عظيم الفم. قلت: ما «أشكل العين؟». قال: طويل شق العين. قلت: ما «منهوس العقب؟». قال: قليل لحم العقب»(١).

وعنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان(٢) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسنُ من القمر»(٣).

عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر»(٤).

عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أبيضَ، كأنما سيغ من فضةٍ، رَجِلَ الشعر»(٥).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عليّ الأنبياء، فإذا موسى ﷺ ضَربٌ من الرجال، كأنه من رجال شنوءة(٦)، ورأيت عيسى ابن مريم ﷺ فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود(٧)، ورأيت إبراهيم ﷺ فإذا أقرب من رأيت به شَبهًا صاحبكم - يعني نفسه -، ورأيت جبريل ﷺ فإذا أقرب من رأيت به شبهًا دحية(٨)»(٩).

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل.

(٢) أي مضيئة مقمرة.

(٣) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح٨).

(٤) أخرجه البخاري في صفة النبي ﷺ.

(٥) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح١٠).

(٦) بفتح الشين : قبيلة من اليمن، ورجال هذه القبيلة متوسطون بين الخفة والسمن، و(الشنوءة) في الأصل التباعد.

(٧) عروة بن مسعود الثقفي، وهو الذي أرسلته قريش للنبي ﷺ يوم الحديبية، وقد أسلم سنة تسع من الهجرة، وهو أحد الرجلين اللذين قالت قريش فيهما : ﴿ لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف:٣١].

(٨) دحية الكلبي الصحابي، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد بعد بدر وبايع تحت الشجرة، وكان جبريل يأتي النبي ﷺ غالبًا في صورته، نزل الشام وبقي فيها واستوطن المزة بجانبها حتى مات بزمن معاوية، وكان رسول النبي ﷺ إلى هرقل فلقيه بحمص.

(٩) أخرجه مسلم في الإيمان.

وعن أبي الطفيل قال: «رأيت النبي ﷺ وما بقي على وجه الأرض أحد رآه غيري [١] »[٢].

الخاتم الذي كان بين كتفيه ﷺ

عن السائب بن يزيد قال: «ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ! إن ابن أختي وَجع[٣]، فمسح ﷺ رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضأ، فشربت من وَضوئه، وقمت خلف ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، فإذا هو مثل زرّ الحجلة[٤]»[٥].

وعن جابر ابن سمرة قال: «رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله ﷺ غُدة[٦] حمراء مثل بيضة الحمامة»[٧].

وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن جدته رُمَيثة قالت: سمعت رسول الله ﷺ ولو أشاء أن أقبّل الخاتم الذي بين كتفيه من قربه لفعلت - يقول لسعد بن معاذ يوم مات: «اهتزّ له عرش الرحمن»[٨].

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا زيد: ادنُ مني فامسح ظهري». فمسحت ظهره، فوقعت أصابعي على الخاتم. قلت: وما الخاتم. قال: شعرات مجتمعات [٩].

وعن بريدة قال: جاء سلمان الفارسي[١٠] إلى رسول الله ﷺ حين قَدِم

---

(١) يشير إلى أنه آخر الصحابة موتًا، مات سنة ١١٠ هـ، وهو عامر بن واثلة.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل.

(٣) أي : مريض.

(٤) الحجلة : طائر معروف، و(زرها) : بيضها.

(٥) أخرجه البخاري في: "الطهارة، وصفة النبي، والمرضى، والدعوات"، ومسلم.

(٦) الغدة : قطعة اللحمة. وهذا لا ينافي ما جاء في رواية مسلم أنه كان على لون جسده. والتشبيه ببيضة الحمامة في المقدار، وقيل: في الصورة واللون.

(٧) أخرجه مسلم في الفضائل.

(٨) أخرجه الترمذي في "المناقب" وقال : حسن صحيح. والشيخان وابن ماجه.

(٩) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح١٧).

(١٠) نسبة لفارس، وهو صحابي جليل، وكان أخبره بعض الرهبان بظهور النبي ﷺ في الحجاز، ووصف له فيه علامات وهي قبوله الهدية وعدم قبول الصدقة، وخاتم النبوة فأحب

المدينة بمائدة عليها رُطبٌ، فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «**يا سلمان: ما هذا؟**». فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: «**ارفعها فإنا لا نأكل الصدقة**». قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذا يا سلمان؟**». فقال: هدية لك. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ابسطوا**»(١) ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله ﷺ فآمن به، وكان لليهود، فاشتراه رسول الله ﷺ بكذا وكذا درهمًا على أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيه حتى تُطعِم، فغرس رسول الله ﷺ النخيل إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فحملت النخل من عامها، ولم تحمل النخلة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما شأن هذه النخلة؟**». فقال عمر: يا رسول الله أنا غرستها. فنزعها رسول الله ﷺ فغرسها، فحملت من عامها (٢).

وعن أبي نصر العَوقي(٣) قال: سألت أبا سعيد الخُدري عن خاتم رسول الله ﷺ ؟ يعني خاتم النبوة، فقال: «**كان في ظهره بضعة ناشزة(٤)**»(٥).

وعن عبد الله بن سَرجس قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو في ناس من أصحابه، فَدُرتُ هكذا من خلفه، فعرفَ الذي أريد، فألقى الرداء عن ظهره، فرأيتُ موضع الخاتم على كتفيه مثل الجُمع(٦) حولها خيلان(٧) كأنها ثآليل(٨) فرجعت حتى استقبلته، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله. فقال: «**ولك**». فقال

الفحص عنها ففعل ثم أسلم.

(١) يعني: أيديكم وكلوا.

(٦) حسنه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح١٨).

(٣) بفتح المهملة والواو ثم قاف، موضع بالبصرة كما في "الأنساب" وغيره، ووقع في الأصل وغيره (العوفي) بالفاء وهو تصحيف. واسمه: المنذر بن مالك.

(٤) أي كأن الخاتم في ظهره الشريف قطعة لحم ظاهرة، و(الناشزة) أي المرتفعة.

(٥) أخرجه الترمذي. وقال الألباني رحمه الله: سنده جيد، وله في المسند (٦٩/٣) طريق أخرى.

(٦) الجمع: بضم الجيم أي مثل الكف وهو هيئته بعد جمع الأصابع.

(٧) جمع (خال) وهو نقطة تضرب إلى السواد تسمى شامة.

(٨) ثآليل كمصابيح، جمع (ثؤلول) كعصفور، وهو خراج صغير كالحمصة يظهر على الجسد له نتوء واستدارة.

القوم: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، ولكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد: ١٩][١].

شعر رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «كان شعر رسول الله ﷺ إلى نصف أذنيه»[٢].

وعن عائشة قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، وكان له شعر فوق الجُمة[٣]، ودون الوفرة[٤]»[٥].

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: «قدم رسول الله ﷺ مكة قَدمة وله أربعُ غدائر[٦]، وفي رواية: ضفائر[٧]»[٨].

وعن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان يَسْدُلُ شعره[٩]، وكان المشركون يَفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يَسدلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فَرَقَ رسول الله ﷺ رأسه[١٠]»[١١].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (ح٢٣٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤١٨٦)، والنسائي، ومسلم (ح٢٣٣٨) بلفظ: «كان شعر رسول الله ﷺ بين أذنيه وعاتقه». وعند ابن ماجه (ح٣٦٣٤): «كان شعر رسول الله ﷺ بين أذنيه ومنكبيه».

(٣) الجُمة: الشعر النازل إلى المنكبين.

(٤) الوفرة: ما بلغ شحمة الأذن.

(٥) قال الألباني رحمه الله: أخرجه الترمذي في السنن بتمامه (ح١٧٥٥)، وصححه، وأبو داود (٧٧، ٤١٨٧) مفرقًا كابن ماجه، وكذا ابن سعد (٤٢٤/١)، وأحمد (١٠٨/٦، ١١٨). وأما جملة الغسل فهي عند الشيخين وغيرهما من طرق عنها رضي الله عنها، وبعضها مخرج في " صحيح أبي داود" برقم (٧٠).

(٦) الغدائر: جمع غديرة.

(٧) الضفائر: جمع ضفيرة، وكل من الضفيرة والغديرة بمعنى الذؤابة، وهي الخصلة من الشعر إذا كانت مرسلة، فإن كانت ملوية فعقيصة.

(٨) أخرجه أبو داود (ح٤١٩١)، وابن ماجه (ح٣٦٣١). وقال الألباني رحمه الله: أخرجه الترمذي في السنن (ح١٧٨٢)، وقال: حسن غريب، وأحمد (٣٤١/٦ و٤٢٥)، وابن سعد (٤٢٩/١)، وإسناده صحيح.

(٩) سدل الشعر: إرساله.

(١٠) فرق رأسه: أي ألقى الشعر إلى جانبي رأسه.

(١١) أخرجه البخاري، ومسلم (ح٢٣٣٦).

ترجل رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أرجل رأس[(١)] رسول الله ﷺ وأنا حائض»[(٢)].

وعنها رضي الله عنها قالت: «إن كانَ رسولَ الله ﷺ ليحبُّ التيمنَ في طهوره[(٣)] إذا تطهر، وفي ترجله[(٤)] إذا ترجل، وفي انتعاله[(٥)] إذا انتعل»[(٦)].

وعن عبد الله بن مُغَفَّل قال: «نهى رسول الله ﷺ عن التّرجل إلا غبًا»[(٧)].

شيب رسول الله ﷺ

عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: «هل خَضب[(٨)] رسول الله ﷺ ؟ قال: لم يبلغ ذلك، إنما كان شيبًا في صدغيه[(٩)]، ولكن أبو بكر رضي الله تعالى عنه خضب بالحنّاء والكَتَم[(١٠)]»[(١١)].

وعن أنس بن مالك قال: «ما عَدَدْت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء»[(١٢)].

وعن سِماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة، وقد سئل عن شيب

---

(١) ترجيل الشعر : أي تسريحه.

(٢) أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم (ح٢٩٧).

(٣) طهوره : بضم الطاء، وفتحها روايتان مسموعتان وبضم الطاء هو الفعل، وبفتحها : ما يتطهر به.

(٤) الترجل : أي يحب في تمشطه أن يبدأ بالجهة اليمنى من رأسه.

(٥) وفي انتعاله : أي ويحب التيمن بالانتعال.

(٦) أخرجه البخاري، ومسلم (ح٢٥٨).

(٧) أخرجه أبو داود (ح٤١٥٩)، والترمذي (ح١٧٥٦)، والسلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (ح٥٠١).

(٨) الخضب : تلوين الشيب بالحمرة.

(٩) الصدغ : هو ما بين العين والأذن، ويسمى الشعر النابت على الصدغ صدغًا، وهو المراد هنا.

(١٠) الحناء والكتم : ورق يصبغ به، والحناء: تجعل الشعر أحمر، والكتم : يجعل الشعر أسود مائلاً إلى الحمرة.

(١١) أخرجه البخاري ومسلم.

(١٢) أخرجه ابن ماجه (ح٣٦٢٩)، وعند البخاري في الفضائل عن أنس : «ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء». وقال الألباني رحمه الله : أخرجه أحمد (١٦٥/٣) بلفظ الترمذي، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

رسول الله ﷺ ؟ فقال: «كان إذا دَهَن رأسه لم يُرَ منه شيب، وإذا لم يَدهن رُؤي منه شيء».

وفي رواية: «لم يكن في رأس رسول الله ﷺ شيبٌ إلا شعرات في مَفرق رأسه، إذا ادّهن وأراهُنّ الدهن»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحوًا من عشرين شعرة بيضاء»(٢).

وعن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال: أتيتُ النبي ﷺ ومعي ابن لي، قال: فأُرِيته، فقلت لما رأيته: «هذا نبي الله ﷺ، وعليه ثوبان - وفي رواية: بُردان(٣) - أخضران، وله شَعر قد علاه الشيب، وشيبه أحمر»(٤).

خضاب رسول الله ﷺ

وعنه قال: أتيتُ النبي ﷺ مع ابن لي، فقال: «ابنُك هذا؟». فقلت: نعم، أشهد به، قال: «لا يجني عليك، ولا تجني عليه». قال: ورأيت الشيب أحمر.

قال أبو عيسى: هذا أحسن شيء رُوي في هذا الباب وأفسَر ؛ لأن الروايات الصحيحة أنه ﷺ لم يبلغ الشيب(٥).

وعن عثمان بن موهب قال: «سئل أبو هريرة: هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم»(٦).

وعن أنس قال: «رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوبًا»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٣٤٤)، والنسائي، والسلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (ح٣٠٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح٣٦٣٠).

(٣) بردان : تثنية (برد) : ثوب مخطط.

(٤) قال الألباني رحمه الله : حسنه الترمذي في الشمائل (ح٢٨١٣)، وأخرجه أحمد (٢/٢٢٦، ٢٢٧ - ١٦٣/٤) بألفاظ منها لفظ الترمذي، وقد أعاده في موضع آخر مختصرًا، بالرواية الأخرى (٦٣)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (١٠٧/٢) والذهبي.

(٥) أخرجه أبو داود (ح٤٢٠٨)، والترمذي، والنسائي.

(٦) قال الألباني رحمه الله : حديث صحيح، وفي إسناده شريك وهو ابن عبد الله القاضي، وهو سيئ الحفظ، وقد خالفه الثقات فجعلوه من مسند أم سلمة، وهو الصواب.

(٧) قال الألباني رحمه الله : إسناده صحيح على شرط مسلم، وتفرد به الترمذي دون الستة.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «رأيت شعر رسول الله ﷺ عند أنس بن مالك مخضوبًا[١]»[٢].

كحل رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اكتحلوا[٣] بالإثمد[٤]، فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر»[٥].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد عند النوم فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر»[٦].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر»[٧].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد؛ فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر»[٨].

لباس رسول الله ﷺ

عن أم سلمة قالت: «كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ يَلبسه: القميص»[٩].

---

(١) قال النووي رحمه الله : "والمختار أنه ﷺ خضب في وقت دل عليه حديث ابن عمر في الصحيحين وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق، والله أعلم ".

(٢) قال الألباني رحمه الله : إسناده صحيح أيضًا إلى ابن عقيل، وهو حسن الحديث.

(٣) الكحل : بضم الكاف : اسم الذي يُكتحل به، وبالفتح : مصدر بمعنى استعمال الكحل في العين.

(٤) الإثمد : بكسر الهمزة والميم بينهما ثاء ساكنة، حجر الكحل المعروف.

(٥) السلسلة الصحيحة للألباني (ح٦٦٥، ٧٢٤).

(٦) أخرجه أبو داود (ح٣٨٧٨)، وأخرجه ابن ماجه في الطب (ح٣٤٩٧، ٣٨٧٨)، والترمذي (ح ١٧٥٧).

(٧) قال الألباني رحمه الله : إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد أخرجه النسائي في "الزينة" وابن ماجه في الطب (٣٤٩٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه (ح٣٤٩٥)، وقال الألباني رحمه الله : صححه الحاكم والذهبي، وفي سنده ضعف، لكنه يتقوى بما قبله كما بينته في الصحيحة (٧٢٤).

(٩) أخرجه أبو داود (ح٤٠٢٥)، والترمذي (ح١٧٦٢). وقال الألباني رحمه الله : قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: «أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة لنُبايعه، وإنّ قميصه لمُطلقٌ، أو قال: زِر قميصه مُطلق. قال: فأدخلتُ يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم»[١].

عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ كان شاكيًا فَخَرجَ وهو يتكئ على أسامة بن زيد، عليه ثوب قطري [٢] قد تَوشّح به [٣]، فصلى بهم »[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله ﷺ يَلبسه الحبرةُ [٥] » [٦].

وعن أبي جحيفة قال: «رأيت النبي ﷺ وعليه حُلّة حمراء، كأني أنظر إلى بريق ساقيه»[٧]. قال سفيان: أراها حبرة [٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالبياض من الثياب، ليلبسها أحياؤكم، وكفّنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم»[٩].

وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ : «البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»[١٠].

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٠٨٢)، وابن ماجه (ح٣٥٧٨)، قال الألباني رحمه الله: وصححه ابن حبان، ورواه الطيالسي (١٧٩٩)، وأحمد (٤/٦٩ و٥/٣٥)، وابن سعد (١/٤٦٠)، وأبو الشيخ (١٠٣)، وسندهم صحيح.

(٢) القطري : بكسر القاف وسكون الطاء، نسبة إلى القطر، وهو نوع من البرود اليمنية يتخذ من قطن، وفيه حمرة وأعلام مع خطوط، أو نوع من حلل جياد تحمل من بلد بالبحرين اسمها : قطر، بفتحتين.

(٣) توشح به : أي وضعه فوق عاتقيه.

(٤) قال الألباني رحمه الله : حديث صحيح، رجاله ثقات.

(٥) الحبرة: بكسر الحاء وفتح الباء، وهي ثياب من نوع برود اليمن تتخذ من كتان أو قطن، محبرة أي مزينة، والتحبير : التزيين والتحسين.

(٦) أخرجه البخاري، ومسلم (ح٢٠٧٩).

(٧) أخرجه البخاري.

(٨) حبرة : أي مخططة بخطوط حمراء.

(٩) أخرجه أبو داود (ح٤٠٦١)، وابن ماجه (ح٣٥٦٦)، والترمذي في سننه.

(١٠) أخرجه الترمذي (ح٢٨١١)، والنسائي، وابن ماجه (ح٣٥٦٧)، وقال الألباني رحمه الله : قال الترمذي : حديث حسن صحيح، وأخرجه الطيالسي أيضًا (١٨٠٠)، وهو صحيح بما قبله.

وعن عائشة قالت: «خرج رسول الله ﷺ ذات غَداة[١] وعليه مِرْطٌ[٢] من شعر أسود»[٣].

وعن المغيرة بن شعبة: «أن النبي ﷺ لبس جبة[٤] رومية[٥] ضيقة الكُمّين»[٦].

خف رسول الله ﷺ

عن بريدة: «أن النجاشي أهدى النبي ﷺ خُفين أسودين ساذجين[٧] فلبسهما، ثم توضأ ومسح عليهما»[٨].

وعن المغيرة بن شعبة: «أهدى دحية للنبي ﷺ خُفين فلبسهما»[٩].

نعل رسول الله ﷺ

عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان نعل رسول الله ﷺ ؟ قال: «لهما قِبالان[١٠]»[١١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان مَثْنيٌّ[١٢] شراكهما[١٣]»[١٤].

وعن عيسى بن طَهمان قال: «أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين

---

(١) ذات غداة : أي بكرة.

(٢) المرط : كساء طويل واسع من خز أو صوف أو شعر أو كتان يؤتزر به.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٧٨١).

(٤) الجبة : لباس معروف، وكان لبس النبي ﷺ هذه الجبة في غزوة تبوك.

(٥) الرومية : نسبة إلى بلاد الروم.

(٦) قال الألباني رحمه الله : الحديث أخرجه الشيخان أيضًا وبقية الستة.

(٧) بفتح الذال وكسرها : أي خالصين في السواد.

(٨) أخرجه أبو داود (ح١٥٥)، والترمذي (ح٢٨٢١)، وابن ماجه (ح٣٦٢٠).

(٩) أخرجه الترمذي (ح١٧٦٦).

(١٠) القبالان : تثنية قبال بكسر القاف، ويسمى شسعًا، والشسع أحد سيور النعل، فالقبال هو السير الذي فيه الشسع الذي يكون بين إصبعي الرجل.

(١١) أخرجه الترمذي (ح١٧٧٣)، وأبو داود (ح٤١٣٣)، ومسلم والنسائي والبخاري.

(١٢) بفتح الميم والنون وسكون الثاء من التثنية، وهي جعل الشيء اثنين.

(١٣) الشراك : أحد سيور النعل يكون على وجهها.

(١٤) أخرجه ابن ماجه (ح٣٦١٤)، وقال الألباني رحمه الله : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

جَرداوَيْن [١]، لهما قِبالان».. قال: فحدثني ثابت - بَعدُ - عن أنس: «أنهما كانا نعلي النبي ﷺ» [٢].

وعن عُبيد بن جُريج أنه قال لابن عمر: رأيتك تلبس النعال السِّبْتيّة [٣] قال: «إني رأيت رسول الله ﷺ يَلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها [٤] فأنا أحب أن ألبسها» [٥].

وعن أبي هريرة قال: «كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان» [٦]. وعن عمرو بن حريث قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مَخصُوفتَين [٧]» [٨].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَمشيَنّ أحدكم في نعل واحدة، لينعلهُما [٩] جميعًا، أو ليُحفهما [١٠] جميعًا» [١١].

وعن جابر: «أن النبي ﷺ نهى أن يأكل - يعني: الرجل بشماله، أو يمشي في نعل واحدة» [١٢].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا

---

(١) أي : لا شعر عليهما، استعير من أرض جرداء لا نبات فيها.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) أي: التي لا شعر عليها نسبة للسبت بكسر السين، وهو جلود البقر المدبوغة لأن شعرها سبت وسقط عنها بالدباغ، ومراد السائل أن يعرف حكمة اختيار ابن عمر لبس السبتية.

(٤) أي يتوضأ والرجل في النعل.

(٥) أخرجه البخاري.

(٦) قال الألباني رحمه الله : حديث صحيح يشهد له حديث أنس وغيره في الباب.

(٧) النعلان مخصوفتان : أي المخروزتان، أو المرقعتان، ويؤخذ من الحديث جواز الصلاة في النعلين.

(٨) قال الألباني رحمه الله : حديث صحيح، رجاله ثقات غير أن تابعه لم يسم.

(٩) لينعلهما : أي ليلبسهما.

(١٠) ليحفهما : أي ليخلعهما.

(١١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

والحكمة في هذا النهي أنه تشبه بالشيطان، فقد صح في بعض طرق الحديث : «إن الشيطان يمشي في النعل الواحدة». وهو مخرج في الصحيحة (ح٣٤٨).

(١٢) أخرجه مسلم (ح٢٠٩٩).

نزَعَ فليبدأ بالشمال، فلتكن أولهما تُنعل، وآخرهما تُنزع»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب التَّيمُّن ما استطاع، في تَرَجُّله وتنعُّله وطهوره»[٢].

خاتم رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «كان خاتم النبي ﷺ من وَرِق[٣] وكان فُصّه[٤] حبشيًا»[٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة، فكان يَختم به ولا يلبسه»[٦].

وعن أنس بن مالك قال: «كان خاتم النبي ﷺ من فضة، فَصُّه منه[٧]»[٨].

وعن أنس بن مالك قال: «كان نقش خاتم رسول الله ﷺ: (محمد) سطر، و(رسول) سطر، و(الله) سطر»[٩].

وفي رواية أخرى عنه: «أن النبي ﷺ أراد أن يكتبَ إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل له: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتمًا حَلْقَتُه فضة، ونَقَشَ فيه: محمد رسول الله، فكأني أنظر إلى بياضه في كفه».

وعن ابن عمر قال: «اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من وَرِق، فكان في يده،

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤١٣٩)، وابن ماجه بنحوه (ح٣٦١٦)، والترمذي (ح١٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم (ح٢٦٨)، وأبو داود (ح٤١٤٠) والترمذي والنسائي وابن ماجه بنحوه.

(٣) بكسر الراء: الفضة.

(٤) بفتح الفاء وضمها وكسرها، المراد ما ينقش عليه اسم صاحبه، وإنما كان حبشيًا لأن معدنه بالحبشة، فإنه كان من جزع وهو خرز فيه بياض وسواد، أو من عقيق ومعدنها بالحبشة.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم (ح٢٠٩٤).

(٦) قال الألباني رحمه الله: إسناده على شرط الشيخين.

(٧) الضمير في "منه" يعود للخاتم ومن للتبعيض، أي فصه بعض الخاتم، ولعل الخاتم كان مربعًا، فهذا أقرب للنقش فيه. قال الشيخ الألباني رحمه الله: وهو بظاهره مخالف لحديثه المتقدم: «وكان فصه حبشيًا». وأجاب الحافظ بحمله على التعدد، أو على لون الحبشة. والله أعلم.

(٨) أخرجه البخاري.

(٩) أخرجه البخاري، ومسلم (ح٢٠٩٢).

ثم كان في يد أبي بكر ويد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس[١]، نقشه: محمد رسول الله»[٢].

تختم النبي ﷺ في يمينه

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ كان يلبس خاتمه في يمينه**»[٣].

وعن حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه، فسألته عن ذلك ؟ فقال: رأيت عبد الله بن جعفر يتختم في يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: «**كان رسول الله ﷺ يتختم في يمينه**»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة، وجعل فصه مما يلي كفّه، ونقش فيه: محمد رسول الله، ونهى أن يَنقش أحدٌ عليه، وهو الذي سقط من مُعيقيب**[٥] **في بئر أريس**»[٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أنه ﷺ كان يتختم في يمينه**»[٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب، فكان يلبسه في يمينه، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فَطرحه ﷺ وقال: «**لا ألبسه أبدًا**». فطرح الناس خواتيمهم[٨].

---

(١) أريس : بفتح الهمزة وكسر الراء، بوزن أمير بالصرف وعدمه، وهي بئر بحديقة قريبة من مسجد قباء، ونسب إلى رجل من اليهود اسمه أريس وهو الفلاح بلغة أهل الشام.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) قال الألباني رحمه الله : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه الترمذي (ح١٧٤٤)، وابن ماجه (ح٣٦٤٧)، والنسائي.

(٥) بضم الميم وفتح العين : تصغير معقاب، كمفضال، أسلم قديمًا وشهد بدرًا وهاجر إلى الحبشة، وكان يلي خاتم النبي ﷺ، واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان على بيت المال.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم (ح٢٠٩١).

(٧) قال الشيخ الألباني رحمه الله : إسناده صحيح.

(٨) أخرجه البخاري ومسلم (٢٠٩١)، وهذا الحديث يدل على تحريم خاتم الذهب للرجل ونسخ حله. وهذه الأحاديث تدل على أن الغالب هو تختم الرسول ﷺ باليمين وهذا لا يمنع جواز التختم باليسار كما ثبت في بعض الأحاديث. والله أعلم.

عمامة رسول الله ﷺ

عن جابر قال: «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء»(١).

وعن عمرو بن حريث: «أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء»(٢).

وعن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ إذا اعتمَّ سَدَلَ عمامته بين كتفيه»(٣).

قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. قال عبيد الله: ورأيت القاسم بن محمد وسالمًا يفعلان ذلك. وعن ابن عباس: «أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامةٌ دسماء»(٤).

صفة إزار رسول الله ﷺ

عن أبي بُردة عن أبيه قال: «أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء مُلبّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبض رُوحُ رسول الله ﷺ في هذين»(٥).

وعن الأشعث بن سُليم قال: سمعت عمتي تُحدثُ عن عمها قال: «بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: «ارفع إزارك(٦)، فإنه أتقى(٧)». فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنما هي بُردة ملحاء(٨)، قال: «أما لك فيّ أسوة». فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه»(٩).

وعن حذيفة بن اليمان قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقه، فقال: «هذا موضع الإزار، فإن أبيتَ فأسفل، فإن أبيت فلا حق للإزار في

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح٣٥٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٧٣٦).

(٤) أصل هذا الحديث عند البخاري.

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٠٨٠).

(٦) أي ارفع إزارك عن الأرض.

(٧) في نسخة : "أنقى" بالنون أي أنظف من الوسخ، وأبقى أي أكثر دوامًا للثوب.

(٨) بفتح الميم، تأنيث "أملح" أي فيها بياض يخالطه سواد، فالملحاء التي فيها خطوط من سواد وبياض.

(٩) أخرجه أحمد والبيهقي، الجامع الصغير.

الكعبين»[١].

جلسة رسول الله ﷺ

عن عباد بن تميم عن عمه: «أنه رأى النبي ﷺ مستلقيًا في المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد[٣] احتبى[٤] بيديه»[٥].

تكأة رسول الله ﷺ

عن جابر بن سمرة قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ متكئًا على وسادة على يساره»[٦].

صفاته وأخلاقه

كان النبي ﷺ يمتاز من كمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه وأحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذي يعشق عادة لم يرزق بمثلها بشر.

كمال النفس ومكارم الأخلاق

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة

---

(١) أخرجه الترمذي (ح١٧٨٤)، وابن ماجه (ح٣٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢١٠٠).

(٣) في نسخة : "في المجلس".

(٤) احتبى الرجل : إذا جمع ظهره وساقيه بيديه، والاحتباء يقوم مقام الاستناد إلى الجدار.

(٥) أخرجه البيهقي، وأبو داود (ح٤٨٤٦)، والترمذي.

(٦) أخرجه الترمذي (ح٢٧٧١)، وأبو داود (ح٣١٤٣).

البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي.

وكان الحلم والاحتمال، العفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا، قالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرها ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضبًا، وأسرعهم رضًا.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.. وقال جابر: ما سئل شيئًا قط فقال: لا.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال علي: كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**».

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئًا عرف في وجهه، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة لا يشافه أحدًا بما يكره حياء وكرم نفسه، وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيئًا يكرهه، بل يقول: «**ما بال أقوام يصنعون كذا**». وكان أحق الناس بقول

الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلـــم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، روى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ [الأنعام: ٣٣]، وسأل هرقل أبا سفيان: هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته. وكان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح وكان لا يدع أحدًا يمشي خلفه، وكان لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخادمه: أفٍّ قطُّ، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره. كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل: عليّ ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال ﷺ: «**وعلي جمع الحطب**». فقالوا: نحن نكفيك. فقال: «**قد علمت أنكم تكفونني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه**». وقام وجمع الحطب.

وإليك بعض الروايات التي تبين شيئًا من جوانب أخلاقه ﷺ:

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطروني - أي: لا تبالغوا في مدحي - كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**». رواه البخاري ومسلم.

- وعن أنس بن مالك ﷺ: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة. فقال: «**اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك**». رواه البخاري.

- وعنه ﷺ قال: «**إن كانت الأمة - أي: الجارية - لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت**». رواه البخاري.

- وعنه ﷺ: «**أن رسول الله ﷺ مرّ على صبيان يلعبون فسلّم عليهم**». رواه مسلم.

- وعنه ﷺ قال: «**كان النبي ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنحة - وهو الدهن المتغير الرائحة من طول الفترة - فيجيب، ولقد كان له درعٌ عند يهودي فما وجد ما يفكّها حتى مات**». رواه البخاري.

- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أهدي إليّ كُراعٌ - أي: ساق الشاة - لقبلتُ، ولو دُعيتُ عليه لأجبتُ**». رواه البخاري.

- وعن جابر ﷺ عنه قال: «**جاءني رسول الله ﷺ ليس براكب بغل ولا برذون - وهي دابة عظيمة الخلق تشبه الخيل-**». رواه البخاري.

- وعن عَمْرة قالت: قيل لعائشة: ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «**كان بشرًا من البشر، يَفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه**». رواه البخاري.

- عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال: أف - وهي كلمة تضجّر وتبرّم - قط، وما قال لي لشيء صنعته: لمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته؛ لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، ولا مسَسْتُ خزًا - نوع ثياب تعمل من صوف وحرير- ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان**

أطيب من عرق النبي ﷺ». رواه البخاري.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة**». رواه مسلم.

- وعنها قالت: «**ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظُلمها قط ما لم يُنتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضبًا، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن مأثمًا**». رواه البخاري ومسلم.

- وعنها رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده، فقال: «**بئس ابن العشيرة، أو أخو العشيرة**». ثم أذن له، فلما دخل ألان له القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله! قلتَ ما قلتَ، ثم ألنت له القول! فقال: «**يا عائشة إن من شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه**». رواه البخاري ومسلم.

- وعن جابر بن عبد الله قال: «**ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا**». رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريلُ كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الر يح المرسلة**». رواه البخاري ومسلم.

- وعن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان يقبلُ الهدية، ويُثيب عليها**». رواه البخاري.

- عن أبي سعيد الخدري قال: «**كان ﷺ أشد حياء من العذراء** - أي: البنت البكر- **في خدرها** - أي: سترها - **وكان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه** - أي: يتغير وجهه». رواه البخاري ومسلم.

رجاحة عقله ﷺ

نكتفي من عشرات الأمثلة الدالة على ما كان للنبي محمد ﷺ من كمال

العقل ورجاحته بأربعة أمثلة، اثنين منهما قبل نبوته واثنين بعدها، فأما اللذان قبل نبوته ﷺ فهما:

١ - حضوره حلف الفضول وقوله فيه: «**لقد حضرت حلف الفضول بدار عبد الله بن جدعان، وما أحب أن لي بحلف حضرته في دار عبد الله بن جدعان حُمر النعم، ولو دعيت به لأجبت**».

فهذا الحلف تم على أساس نصرة المظلوم والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه، فحضور النبي ﷺ له تأييدًا للحق، واغتباطه به حتى قال: «**وما أحب أن لي حمر النعم**». دال على كمال عقله ورجحانه بدون شك.

٢ - حكمه بأن يوضع الحجر الأسود في ثوب، ثم تأخذ بأطرافه القبائل القرشية، حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو ووضعه في مكانه، فقضى بذلك على خصومة من أشد الخصومات، وحقن دماء كادت أن تراق لولا ذلك التصرف الحكيم، الذي إن دل على شيء فإنه يدل على كمال العقل المحمدي ورجاحته بما لا مجال للشك فيه.

وأما المثلان اللذان في عهد نبوته فهما:

١ - تنازله لقريش على كتابة لفظة (الرحمن الرحيم)، وعلى لفظ (رسول الله) في كتابة وثيقة المعاهدة التي أبرمها مع قريش عام صلح الحديبية، إذ أمر الكاتب وهو علي بن أبي طالب أن يكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم**». فقال ممثل قريش وهو سهيل بن عمرو: أمسك، لا أعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب: باسمك اللهم، فتنازل عن ذلك وكتب باسمك اللهم. ولما قال للكاتب: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**». قال ممثل قريش: أمسك لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فتنازل عن ذلك، وكتب، في حين أن أصحابه وعلى رأسهم عمر وعلي قد كرهوا ذلك وأبَيَا أن يفعلوه، ورأوه أنه إعطاء للدنية في دينهم، غير أن النتائج الطيبة التي أعقبت ذلك التنازل دلت على قصر نظر القوم وبعد نظر الرسول ﷺ وكمال عقله ورجاحته، الأمر الذي كان به مضرب المثل في كمال العقل، وحسن

السياسة، والتدبير.

٢ - لما دخل ﷺ مكة يوم الفتح منتصرًا ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينظرون حكم الفاتح المنتصر فيهم ناداهم ﷺ قائلاً: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**». قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

إن هذا الموقف المثالي في تاريخ العظماء ينم قطعًا على ما أوتي رسول الله محمد ﷺ من رجحان العقل وكماله، وما أصبح به مثلاً عاليًا في هذا الشأن.

شجاعته ﷺ

إن شجاعة قلب النبي ﷺ لم تكن أقل من رجاحة عقله، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية التي لا توصف، وناهيك في إثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال كعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وغيرهم ممن عرفوا بالبطولات النادرة والشجاعات الفذة أن يقولوا: كنا إذا حمي الوطيس واشتد البأس نلوذ برسول الله ﷺ نتقي به. لقد انهزم الجيش الإسلامي يوم حنين شر هزيمة، وثبت رسول الله ﷺ في الميدان وحده حتى ثاب إليه أصحابه، وقاتل بهم حتى انتصر نصرًا ساحقًا على أعدائه، وأمسوا في قبضته وتحت سلطانه. ولهذا الموقف نظيره في أُحد أيضًا.

سياسته ﷺ

إن سياسة النبي ﷺ وفي كلا مجاليه المدني والعسكري، أو السلمي والحربي كانت وبدون شك ولا مبالغة مضرب المثل على نحو لم يطمع في الوصول إلى مثله أحد من الناس ومهما أوتي من الكمال في هذا الخصوص، ولنكتف في الاستشهاد على هذه المثالية في السياسة المحمدية الرشيدة السديدة بذكر مسائل معينة منها:

إذنه ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين لهم، حيث علم أنه لا يقدر على دفع الأذى عنهم، وأن بالحبشة ملكًا صالحًا كريمًا سيكرم وفادة أصحابه، ويحسن جوارهم وهو أصحمة النجاشي، فكان هذا

الإذن بالهجرة تدبيرًا سياسيًا جديرًا بالتقدير والاحترام.

اتخاذه دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزًا للدعوة الإسلامية أيام اضطهاد المشركين لها، وتثقيف أصحابه فيها، وتربيتهم، وتعليمهم - كان تدبيرًا حكيمًا دل على رشد في السياسة وحسن فيها، مع حكمة التصرف وكمال التدبير.

عقده اتفاقيتي العقبة، وهما بيعتان بايع فيهما رجالاً من أهل المدينة لتأمين الهجرة إليها، وحماية المهاجرين فيها، ثم أمره أصحابه بالهجرة، وبالتالي هجرته هو ﷺ إليها، مما جعلها في بضعة أعوام دار إسلام، وعاصمة خلافة في الأرض، ومنطلق فتح، وهداية لكافة البشر.

معاهدات لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة، وما حققته تلك المعاهدات من فوائد للدعوة الإسلامية، وما وفرته من حماية لها أيام حاجاتها الملحة إلى الحماية والتأمين، وذلك لضعفها، ومناوأة كل الناس لها.

مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التي لحمت ما بين المهاجرين النازحين وأهل البلاد المواطنين فجعلتهم كجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر، تلك المؤاخاة التي لم يتم نظيرها على وجه الأرض قط، تحققت بفضل الله تعالى، ثم بتلك الحنكة السياسية والرشد المنقطع النظير فيها.

زواجه ﷺ من خديجة وهي بنت أربعين سنة، وهو شاب لم يتخط الخامسة والعشرين من عمره، ثم زواجه من عدة أرامل من النساء المسنات، وزواجه من أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وسنها لم يتجاوز التاسعة من عمرها، كل ذلك دال على بعد نظر، وعمق سياسة، وحسن تصرف، وكمال تدبير، حيث أعطى به لدعوة ربه الإسلامية دفعًا قويًا إلى النصر والتقدم والانتشار، لم تكن لتصل إليه وتحققه لولا تلك السياسة الحكيمة الرشيدة.

سراياه وغزواته العديدة، والتي تجلت في جميعها الخبرة العسكرية والقيادة المثالية الحكيمة، والأمر الذي اعترف به الصديق والعدو على حد سواء، ويكفي في تقرير ذلك أنه في خلال عشر سنوات من جهاده المقدس انتظم الإسلام أرض الجزيرة العربية كلها، واستنارت بنوره كل ديارها، وأن قتلى تلك الحروب

والمعارك الهائلة التي دارت رحاها مدة عشر سنوات تقريبًا ودانت نتيجة لها أرض شبه الجزيرة كلها بالإسلام - لم يتجاوز الألفين والخمسمائة ما بين شهيد وقتيل.

رحـــمته ﷺ

إن الرحمة التي كان يحملها قلب النبي ﷺ لرحمة مثالية، لا تتأتى لغيره من بني الناس، وإذا أردنا أن نذكر بعض مظاهرها، تقريرًا لها، فماذا عسانا أن نذكر منها بعد أن قال الله تعالى فيه: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومع هذا فلنشر إلى بعض المظاهر للرحمة المحمدية والتي منها:

١ - رفع إليه ولده إبراهيم ابن مارية القبطية رضي الله عنهما، وهو مريض يجود بنفسه، فوضعه بين يديه وبكى ﷺ، وقال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون!**».

٢ - زار مرة قبر أمه بين مكة والمدينة، وقف عليه وبكى طويلاً، وانصرف وهو يقول: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي...**».

٣ - ولما فتح رسول الله ﷺ القموص حصن بني أبي حقيق - من خيبر - أتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى، فمر بهما بلال على قتلى يهود، فلما رأتهم الجارية التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رأى رسول الله ﷺ بتلك الجارية ما رأى قال: «**أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما**». ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على بني الناس فحسب بل تعدتهم إلى الحيوانات، فكان يقول ﷺ: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**». ويقول: «**عذبت امرأة في هرة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت**». وأخبر مقررًا الرحمة وآثارها في أهلها فقال: «**بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به**».

كـــرمــه ﷺ

إن الكرم النفسي الذي كان يتحلى به رسول الله ﷺ لا يأتي عليه الوصف، وكيف يوصف كرم من لم يسأل شيئًا طول حياته وهو في حوزته، وقال: لا قط؟ خرج يومًا وعليه حلة من أجمل الحلل، فرآه أحد أصحابه، فعزم أن يطلبها ليلبسها تمس جلده بعد أن مست جلد الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، أعطنيها. فدخل رسول الله ﷺ بيته فخلع الحلة وأتاه بها.

جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة.

وبايع مرة جابر بن عبد الله في جمل له كان قد كلّ في السفر، فباعه إياه بكذا مائة درهم، ولما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن والجمل.

الله أكبر ماذا يذكر عن كرم محمد ﷺ؟ إنه في هذا الباب كما في غيره المثل الأعلى في الكرم النفسي.

عدلـــه ﷺ

إن المثالية في عدل محمد ﷺ تتجلى في مواقف عديدة، نقتصر منها على موقفين لم يقفهما غيره قط:

أولهما: حينما سرقت المخزومية، وجاء أسامة بن زيد مدفوعًا برجالات قريش يشفع لها في إسقاط الحد عنها، فقال له رسول الله ﷺ وهو في غضب شديد: «**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها**».

وثانيهما: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعـــدل به القوم، فمر سواد بن غزية حليف بني عدي ابن النجار وهو مستنتل - أي مـــتقدم - من الصف طعن في بطنه بالقدح وقال: «**استو يا سواد**». فقال: يا رســـول الله أوجعـــتني وقـــد بعـــثك الله بالحـــق والعدل فأقدني !! فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «**استقد**».

عفوه وحلمه ﷺ

إن الاستقصاء للشمائل المحمدية غير محتمل أبدًا وأحسن من قال:

إنما مثّلوا صفاتك للناس   كما مثّل النجوم الماء

ولذا فإننا نكتفي دائمًا بنماذج لذلك الكمال المحمدي في كل مظهر من مظاهره.

ومن شمائل الحلم والعفو عنده ﷺ نذكر الأمثلة التالية:

١ - صح أنه كان ﷺ في غزاة فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها، فانتشروا في واد يستريحون تحت ظلال أشجاره، وأتى هو شجرة فعلق سيفه في أحد أغصانها ونام، فجاء أعرابي من المشركين فاخترط السيف وقال للرسول: من يمنعك اليوم مني يا محمد؟ فرفع إليه رسول الله ﷺ رأسه وقال: «الله». فارتاع الرجل، فسقط السيف من يده، فتناوله الرسول ﷺ وقال: «**من يمنعك أنت الآن مني؟**». فقال الأعرابي: لا أحد، فعفا عنه الرسول وانصرف.

إنه عفو بعد مقدرة، وهو من العفو الكريم الذي يستحق صاحبه كل إجلال وتقدير.

٢ - قسم ﷺ مالاً بين الناس فجاءه أعرابي فجذبه من طرف ردائه وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فغضب رسول الله ﷺ وما زاد على أن قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

٣ - دخل أعرابي مسجده ﷺ، واضطرته الحاجة إلى البول، فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول، فانتهره أصحاب الرسول ﷺ وصاحوا فيه، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**دعوه لا تزرموه**». فتركوه حتى قضى حاجته من بوله، ثم أمر رسول الله ﷺ بدلو من ماء فصب عليه، فحلم الرسول ﷺ أنطق الأعرابي فقال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال رسول الله ﷺ : «**تحجرت واسعًا**».

كانت هذه نماذج من المثالية المحمدية وهي أحد مؤهلات ثلاثة تقدم اثنان

منها، وبقي الثالث وهو شرف النسب وطيب الأصل.

فلنلق نظرة على تلك الأرومة الطاهرة، وذلك المحتد الشريف، فنقول: إن من ينظر بإنصاف في النسب النبوي الشريف يجده بحق أشرف نسب وأطيبه، وأطهره، وأزكاه على الإطلاق، إنه لم يعرف التاريخ البشري نسبًا كان أوضح وأنصع، ولا أطيب، ولا أطهر من نسب النبي ﷺ، إذ قريش كانت أشرف القبائل العربية بلا منازع ولا مدافع، وبنو هاشم كانوا أشرف قبائل قريش أيضًا بلا منازع، والأنبياء يبعثون دائمًا في أشرف أقوامهم. هذه الكلمة قالها هرقل ملك الروم وعظيمها.

ولنستمع إلى الرسول ﷺ نفسه وهو يقر هذه الحقيقة فيقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**». فكان ﷺ خيارًا من خيارٍ من خيار.

وأخيرًا فهذه مؤهلات النبوة كلها قد توفرت لرسول الله ﷺ وبصورة لا أكبر منها، ولا أوضح، فهل يصح في العقول نفي نبوته، أو جحود رسالته؟ اللهم لا. إلا أن يكون ذلك من جاهل متعصب، أو من مغرض ذي طمع فاسد، يجاحد ويعاند، ومع هذا فسنورد طرفًا من الأدلة العقلية والنقلية ما نؤكد به نبوته ﷺ، ونقرر به وجوب الإيمان به، وبكل ما جاء عن الله من الهدى والخير، وتحتم اتباعه، واتباع دينه توخيًا للحق، وطلبًا للنجاة من العذاب، وفوزًا بالنعيم الأخروي في الملكوت الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين.

وجوب الإيمان بنبوة سيدنا محمد ﷺ وأدلة ذلك

إن تلك المؤهلات العقلية والشرعية الدينية، وقد توفرت كاملة للنبي ﷺ لكافية في إيجاب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ بيد أنه لا مانع من المزيد من ذكر الأدلة والبراهين، تأكيدًا لنبوته ﷺ، وتقريرًا لها، حتى تجعل الإيمان بها اضطراريًا لا يمكن دفعه إلا على ضرب من التمحل والمكابرة والعناد والمجاحدة.

ومن تلك الأدلة:

أ - شهادة الكتب السابقة على نبوته، وتبشير الأنبياء السابقين بها [١]:

فقد جاء في إنجيل يوحنا:

١- إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من (الأب) فيعطيكم (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد.

فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه وسنته، إذ هذه محفوظة بحفظ الله، وباقية ببقاء هذه الحياة وهذا معنى إلى الأبد في قوله: (يبقى معكم إلى الأبد).

٢- لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزي (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم. فالفارقليط هو محمد ﷺ، ولو لم يذهب عيسى عليه السلام برفع الله تعالى له لما بعث محمد ﷺ، إذ بعثة النبي ﷺ كانت على فترة من الرسل كما قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا

(١) الإسرائيليات هي: الأخبار التي تتحدث عن أهل الكتاب والأمم السابقة على الإسلام، وهي على قسمين:

القسم الأول: ما جاء ذكره في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، وهذا كثير مشهور، فقصص الأنبياء تملأ القرآن والسنة، وما قصة الأعرج والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله عز وجل، وقصة الثلاثة الذين آووا إلى غار فانغلق عليهم، والرجل الذي قتل مائة نفس... إلى آخر ما ذكره النبي ﷺ في سنته إلا أمثلة واضحة على ذلك، فهذا القسم مقبولٌ مطلقًا.

القسم الثاني: وهو ما تلقته الأمة عن علماء أهل الكتاب خاصة من أسلم في زمان النبي ﷺ وبعده مثل: عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه وأمثالهم، وهذا ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما جاء موافقًا لما في الكتاب والسنة أو أحدهما، فهذا نقبله اعتمادًا على الكتاب والسنة واكتفاءً بهما، ولكن هذا مما يشرح صدور المؤمنين، ويزيدهم إيمانًا على إيمانهم بنطق مخالفيهم بالحق.

النوع الثاني: ما جاء مخالفًا للكتاب والسنة أو أحدهما، فهذا نرده ولا نقبله، ونعتقد أنه مما حرّفوه وغيروه.

النوع الثالث: ما جاء عنهم وليس له ذكر في الكتاب والسنة، وهو كما سبق ذكره مما يمكن الاستغناء عنه، ومع ذلك فنحن لا نصدقه احتمالاً أن يكون من كذبهم وتحريفهم، ولا نكذبه احتمالاً أن يكونوا صدقوا فيه، وإنما نكتفي بحكايته.

يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة: ١٩].

٣- (والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب، باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم). فالفارقليط روح القدس هو محمد ﷺ الذي يرسله الله إلى الناس كافة، ومن بينهم اليهود والنصارى، كما قال تعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرًا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليمًا حكيمًا﴾** [النساء: ١٧٠].

فجاء في هذه الآية القرآنية لفظ الرسول معرفًا بالألف واللام، وهي وإن دلت على تفخيم الرسول ﷺ وتعظيمه في كماله فإنها دالة على العهدية، فهي إشارة إلى ما في الكتابين - التوراة والإنجيل - من البشارة بالرسول محمد ﷺ كما ذكرنا ونذكر، وكما اعترف به الصالحون والمنصفون من علماء الطائفتين - اليهود والنصارى - .

وجاء في سفر التثنية من التوراة قوله: (جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران، ومعه ألوف الأطهار).

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن الله تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهي من أرض الجبل بالقدس، وبعث محمدًا ﷺ رسولاً معلنًا كلمة (لا إله إلا الله) مستعلنًا بها من مكة الواقعة بين جبال فاران، كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ب- شهادة علماء أهل الكتابين:

جاء من سورة الشعراء قوله تعالى: **﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾**[الشعراء: ١٩٧]، فقد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله، وما جاء به هو من عند الله، قال تعالى: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم**

ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾[البقرة: ١٤٦، ١٤٧].

فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن الذين أوتو الكتاب - التوراة والإنجيل - يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه فيها معرفة مثل معرفتهم لأولادهم، كما أخبر أن فريقًا كبيرًا منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له.

ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بعد معرفتهم لها تمام المعرفة.

ونكتفي بشهادة عبدالله بن سلام ﷺ عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأحبارهم، روى البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك: أن عبدالله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟

فقال رسول الله ﷺ : «**أخبرني بهن آنفًا جبريل**» ، قال عبدالله بن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**».

قال عبدالله بن سلام: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبدالله البيت، فقال الرسول ﷺ : «**أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟**». قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا.

فقال رسول الله ﷺ : «**أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟**».

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبدالله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقالوا: أشرّنا وابن أشرّنا، ووقعوا فيه!!.

وبعد: فإن شهادة عبدالله بن سلام هذه تعد من أكبر الشهادات بعد شهادة الله ورسوله ﷺ لمحمد بالنبوة والرسالة، ولذا لم نذكر بعدها من شهادات علماء اليهود شهادة غيرها.

أما علماء النصارى فإن لهم من الشهادات برسالة محمد ونبوته ما لا يسعه المقام، فلذا فإنا نكتفي من كل ذلك بشهادة عظيمة أقرها القرآن، وسجلها في صفحاته، ألا وهي شهادة الملك الصالح أصحمة النجاشي، إذ جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار والسير على أن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه المؤمنين، فقولهم: ﴿**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين**﴾، قولهم هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام ونبيه وكتابه وأمته، ولنسمع إلى شهادة النجاشي - رحمه الله تعالى- من خلال رده على كتاب رسول الله ﷺ الذي ورده وهو في دار ملكه، وحاضرة بلاده، إذ جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم): إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا الله هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقربنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وبعثت إليك يا نبي

الله بأريحا بن الأصحم بن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله.

جـ ــ شهادة بلايين من المسلمين:

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا به حق الإيمان، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه، وبينهم العلماء والحكماء، والصلحاء الصادقون الذين يفوق عددهم الحصر، ويتعذر الإحاطة بهم علمًا - لهو من أعظم الشهادات وأقواها، وأكثرها إقناعًا للعقول، وجلبًا للطمأنينة والسكون في نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ.

د ــ شهادة الحق عز وجل وملائكته:

إن شهادة الله عز وجل، وشهادة ملائكته للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة لشهادة مغنية عن كل شهادة. قال تعالى: ﴿**لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا**﴾ [النساء: ١٦٦].

ولولا كزازة النفوس ورعوناتها، وظلمات الجهل بالله تعالى التي تغشى كثيرًا من قلوب الناس لما ذكرنا مع شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهدًا أبدًا، ولكن نظرًا لما ذكرنا أوردنا تلك الشهادات السابقة وقفّينا عليها بشهادة الله تعالى التي لا يردها عاقل أبدًا.

وشهادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: شهادة إخبار، وشهادة معجزات.

فشهادة الإخبار: هي إخباره تعالى في كتابه عن وحيه واصطفائه لرسوله وإرساله ونصرته إياه.

وشهادة المعجزات هي: ما أظهره الله تعالى على يد نبيه من خوارق العادات، إذ كل خارقة تقول بلسان حالها عن الله تعالى: صدق محمد عبدي ورسولي فيما أخبر عني من أني أرسلته وهو رسولي.

ومن شهادة الإخبار ما يلي:

قوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله**﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله تعالى:﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾[النساء: ١٧٠].

ومن شهادة المعجزات ما يلي:

١-نزول القرآن الكريم عليه وحيًا أوحاه الله تعالى إليه، فإنه أكبر معجزة عرفها الوجود البشري، إذ العادة قاضية بأن أميًّا لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس بين يدي أستاذ أو مرب أو معلم قط، قاضية باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف ومعرفته لها وتفوقه فيها، فضلاً عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من كل معاصريه وممن يأتي بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون.

فالقرآن الكريم قد حوى أعظم تشريع، واشتمل على قدر من العلوم الإلهية، وعلى أثبت الحقائق العلمية كنظام الزوجية والقوانين الكونية، كما تعرض لبدء الخليقة، وذكر من قصص الماضين وأخبار السابقين الشيء العجب، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفيًا ولا زيادة أو نقصان - هذا الكتاب يأتي به أمي يتحدى كل الخلق على الإتيان بمثله، أو بعشر سور من مثل سوره، أو سورة واحدة، فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم، وتطأطئ رأسها، وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيها محمد ﷺ، لتدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن**

عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحي إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة وتحويها آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

فقوله تعالى: ﴿ولن تفعلوا﴾، أي الإتيان بسورة قرآنية من أمي مثل محمد ﷺ في أميته، وهذا التحدي وهو نفي الإتيان بسورة من أمي مثل محمد في أميته ما زال قائمًا، وقد مضى عليه الآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولا يؤمل أبدًا أن يأتي أحد فيبطله بأن يأتي بسورة قرآنية من رجل أمي لم يقرأ أو لم يكتب قط. هيهات، هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول: ﴿ولن تفعلوا﴾.

٢- فيضان الماء من بين أصابعه بالحديبية حتى سقى وروى جيشًا كاملاً قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة.

٣- تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشًا كاملاً تعداده ألف رجل أو يزيدون.

٤- حنين الجذع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأخيار له، وعدم سكوته إلى أن أتاه الرسول وهدهده كما تهدهد الأم طفلها فسكت.

٥- رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت حتى تدلت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد فردها ﷺ، ومسح عليها فكانت أحسن منها قبل إصابتها.

٦- تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون، وهم عدد كبير من خيار البشر.

٧- انشقاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش ذلك استدلالاً على نبوته ﷺ فانشق القمر فكان فلقتين على جبل أبي قبيس وأهل مكة كلهم يشاهدون ويعجبون، أثبتت هذه الحادثة في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[القمر: ١].

٨- تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع، عشرات المرات.

٩- الإسراء به ﷺ، والعروج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدرة المنتهى عند جنة المأوى، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وناداه ربه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، كل هذه المعجزات وغيرها كثير قد ثبت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار.

١٠- إخباره بالمغيبات الكثيرة (!) فكانت كما أخبر.

وهذا باب عظيم لا يتسع المقام لذكره بل يحتاج لمصنفات كثيرة وكل هذا مما يدل على صدقه ونبوته ﷺ.

اللهم صل على محمد وآله وصحبه والمؤمنين به الناهجين نهجه، المستقيمين على صراطك المستقيم إلى يوم الدين.

ختم النبوات:

والكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسل عليهم السلام نتناول فيها أمرين هامين:

أولهما: ختم سائر النبوات.

وثانيهما: النبي الخاتم.

أما عن الأمر الأول فنقول: إن الله تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة، وهي نبوة محمد رسول الله ﷺ، فلم يبق من مطمع لأحد في أن يدعي النبوة، أو يؤتاها بعد نبوة محمد النبي ﷺ الأمي أبدًا، ومن جهل هذه الحقيقة، أو تجاهلها تضليلاً وخداعًا وادعى النبوة فقد كذب على الله، وأعظم الفرية عليه، وكذبه في قوله وكذب على خلقه، ولم يلبث طويلاً حتى يفتضح شر فضيحة ويلعن بين الناس كما حصل لعدد من الدجالين الكذابين مثل مسيلمة الكذاب في الأولين، وأحمد مرزا غلام في الآخرين، عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ في قوله: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته والعمل بها ضروريًا للنجاة من عذاب يوم القيامة، وللفوز بالنعيم المقيم فيه، وأيما عبد لا يؤمن بهذه الرسالة ولا يعمل بمحتواها في حدود طاقته وما يستطيع إلا هو من أهل الخسران يوم القيامة، ولا ينفعه إيمان بالله ولا بأنبيائه، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الختامية، التي جعلها الله تعالى مزكية للنفوس، مطيبة للأرواح فلا تزكو نفس امرئ إلا على الإيمان بها والعمل بما جاء فيها، وزكاة النفس هي المؤهل للفرد لأن ينجو من النار ويفوز بالجنة دار الأبرار، وذلك لقوله تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها**﴾ [الشمس: ٩-١٠].

وعن الأمر الثاني نقول: إن خاتم الأنبياء قطعًا هو النبي محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وإن الواجب على كل إنسان في هذا الوجود البشري أن يؤمن به ويتبع ما جاء به من الحق والهدى، وذلك لأمر الله تعالى بالإيمان به وباتباع ما جاء به في مثل قوله: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير**﴾ [التغابن: ٨].

ولتخصيص الرب تبارك وتعالى رحمته وهي الفوز بالجنة بعد النجاة من النار بمن آمن به واتبعه فيما جاء به ﷺ قال تعالى: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

ولتعليق الله تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشري، وحصوله على المؤهلات الفرد للسعادة في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال تعالى: ﴿**فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأخيرًا، فإن من الأدلة السمعية على ختم النبوة، وأن محمدًا هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين الذي فيه يقول الرسول الخاتم ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**».

ومثل هذا الحديث في الدلالة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ، وأنه الخاتم للأنبياء قبله – قوله فداه أبي وأمي في رواية الصحيحين: «**إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي**».

وقوله: «**إن لي أسماء محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي**».

ومن أقوى الأدلة وأعظم البراهين على ختم نبوة محمد ﷺ لسائر النبوات نبوة محمد نبيه ورسوله – أن يمضي الآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة على الإعلان بختم النبوات بنبوته ﷺ، ولم يأت نبوة حق، ولا نبي صدق، في كل هذه الحقبة من الزمن الطويلة، في حين أنه كان قبل نبوة محمد ﷺ، تظهر النبوات في كل عصر ومصر وقد يوجد العدد من الأنبياء في الأمة الواحدة والبلد الواحد كما هو معلوم من التاريخ البشري وفي جانبه الديني بالخصوص.

الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال السعدي رحمه الله: «وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، و ﴿**إن الله**﴾ تعالى ﴿**وملائكته يصلون على النبي**﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى إياه، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾ اقتداءً بالله وملائكته وجزاءً له على بعض حقوقه عليكم وتكميلاً لإيمانكم وتعظيمًا له ﷺ ومحبة وإكرامًا وزيادة في حسناتكم وتكفيرًا عن سيئاتكم » اهـــ.

(١) صلاة الله على نبيه ﷺ

اختلف أهل العلم في المراد بهذه الصلاة على أقوال:

-أن صلاة الله على نبيه هي ثناؤه عليه عند الملائكة.

-أن صلاة الله على نبيه هي رحمته.

-أن صلاة الله على نبيه هي مغفرته.

وأولى الأقوال: هو قول من قال: إن معنى صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه عند الملائكة.

(٢) صلاة الملائكة على النبي ﷺ

وصلاة الملائكة على النبي ﷺ هي الدعاء والاستغفار، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**» [متفق عليه].

(٣) صلاة المؤمنين على النبي ﷺ

وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ هي الدعاء بأن يصلي الله عز وجل عليه، وهذا بيان لعظيم قدر الصلاة على النبي ﷺ حيث إن الله تعالى لم يتركها لخلقه، بل جعل صلاتهم عليه هو سؤاله سبحانه أن يُصلي على نبيه ﷺ.

فضائل الصلاة على النبي ﷺ

(١) صلاة الله على من صلى على النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرًا**» [رواه مسلم].

(٢) مضاعفة أجر المصلي على النبي ﷺ:

عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك يا رسول الله، فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك إلا سلّمتُ عليه عشرًا» ، [رواه النسائي بإسناد صحيح].

(٣) رفع درجات المصلي على النبي ﷺ وحط الخطيئات عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات» ، [رواه النسائي بإسناد جيد].

(٤) الأمان من الحسرة يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما قعد قوم مقعدًا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب» ، [رواه أحمد ورجاله ثقات].

(٥) الخروج من الظلمات إلى النور:

قال ابن القيم في «الوابل الصيب » (ص:٧٢): «إن الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا * وسبحوه بكرة * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى وملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور فأي خير لم يحصل لهم وأي شر لم يندفع عنهم؟!

فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله » اهـ.

صيغ الصلاة على النبي ﷺ

الصيغة الأولى:

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» [متفق عليه].

الصيغة الثانية:

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[رواه البخاري].

الصيغة الثالثة:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك، قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد**» [رواه مسلم].

الصيغة الرابعة:

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علّمنا كيف نسلم؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» [متفق عليه].

قلت: وهذه أصحّ صيغ الصلاة على النبي ﷺ، وثمّ صيغ أخرى، انظرها في كتاب «صفة صلاة النبي » للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

المواضع التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ

(١) عند دخول المسجد:

عن عبد الملك بن سعيد بن سويد قال: سمعت أبا حميد وأبا أسيد الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أحدكم المسجد فليُسلم على النبي ﷺ ثم ليقُل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»** [رواه أبو داود وإسناده جيد].

(٢) بعد إجابة المؤذن:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة»** [رواه مسلم].

(٣) في التشهد الأول والأخير:

عن كعب بن عجرة قال: إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: **«قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»** [رواه البخاري].

قال العلامة الألباني - رحمه الله - في «صفة الصلاة » (ص:١٦٤): «فقد قالوا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، أي: في التشهد، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد..» الحديث، فلم يخص تشهدًا دون تشهد، ففيه دليل على مشروعية الصلاة عليه في التشهد الأول أيضًا، وهو مذهب الإمام الشافعي، كما نصّ عليه في كتابه «الأم »، وهو الصحيح عند أصحابه... » اهـ.

(٤) بين يدي الدعاء:

عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**عجل هذا**»، ثم دعاه ثم قال له ولغيره: «**إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ وعلى آله وسلم ثم ليدع بعد بما يشاء**» [رواه أحمد وإسناده لا بأس به لحال حميد ابن هانئ].

(٥) في صلاة الجنازة:

عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه أنه سأل أبا هريرة، كيف تصلي على الجنازة؟ فقال أبو هريرة: أنا لعمر الله أخبرك، اتّبعها من أهلها، فإذا وضعت كبّرت وحمدت الله وصليت على نبيه. [رواه مالك وإسناده صحيح].

(٦) في كل مجلس:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما قعد قوم مقعدًا لا يذكرون الله عز وجل فيه ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**» [رواه أحمد ورجاله ثقات].

الرسول ﷺ في الرفيق الأعلى يوم الإثنين

وفي يوم الإثنين وبينما الصحابة في صلاة الفجر وأبو بكر يصلي بهم، أراد ﷺ أن يطمئن إلى حالهم في الصلاة خلف إمامهم، وأن تقر عينه برؤيتهم في صفوف منتظمة قبل أن يفارقهم، فتحامل على نفسه حتى وقف على قدميه، ومد يده إلى السترة ليرفعها ويرى الناس.

وبينما المسلمون على تلك الحال من الخشوع والانتظام إذا بالستر من حجرة عائشة ينكشف أمامهم ويظهر لهم وجه رسول الله ﷺ تعلوه ابتسامة مشرقة. فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم فرحًا برسولهم الذي تخلف عنهم ثلاثة فروض، وقد عبر أنس بن مالك ﷺ بهذا المشهد حين قال: «**وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر**». صحيح

البخاري.

ومما قاله أنس أيضًا: وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة.

فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فلمّا اطمأن ﷺ على حال المسلمين وهم خلف إمامهم في صفوف منتظمة تبسم تبسم الرضى وضحك مسرورًا، ثم أشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة وأرخى الستر.

فاطمة تبكي

ولما ارتفع الضحى دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها، فلما جاءت ورأت أباها ممتدًا على الأرض لم تتمكن قواه أن تحمله، وكان من عادته ﷺ إذا رأى فاطمة هب واقفًا وقبّل ما بين عينيها ثم أجلسها مكانه، لكنه في هذه المرة اكتفى بإرسال نظرة إليها، فلما رأته على تلك الحال انكبت عليه تقبله وقد تساقطت الدموع على خدها وهي تقول: وا كرب أبتاه!

فأخذ ﷺ يلاطفها ويخفف من وطأتها وهو يقول: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**». صحيح البخاري.

فاطمة تبكي وتضحك

وبينما ﷺ يتحدث إلى فاطمة ويسارها بشيء إذا بها تبكي. فلم تلبث حتى دعاها وسارها مرة أخرى فضحكت. فلما سألتها عائشة فيما بعد عن هذا التحول السريع من البكاء إلى الفرح أجابت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني أخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت. (السيرة النبوية لابن هشام).

النبي ﷺ يُقبل الحسن والحسين

ودعا ﷺ الحسن والحسين فقبّلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهنّ.

النبي ﷺ يدعو لأسامة

ودخل عليه أسامة بن زيد، فلما رآه رسول الله ﷺ جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه، فعرف أسامة أنه يدعو له. (السيرة النبوية لابن هشام).

النبي ﷺ يعظ زوجاته

فلما انتهى ﷺ من موعظة زوجاته ووصيته بالحسن والحسين؛ اشتد عليه المرض، وظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حيث أوقف الله جلت قدرته أثر السم خلال تلك السنين حتى يُبلغ النبي دعوته ويكمل الدين. فلما حان يوم وفاته أمر الله السم أن يُحدث أثره وعلى الأبهر أن ينقطع حتى قال ﷺ: «**يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**». (صحيح البخاري). ولم يكتف ﷺ بمشهد الصحابة في الصلاة بل أكد على أهمية الصلاة حتى آخر وصية في حياته حيث قال: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**». (سنن ابن ماجه).

كان الرسول ﷺ مستندًا على عائشة، وكانت عائشة تفتخر بهذه النعمة التي منّ الله بها عليها فكانت تقول: «**إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري**». صحيح البخاري.

النبي ﷺ يطلب السواك

فدخل عليها عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده السواك، فلما رأته عائشة بيده، التفتت إلى رسول الله ﷺ فرأته يرمق أخاها بنظراته. فعرفت أنه يحب السواك. وكانت رضي الله عنها أعرف نسائه بأحواله حتى من خلال نظراته، وهذا ما جعله يطمئن إليها ويقضي بقية أيامه عندها. حتى جعل الله وفاته في يوم عائشة. فقالت لرسول الله ﷺ: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فأخذت السواك من أخيها ثم أعطته لرسول الله ﷺ فاشتد عليه. فقالت: أليّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فأخذ ﷺ يستن، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت**

سكرات». ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى». فأخذت عائشة تمعن النظر إليه وهو يستن بها كأحسن ما كان مستنًا، وبينما هو كذلك إذا ببصره يشخص نحو السقف، وشفتاه تتحرك. فأصغت عائشة إليه فإذا هو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم الرفيق الأعلى». (صحيح البخاري).

ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير (صحيح البخاري).

أثر وفاته ﷺ على أصحابه

تسرب خبر وفاة رسول الله ﷺ في أرجاء المدينة، وأظلمت نواحيها، وتذكر أنس بن مالك رضي الله عنه يوم الهجرة يوم دخول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقارنه بهذا اليوم الذي مات فيه، فقال: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ. (صحيح البخاري).

ولما علمت فاطمة بوفاة أبيها قالت: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. (صحيح البخاري).

عمر لم يصدق خبر وفاته ﷺ

أما عمر بن الخطاب فلما بلغه الخبر أخذ يتوعد ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. (السيرة النبوية لابن هشام).

لقد كان هذا التصرف من عمر راجعًا إلى اجتهاد منه رضي الله عنه كما قال في اليوم

الذي يليه: أما بعد، فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا. (صحيح البخاري).

موقف الصديق رضي الله عنه

أما أبو بكر فقد كان غائبًا عند زوجة له في موضع قريب من المدينة يدعى "السنح"، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ بعد صلاة الفجر من يوم الإثنين عندما بدا له الرسول ﷺ في صحة جيدة، فقال: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة (زوجته)، أفآتيها؟ فأذن له ﷺ قائلاً: «**نعم**».

وبينما أبو بكر في موضعه بالسنح، إذا بسالم بن عبيد يأتيه مسرعًا فزعًا يجهش بالبكاء فتفرس أبو بكر هيئته ثم قال: لعل نبي الله توفي؟ فلم يستطع سالمًا أن يُصرّح بالإجابة واكتفى بقوله: إن عمر بن الخطاب قال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا.

فلما أن بلغ الخبر أبا بكر أخذ بيد سالم وانطلق مسرعًا ولم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد، فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه حتى كاد يمس وجهه، حتى استبان أنه توفي فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا.

ثم رد الثوب على وجهه. فقال الذين من حوله: يا صاحب رسول الله، أتوفي رسول الله؟

فأجاب الصديق بقوله: نعم. قالوا: هل يصلى عليه؟

قال: نعم، يجيء نفر منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ الناس.

فعلموا أنه كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن؟

قال: حيث قبض الله روحه، فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب، فعرفوا أنه

كما قال.

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ثم خرج وعمر يكلم الناس. فأشار بيده إلى عمر قائلاً: على رسلك يا عمر فأنصت.

فأبى عمر ﷺ إلا أن يسترسل في الكلام والوعيد. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس يكلمهم، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر.

وكانت جموع الناس تعبر إلى أبي بكر، وكانت العيون كلها متجهة إليه.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فلما سمع الناس تلك المقولة العظيمة والآية الكريمة استعادوا ذاكرتهم إلى الوراء وتذكروا وقت نزولها على رسول الله ﷺ وكأنهم يسمعونها لأول مرة، فأخذوا يرددونها في أفواههم.

أما عمر بن الخطاب فقد بقي واقفًا في مكانه.. حاول أن يكمل وقوفه على الأرض إلا أنه لم يشعر بالقوة الكافية ليفعل فقال في نفسه: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرتُ حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات. (صحيح البخاري).

غسله وتجهيزه ﷺ

لقد بقيت جنازة الرسول ﷺ حتى يوم الثلاثاء. فانشغل الصحابة عنها حتى تم اختيار أبي بكر خليفة على المسلمين، إذ كيف يبقى المسلمون بدون حاكم يسوس قضاياهم.

فلما كان يوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، قالت عائشة: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما

منهم رجل إلا وذقنه في صدره فكلمهم مكلمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكون بالقميص دون أيديهم.

عندئذ تذكرت عائشة رضي الله عنها مراد رسول الله ﷺ من قوله: «**ما ضرك لو مُت قبلي، فقمتُ عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟**».

فقالت رضي الله عنها: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه. سنن أبي داود.

وقد شارك في غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره. (السيرة النبوية لابن هشام).

ثم كفنوه في ثلاث أثواب، أدرجوه فيها إدراجًا.

واختلفوا في موضع دفنه، فما من خلاف حدث بينهم إلا حرصًا منهم على تنفيذ تعاليم نبيهم.

فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض، فرفع فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته**».

دفنه ﷺ

ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يُضرّح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خِر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ. (السيرة النبوية لابن هشام).

ودخل الناس الحجرة أرسالاً، عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون ثم الأنصار،

وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد. (السيرة النبوية لابن هشام).

وبينما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جالسة مع النساء في ليلة الأربعاء؛ إذا بصوت المساحي تعلو في جوف الليل فعلمن بدفن النبي ﷺ.

فلما دُفن رسول الله ﷺ قالت فاطمة لأنس بن مالك ﷺ: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!. (صحيح البخاري).

شعر حسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت ﷺ يبكي رسول الله ﷺ فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرًا بها واراه في الترب مُلحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تُسعد
يُذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصيًا نفسي فنفسي تبلد
مُفجّعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تُعدد
وما بلغت من كل أمر عشيرة ... ولكن لنفسي بعدما قد توجد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشد المُسدد
وبورك لحد منك ضُمّن طيبا ... عليه بناء من صفيح مُنضد
تهيل عليه التُرب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يومًا رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به ... ويُنقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدًا ... معلّم صدق إن يطيعوه يُسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فبالله بالخير أجود
وإن ناب أمرٌ لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يُقصد
عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهُدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا إلى كنف
عطوف عليهم لا يُثني جناحه ... يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودًا إلى الله راجعًا ... يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحُرم وحشًا بقاعها ... لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فبكّي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعفُّ وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلاً لا يُنكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضنّ معطاءٌ بما كان يُتلد
وأكرم صيتًا في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جدًا أبطحيًا يُسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عز شاهقات تُشيد
وأثبت فرعًا في الفروع ومنبتًا ... وعودًا غذاه المزن فالعود أعيد
رباه وليدًا فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد

تـــناهت وصـــاة المـــسلمين بكفه فـــلا العلـــم محبوس ولا الرأي يفند
أقـــولُ ولا يُلقـــى لقـــولي عائب مـــن الـــناس إلا عازب العقل مبعد
ولـــيس هـــواي نازعًـــا عن ثنائه لعلـــي بـــه في جـــنة الخلـــد أخلد
مـــع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نـــيل ذاك الـــيوم أسعى وأجهد

الفصل الثاني

آدم عليه السلام أول البشر

قصة آدم عليه السلام (١)

قصة آدم عليه السلام هي قصة البشرية بأسرها، وحياته حياة هذا الوجود بأكمله، منذ أن أراد الله – جلت عظمته – لهذه الدنيا أن تُعمَر، ولهذا الوجود أن يظهر، ولهذه الحياة أن تكتمل وتزدان بظهور هذا الإنسان.. !

إنها قصة الحياة كاملة من بدايتها إلى نهايتها، قصة الوجود بأجمعه منذ أن ظهرت هذه الكتل البشرية على ظهر هذا الكوكب الأرضي، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون، قصة الأحقاب الطويلة، والأجيال الكثيرة التي مرت على هذا العالم فعاشت فيه ثم رحلت عنه، مخلّفة وراءها هذه المظاهر والآثار البشرية، ولسان حالها يقول:

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

العبرة من خلق آدم عليه السلام:

لم يكن خلق آدم من تراب، ثم تناسل ذريته من بعده أمرًا عاديًا طبيعيًا.. إنما هو أمر هام، وخلق عظيم، فيه تجلّت مظاهر القدرة الربانية، والعظمة الإلهية التي تقول للشيء: «كن» فيكون، إنه منتهى الإبداع والإعجاز، فإن أهل الأرض جميعًا لو اجتمعوا على خلق ذُبابة أو بعوضة لما استطاعوا، فكيف بإنسان له عقل وسمع وبصر وإدراك!! ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾، إنها القدرة الإلهية الفائقة التي تخلق من العدم وجودًا، وتجعل من الضعف قوة، ومن السكون حركة، ومن الجماد حياة وروحًا، فإذا التراب يتحرك، وإذا الطين يتكلم، وإذا الجماد بشر سوي، في أجمل صورة وأحسن تقويم، ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾ [الروم: ٢٠].

هذا هو آدم، وهذه هي ذريته، بل هذه قصته وقصة الخليقة أجمعين.. مخلوق يخلقه الله من طين، ثم يخلق ذريته من نطفة من ماءٍ مهين، ويستخلف هذه الذرية في الأرض، ويملّكها الوجود، ويجعل هذا الإنسان خليفة ليقيم العدل، فإذا بهذا

---

(١) من كتاب «قصص الأنبياء» للصابوني.

المخلوق الضعيف يستعلي على ربه، ويريد أن ينازعه في ملكه، ويتجرأ على عصيان أوامر الله!

أليس عجيبًا أن ينكر وجود الله من لم يكن بالأمس شيئًا مذكورًا، أليس عجيبًا أن يكفر بنعم الله من وجوده برهان على وجود الله!! وصدق الله حيث يقول: ﴿**قُتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره* ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره**﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

يا عجبًا ممن ينكر وجود الله، وكلّ ذرة في الكون ناطقة بوجوده!.

يا عجبًا ممن يكذّب بآيات الله، وكل حركة في الوجود شاهدة بوحدانيته وعظيم قدرته!

يا عجبًا ممن يُغمض عينيه حتى لا يرى نور الشمس الساطع، ويصم أذنيه حتى لا يسمع صوت الكون الرائع!

وحقًا كما قال الله: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج: ٤٦].

ولله در القائل حيث يقول:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد؟

ولله في كل تحريكـــــــة ... وتسكينة أبدًا شاهـــــدُ

وفي كل شيء له آيــــــة ... تدل على أنه واحــــــد

أفليست قصة آدم قصة عجيبة؟.. أفليس وجود هذا الإنسان في هذا الكون يستدعي منه التبصّر والانتباه؟ أفليس خلقه من تراب وطين يستلزم منه الإيمان واليقين ﴿**فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق* يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر**﴾ [الطارق: ٥-٨].

آدم عليه السلام أول البشر:

حدثنا القرآن الكريم عن خلق آدم عليه السلام، وأخبرنا أنه أول مخلوق من البشر ظهر على سطح الأرض في هذا الوجود، فهو إذًا أبو الخلائق، وأصل هذا العالم،

وإليه ينتمي جميع سكان الأرض، وليس قبله مخلوق من النوع الإنساني على الإطلاق، أما من غير البشر فقد كان هناك ملائكة قبله، وكذلك من الجن مخلوقات قبله، ولهذا لما اقتضت حكمة الله الأزلية خلق هذا الإنسان، أخبر الباري جلّ وعلا الملائكة بذلك وأخبرهم بأنه سيكون من ذريته أشخاص يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض، فتعجبوا وسألوا عن الحكمة الإلهية في خلق هذا الإنسان، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠].

قال العلامة القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن:

«قد علمنا قطعًا أن الملائكة لا تعلم إلا ما علمها الله، ولا تسبق بالقول، لأن قوله تعالى: ﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾ خرج على جهة المدح لهم، فكيف قالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾؟

والجواب: أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم جبريل في جند من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار ورؤوس الجبال، فجاء قوله: ﴿**أتجعل فيها**﴾ على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة على طريقة من تقدّم من الجنّ أم لا؟ وقيل: إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة، إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه، أو التعجب من عصيان من يستخلفه الله في أرضه..» انتهى كلام القرطبي بتصرف [1].

وعلى هذا ينبغي أن نفهم أن سؤال الملائكة لم يكن اعتراضًا على خلق الله أو على مشيئته وإرادته وإنما كان بغرض الاستفسار عن الحكمة لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ولا يمكن أن يتصور منهم المخالفة والإباء.

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١/٢٧٤).

الأدلة على أن آدم أول الخلائق من الإنس:

لقد جاءت النصوص القرآنية مؤيدة أن آدم عليه السلام هو أول المخلوقات، وأنه لم يكن قبله أحد من هذا النوع البشري.. وكذلك الكتب السماوية كلها قد أجمعت على هذا، وبذلك تضافرت الأخبار عن جميع أهل الملل والأديان بأنّ آدم أبو الخليقة، وأنه أول مخلوق من البشر على الإطلاق.

أما الأدلة في القرآن الكريم فكثيرة، نكتفي بذكر بعضها وهي كما يلي:

أولاً: تكرر النداء للبشر بنسبتهم إلى أبيهم آدم عليه السلام مثل قوله تعالى: ﴿**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما...**﴾ الآية [الأعراف: ٢٧].

﴿**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا ولباس التقوى ذلك خير....**﴾ الآية [الأعراف: ٢٦].

﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين...**﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانيًا: أخبر الله سبحانه وتعالى بأنّ البشر جميعًا هم من أصل واحد: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء...**﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها...**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وليس المراد من النفس الواحدة إلا آدم كما أن المراد من قوله (زوجها) ليس إلا (حواء) لأنهما أصل الخليقة، وقد بينت الآية الكريمة أن الله قد بث أي نشر وخلق منهما الرجال والنساء الكثيرين فمنهما توالد البشر وتناسلوا وكثروا، ثم تفرقوا في الأرض.

ثالثًا: ذكر الله تعالى أن كل مخلوق خلق من أبوين بطريق التزاوج إلا آدم فقد خلقه الله بيده من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فآدم لم يخلق من أبوين إنما جاء

نموذجًا فردًا كما قال تعالى: **﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾** [ص:٧١، ٧٢].

وقال تعالى في قصة امتناع إبليس عن السجود: **﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾** [ص:٧٥].

وقال تعالى: **﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾** [السجدة: ٧، ٨].

السلالة: من السل وهو استخراج الشيء من الشيء؛ يقال: سللت الشعر من العجين، فالنطفة سلالة لأنها تستل من الظهر، أفاده القرطبي.

رابعًا: التصريح بذكر آدم وأنه أبو البشر، وذلك كما في حديث الشفاعة المروي في الصحيحين وفيه أن الناس يلتمسون من يشفع لهم من هول يوم الزحام فيذهبون إلى آدم يسألونه الشفاعة فيقولون له: (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري...) الحديث [(١)].

نظرية داروين وتعارضها مع القرآن والواقع:

ومن هذه النصوص الكريمة التي ذكرناها - من الكتاب والسنة - يتبين لنا بجلاء ووضوح بطلان نظرية (داروين) التي تجعل أصل البشر ليس هو آدم، وإنما تفرّع الناس على زعمه من سلالات أخرى، وانحدروا من أصل آخر يختلف عن أصل آدم، إنه يعتقد بأنّ الإنسان بدأت حياته بجرثومة صغيرة، ظهرت على سطح الماء ثم تحولت إلى حيوان صغير، ثم تدرج هذا الحيوان فأصبح ضفدعًا، فسمكة، فقردًا، ثم ترقّى هذا القرد وتمدّن فصار إنسانًا، فالإنسان في نظره قرد متمدن، وقد استطاع ذلك القرد بعبقريته ونبوغه أن يتطوّر ويتغير فيصبح إنسانًا ذكيًا بعد أن كان قردًا غبيًا، وهكذا جعل (داروين) نسبنا متصلاً بالحيوان وعشيرتنا منحدرة من الضفادع والفئران، وجدنا هو الشمبانزي ؛ لأنه أقرب القردة شبهًا بالإنسان، هذه

---

(١) انظر: حديث الشفاعة بكامله في فتح الباري على البخاري لابن حجر (٦/٣٧١).

هي خلاصة نظرية داروين التي تسمى (نظرية النشوء والتطور)، وهي تناقض صريح القرآن، وتعارض جميع ما جاءت به الكتب السماوية من أن آدم عليه السلام هو أبو البشر، ومنه تناسل جميع الخلق، وأنه هو الأب الأكبر، ولعلّ هذه النظرية الخرقاء تنطبق على داروين نفسه، وأتباعه المقتنعين بفكرته المؤمنين بنظريته، المتحمسين لها، فهم وحدهم القردة، أما بقية البشر فمن آدم انحدروا، وإليه ينتسبون، وهل هناك إنسان عاقل يرضى أن يكون من فصيلة (الغوريلا) و (الشمبانزي) وسائر أنواع القردة، ويتبرأ من نسبه إلى آدم عليه السلام؟ اللهم إلا أن يكون (دارونيًا) أحمق سفيه الرأي والعقل، فاقد الإدراك والشعور، ثم كيف يكون الأصل البشري منحدرًا من القردة والله تبارك وتعالى قد كرّم هذا النوع البشري فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقول جلّ ثناؤه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين: ٤].

فهل من تكريم الله لبني آدم أن يجعلهم من صنف القردة؟ وهل من تفضيله إياهم أن يلحق نسبهم بالقردة أو يجعلهم من فصيلة الشمبانزي والغوريلا؟ وإذا قلنا لأتباع داروين: يا بني القردة والخنازير، فهل سيرضون عنا أم سيغضبون؟

رب إن الهدى هداك وآياتك حق تهدي بها من تشاء

وإذا كانت نظرية (التطور) صحيحة، فلماذا لم يتطور سائر القردة ويتمدنوا ونحن نعيش في عصر التطور والتمدن؟

خطأ نظرية داروين من الناحية العلمية:

لقد نسف الدكتور (حليم عطية) مذهب (داروين) وأبطل نظرية (النشوء والتطور) في كتابه الرائع الذي ألفه تحت عنوان (تصدّع مذهب داروين، والإثبات العلمي لعقيدة الخلق) ونحن ننقل بعض فقرات منه، تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال في كتابه المذكور: (كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم، وضعيف العقل أن يعيش وحوله الأسد والفيل، والدب والنمر، وغيرها من الحيوانات المفترسة؟ ولو

حدث شيء من التطور والارتقاء - حسب ما يدعي داروين - للزم أن تتطور القردة الموجودة في زماننا، وتترقى كما ترقى أسلافها من قبل، وكما تمدنوا فأصبحوا بشرًا بعد أن كانوا قردة؟ وعلى زعم داروين هل يمكن أن يصير البرغوث (فيلاً) وأن تنقلب النملة (نعجة) ويصبح الهر (أسدًا) بمرّ القرون وكرّ الدهور؟!

الغرض الحقيقي من نظرية داروين:

بقي أن نعرف أن هذه النظرية (الخرقاء) عميقة الجذور، فهي تهدف إلى غرض معين هو (إنكار وجود الخالق جل وعلا) فإن (داروين) اليهودي الخبيث يعتقد بألا خالق لهذا الوجود، ولا صانع لهذا العالم، وأن (الطبيعة) هي التي أوجدت هذا العالم، وخلقت هذا الإنسان، فهو إذًا دهري ملحد، متنكر للأديان السماوية، ولليهودية التي ينتمي إليها، كافر بكل القيم الروحية التي جاءت بها الشرائع السماوية، ولا عجب أن يأتينا بمثل هذا الهراء والافتراء، فتلك هي طبيعة اليهود في القديم والحديث، فكل دعوة للإلحاد أو للإفساد تجد وراءها يدًا يهودية خبيثة، كما أن (كارل ماركس) مؤسس المبدأ الشيوعي يهودي الأصل، وكذلك (فرويد) الإباحي الفاجر يهودي العرق والدم.. وكل هؤلاء الخبثاء هم من تلامذة إبليس ومن أعوان الدجال، يتعاونون لهدم الشرائع والأديان، ويعملون ليل نهار لبذر بذور الإباحية والإلحاد وصدق الله حيث قال: ﴿**ويسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين**﴾ [المائدة: ٦٤].

انخداع بعض المثقفين بهذه النظرية:

ولعل بعض المثقفين، ممن لم يتمكنوا من العلم، ولم يحصلوا منه إلا على قشور لا تُسمن ولا تغني من جوع، يعتقدون بصحة هذه النظرية العجفاء، وينخدعون ببريقها الفلسفي ويعتبرونها نظرية مسلّمة لا تحتاج إلى نقاش أو جدال لأنها نظرية مشهورة!!

ونحن نسارع القول إلى هؤلاء بأن هذه النظرية هي مجرد (افتراضيات) و(أوهام) وأنها لم تصل إلى الدرجة العلمية المقطوع بصحتها، وشهرة هذه النظرية لا تجعلها نظرية صحيحة مقبولة في منطق العلم والعقل، وإبليس اللعين له شهرة عظيمة، فهل معنى هذا أنه على سداد وصواب.

ونقول لهؤلاء المفتونين بالآراء الغربية: إن كثيرين من علماء الغرب أنفسهم قد استسخفوا هذه النظرية، وأبطلوها بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، ومن أظهر ما ألف للرد على هذه النظرية السفسطائية كتاب «العلم يدعو للإيمان »، لمؤلفه الكبير (كريسي موريسون) رئيس المجمع العلمي في أمريكا، وكتاب « الله يتجلى في عصر العلم » المترجم إلى اللغة العربية، وهو بأقلام مجموعة من كبار علماء الطبيعة من الأساتذة المختصين، وكلا الكتابين يهدف إلى إثبات وجود المدبّر الصانع الحكيم، ويردُ على القائلين بنظرية التطور أو القائلين بأنّ الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون، وهذه الحياة. كما ظهر كتاب جديد تحت عنوان «الإسلام ونظرية داروين » لمؤلفه الأستاذ الفاضل والكاتب البارع السيد (محمد أحمد باشميل) يُستحسن الرجوع إليه في هذا الموضوع، فإنه قد جمع فأوعى، وأتى بآراء كثيرة لكبار العلماء الغربيين في نقض هذه النظرية الفاسدة.

ونقول من جهة أخرى: إننا نحن المسلمين نعتقد بأنّ كل ما خالف القرآن الكريم، المقطوع بصحته وصدقه، فإنه باطل مردود على قائله، لا يمكن أن يقبله مسلم مهما كان حال قائله، ومهما بلغ من الرقي والعلم، فكيف بهذه النظرية الخرقاء التي لا تستند على دليل أو برهان؟!

رأي وجيه للأستاذ النجار:

ويستحسن أن ننقل هنا رأيًا وجيهًا للأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» فقد نقل فيه عن بعض علماء الألمان رأيًا على نقيض رأي (داروين) تمامًا خلاصته: أن القرد إنسان متقهقر، وليس الإنسان قردًا مترقيًا، ثم قال: وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فإنها لا تكون حجة لأحد أبدًا.

ثم قال: (هبوا أن الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزًا عنيفًا بغير شفقة وزلزلتها زلزالاً شديدًا، فدكّت فيها كل بناء شامخ، وانهار فيها كل صرح باذخ، وألحقت القصور بالأكواخ، وأزالت معالم الدنيا ودورها ومصانعها وقصورها، وعادت الأرض كما كانت قبل أن يسكنها هذا الجيل من بني الإنسان، فهل يتصور أن الغوريلا، والشمبانزي وسائر الفصيلة القردية تهبّ لعمران الأرض كما عمرها

الإنسان، ويكون فيها المصلحون الدينيون والمخترعون والمبتدعون، ويقوم فيها أمثال «سقراط» و «أفلاطون» ويقوم بينهم العلماء فيرسمون الكرة الأرضية، ويخترعون الآلات الهندسية، ويأتون بالعجائب فيوجدون الراديو والتلفزيون، والطائرات والغواصات، إنني كلما فكرت في ذلك جزمت بأن ذلك محال، وقطعت بأن (القرد) سيبقى قردًا على مدى الدهر، وأن القردة لا تلد إلا قردة)(١).

المراحل التي مر بها خلق آدم عليه السلام

أولاً – مرحلة الترابية:

لقد كان أساس تكوين آدم عليه السلام، ومصدر نشأته إنما هو التراب، فحين تعلّقت إرادة الله جل جلاله في خلق آدم أمر الملائكة أن يجمعوا ترابًا من أنحاء الأرض، ومن ألوان التربة العديدة، فجمعوا فكان هذا التراب هو الأساس في تكوين آدم عليه السلام، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾، وجاء في الحديث الصحيح: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك**»(٢).

ثانيًا – المرحلة الطينية:

أخذ هذا التراب ثم جبل بالماء فأصبح طينًا لازبًا (أي متماسكًا) يلتصق بعضه ببعض، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿**إنا خلقناهم من طين لازب**﴾[الصافات: ١١].

ثم بقي آدم مدة طويلة من الزمن في الصورة الطينية تقدّر بـ ٤٠ أربعين عامًا حتى جفّ ويبس فأصبح له صوت يشبه الفخّار إذا نقر باليد وهو المراد من لفظ

---

(١) انظر: قصص القرآن للنجار، ص ٢٩، ففيه بحث نفيس.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٢٩٤٨، وأبو داود برقم ٤٦٩٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وانظر: جامع الأصول (٤/٣١).

(الصلصال) كما قال تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].

ثالثًا – المرحلة التكوينية:

ثم توجهت إرادة العلي الكبير لجعل هذا الطين بشرًا سويًا، وإنسانًا سميعًا بصيرًا، فنفخ فيه من روحه، فإذا هو إنسان كريم وخلق عظيم في أحسن صورة وأكمل تقويم، وهذه المرحلة هي آخر المراحل في خلق آدم عليه السلام، وهي التي تسمى المرحلة التكوينية، وقد وردت بعض الآثار تدل على أن آدم بقي في المرحلة التكوينية، أي قبل نفخ الروح مدة طويلة تقدر بأربعين ٤٠ سنة، ولعل الآية الكريمة في سورة الدهر تشير إلى هذه المدة التي بقي فيها آدم وهي قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ [الإنسان: ١].

والمراد بالإنسان هنا إنما هو آدم عليه السلام.

ذرية آدم:

أما ذرية آدم وبقية البشر فقد كان خلقهم عن طريق التناسل والتزاوج، وقد مروا بأدوار في الخلق تختلف عن الأدوار التي مر بها آدم، وهي: النطفة، العلقة، المضغة، ثم مرحلة نفخ الروح: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة﴾ [الحج: ٥].

سجود الملائكة لآدم عليه السلام:

بعد أن نفخ الله تبارك وتعالى الروح في آدم، أمر الملائكة بالسجود له، وكان ذلك السجود سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر أحدًا بالتوجه بالعبادة إلى سواه، ويرى بعض المفسرين أن السجود إنما كان في حقيقته لله عز وجل ولم يكن لآدم، وإنما كان آدم (كالقبلة) بالنسبة للمصلي، فالمصلي يتوجه إلى القبلة وصلاته وسجوده لله رب العالمين، وكذلك كان الأمر بالنسبة لآدم حيث جعله الله قبلة للملائكة الأطهار.

ولقد كان ذلك الأمر الإلهي احتفالاً بتمام تكوين آدم، وفي هذا إظهار لعلو شأنه، كما أن فيه تكريمًا لهذا النوع البشري حيث أسجد الملائكة لأبيهم آدم عليه السلام وقد خص الله آدم بأربعة مزايا، هي آية الفضل وعنوان الشرف الرفيع وهي:

أولاً: خلقه الله بيده.

ثانيًا: نفخ فيه من روحه.

ثالثًا: أمر الملائكة بالسجود له.

رابعًا: علّمه أسماء كل الأشياء.

قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة: ٣١].

وجاء في الحديث الشريف ما يؤيد هذه المزايا والأوصاف الجليلة في قصة موسى مع آدم حين قال له: «**يا آدم أنت أبو البشر، الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة...**» الحديث [(١)].

ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجدوا جميعًا امتثالاً لأمر الله إلا إبليس فقد امتنع عن السجود واستكبر وكان من الكافرين، وادعى أنه أفضل من آدم وأشرف منه فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ وقال قولته الخبيثة: ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**﴾ [ص: ٧٣، ٧٤].

هل إبليس من الملائكة:

ظاهر النصوص الكريمة يشير إلى أن إبليس كان من الملائكة بدليل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**فسجدوا إلا إبليس**﴾، وإلى هذا الرأي ذهب بعض العلماء، وقالوا: إنه لو لم يكن إبليس من الملائكة لما كلف بالسجود لآدم، وحجتهم في

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير، وفي القدر، وفي التوحيد، وانظر: فتح الباري بشرح البخاري (٨/٤٣٤).

ذلك الاستثناء المذكور في الآية الكريمة. وذهب المحققون من العلماء إلى أن إبليس لم يكن من الملائكة، واستدلوا ببضعة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لو كان إبليس من الملائكة لما عصى أمر الله، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله كما ورد في القرآن: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم: ٦].

ثانيًا: الملائكة من نور، وإبليس من نار، وهو يقول عن نفسه بصريح عبارة القرآن: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ فلو كان من الملائكة لقال: خلقتني من نور، وخلقته من طين، وفي الحديث الصحيح: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**» [1].

ثالثًا: الملائكة ليس فيهم ذكر ولا أنثى، وليس لهم ذرية ولا نسل، وإنما هم خلق بديع من خلق الله جل وعلا، خلقهم ابتداءً من غير أن يكون وجودهم بطريق التناكح والتناسل، والجنُّ كالإنس يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية كما قال سبحانه عن إبليس ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء....**﴾ الآية.

رابعًا: ورد نص صريح في سورة الكهف يدل على أن إبليس كان من الجن، وأنه امتنع عن السجود لآدم لفسقه وضلاله: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه...**﴾ الآية [الكهف: ٥٠].

وكفى بهذا النص الواضح الصريح دليلاً وبرهانًا!!.

وتأويل بعض المفسرين أن لفظ الجن هنا يراد به طائفة من الملائكة يسمون الجن تأويل بعيد، والذي تطمئن إليه النفس، ويرتاح له الوجدان، أن إبليس اللعين لم يكن من الملائكة وإنما كان من الجن والشياطين، وذلك لأن الملائكة لا تتناكح ولا تتناسل، والله تعالى قد أخبر عن إبليس بأنّ له ذرية فقال: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**﴾، ولو كان من الملائكة لما كان له ذرية ونسل، وقد قال الحسن البصري رحمه الله: (لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنما هو من الجن).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم ٢٩٩٦، من رواية عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وانظر: جامع الأصول (٣٣/٤).

وقد ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عن بعض العلماء أنه قال: (كان إبليس من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جندًا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أُسر فأخذته الملائكة إلى السماء فكان هناك، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه فطرده الله من رحمته) [١].

وليس هناك دليل لمن ادّعى أنه من الملائكة، لأنه أُمر بالسجود لآدم، وبدليل الاستثناء ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس...**﴾ فإن الاستثناء هنا منقطع، ولم يؤمر إبليس بالسجود لآدم لأنه من الملائكة، بل توجه له أمر خاص من رب العزة والجلال بالسجود لآدم. بقوله سبحانه ﴿**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك..**﴾، فدل على أن إبليس مأمور بالسجود استقلالاً.

خلق حواء:

بعد أن خلق الله تعالى آدم أسكنه الجنة فكان يمشي فيها وحيدًا فريدًا ليس معه زوج ولا أنيس، فنام نومة ثم استيقظ فإذا عند رأسه امرأة خلقها الله له لتسكن إليها نفسه تسمى (حواء) وسميت بهذا الاسم لأنها خلقت من حيّ، ويروى عن ابن عباس أنها خلقت من أحد أضلاع آدم وهو نائم دون أن يحس بألم، واستدل بقوله تعالى: ﴿**خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها..**﴾، الآية، والله تعالى أعلم هل كان خلقها استقلالاً أم بواسطة آدم؟

وتدل ظواهر الآيات الكريمة على أن الجنة التي أسكن فيها (آدم وحواء) عليهما السلام هي جنة الخلد التي في السماء، وهذا رأي الجمهور من علماء أهل السُنة.

وذهب المعتزلة والقدرية إلى أن الجنة ليست جنة الخلد وإنما هي جنّة في الأرض وهي (أرض عدن) وشبهتهم أنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليها إبليس، ولما وقعت فيها معصية آدم لأنها جنة القدس.

أدلة الجمهور على أن الجنة هي جنة الخلد:

استدل الجمهور على أن الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام هي جنة الخلد ببضعة أدلة أهمها:

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٦٧/١).

أ-أن الله سبحانه قد عرّف الجنة فقال: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥]، وأل التعريف للمعهود في الذهن وهي جنة الخلد.

ب- أمره تعالى بهبوط آدم يدل على أنها في السماء لأن الهبوط يدل على العلو والارتفاع: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو... ﴾ [البقرة: ٣٦].

ج- وصف الله تعالى الجنة بأوصاف تدل على أنها جنة الخلد: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

د- ما ورد في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم فيقولون: «يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم...» الحديث (١).

وباختصار، فقد حكى القرطبي في تفسيره أن أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي أُهبط منها آدم عليه السلام.

تغرير إبليس بآدم عليه السلام:

وبعد أن سكن آدم وحواء الجنة أباح الله تبارك وتعالى لهما جميع أشجارها وثمارها إلا شجرة واحدة نهاهما عنها ابتلاءً منه جل وعلا، ولم يذكر القرآن الكريم هذه الشجرة ما هي؟ أو ما اسمها؟ فلا حاجة إلى الخوض فيها بغير بيّنة ولا برهان.

قال الحافظ ابن كثير: (وقد أبهم الله ذكر الشجرة وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا).

وقد حذر الله تعالى آدم وحواء من كيد إبليس اللعين، ولكنهما نسيا ذلك وخُدعا بما أغراهما به إبليس، من الخلود في الجنة إن أكلا منها، لا سيما بعد أن أقسم لهما إبليس الأيمان المغلظة بأنه ناصح لهما، وأنهما إذا أكلا من هذه الشجرة فسيخلدان في الجنة، وقال: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الأعراف: ٢٠، ٢١].

فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما (عوراتهما) ثم أهبطا إلى الأرض بسبب المخالفة وقد قال بعض المفسرين: إن آدم أكل من الشجرة متأولاً، اعتقادًا منه أن

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٣٧١/٦).

الله تعالى نهاه عن شجرة بعينها فأكل من جنسها غير تلك الشجرة، والصحيح أنه أكل من الشجرة ناسيًا الوعيد الإلهي، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**﴾ [طه: ١١٥].

انظر جامع الأحكام للقرطبي (١١/٢٥١).

قصة قابيل وهابيل، ابني آدم عليه السلام

ذكر المؤرخون وأهل العلم أن آدم عليه السلام رزق من حواء أولادًا كثيرين وأنها وضعت له عشرين بطنًا في كل بطن (ذكر وأنثى) فكان آدم يزوج كل ذكر من بطن بالأنثى من البطن الأخرى، ولا يزوج الذكر بالأنثى من بطن واحدة، فأراد (هابيل) أن يتزوج بأخت (قابيل) وكانت أخت قابيل أحسن، فأراد (قابيل) أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها، فأبى وقال: أنا أحق بأختي، فأمرهما أن يقربا قربانًا فمن تقبل قربانه أخذ تلك الأخت، فقرّب (هابيل) جذعة سمينة – وكان صاحب غنم – فقدّم أجود ما عنده، وقدّم (قابيل) حزمة من زرع رديء – وكان صاحب زرع – فقدّم أسوأ ما عنده، فنزلت نار فأكلت قربان (هابيل) وتركت قربان (قابيل)، فغضب عند ذلك قابيل وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال له (هابيل): إنما يتقبل الله من المتقين، وكانت نهاية القصة أن أقدم قابيل على قتل هابيل فقتله فأصبح من الخاسرين، قال تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين* لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾[المائدة:٢٧- ٢٩].

وجاء في الحديث الشريف: «**لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» (١).

الحكمة من استخلاف آدم في الأرض:

ولاستخلاف آدم في الأرض حكمة جليلة أشارت إليها الآيات الكريمة في قصة خلق آدم عليه السلام، هذه الحكمة ترمز إلى علم الله الواسع، وإرادته الأزلية

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء (٦/٣٦٤) من فتح الباري، ومسلم في القسامة (٣/١٣٠٤)، وأحمد في المسند (١/٣٨٣).

الحكيمة، في عمارة الأرض بذرية آدم وبنيه، فلو لم يخلق الله تعالى هذه المخلوقات لما عمرت الأرض، ولما كانت هناك شعوب وأمم، وخلائق وأجيال، وهذا ما غاب عن علم الملائكة الأطهار، ولم يُدركوا حكمته الدقيقة حتى كشف الله تعالى لهم الأمر وأطلعهم على الأسرار في استخلاف هذا المخلوق الجديد، ذي الشأن العجيب، قال تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠].

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء: (ولا يخفى أن استخلاف آدم في الأرض، يشتمل على معنى سام من الحكمة الإلهية، التي خفيت عن الملائكة، فإن الله تعالى لو استخلف الملائكة في الأرض، لما عرفت أسرار هذا الكون، وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغزيرة، فإن الملائكة ليسوا بحاجة إلى شيء مما في الأرض، إذ هم على وصف يخالف وصف الإنسان، فما كانت السفن لتصنع، ولا الأرض لتزرع، ولا تعرف خواص الأشياء والمركبات الكيماوية، ولا الفوائد الطبيعية ولا الفلكية ولا المستحدثات الطبية، ولا الطبائع النفسية، ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التي تفنى السنون ولا يدرك الإنسان لعلم منها نهاية، فسبحانه وتعالى من عزيز حكيم)[١].

هل آدم من الأنبياء؟

من المقطوع به أن آدم عليه السلام من الأنبياء، وهو رأي جمهور العلماء لم يخالف فيه أحد، وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا؟ ولمن أرسل؟

أما الأدلة على نبوته فقد وردت في الكتاب والسنة، ولكنها في القرآن الكريم لم تكن صريحة، فلم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء الكرام كإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه، بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة كما أسلفنا.

(١) كتاب قصص الأنبياء للنجار (ص٦).

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، فيرى بعض العلماء أنه رسول وأنه أرسل إلى ذريته، ويرى الآخرون أنه لم يكن رسولاً وإنما كان نبيًا، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم: «**إن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض**» ، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول، والقائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، والله أعلم بحقيقة الأمر، والرأي الأرجح الذي عليه الجمهور أنه من الأنبياء، أما الأدلة على نبوته فهي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ [آل عمران: ٣٣].

وظاهر من الآية أن المراد الاصطفاء بالنبوة والرسالة.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعًا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [البقرة: ٣٨]، ففي هذه الآية وعد من الله تعالى بالهدى، وإشعار بالرسالة.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾ [طه: ١٢٢].

والظاهر أن اجتباء الله له وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إياه بالنبوة والرسالة. وقد ورد في السنة النبوية ما يدل على نبوته صراحة وذلك في حديثين:

الأول: عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**»[(١)].

الثاني: عن أبي ذر الغفاري ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «**آدم**»، قلت: يا رسول الله، ونبيٌّ كان؟ قال: «**نعم، نبي مكلّم**»، قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًا غفيرًا**»، رواه أحمد [(٢)].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٦١٨ وقال: حديث حسن.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٥/١٧٨).

لهذه الأدلة نرى علماء المسلمين متفقين على نبوته لم يخالف في ذلك أحد، والله تعالى أعلم.

شبهة حول نبوة آدم:

وقد يقال: إذا كان آدم من الأنبياء فكيف عصى أمر الله، والأنبياء معصومون عن المعصية؟

والجواب: أن هذا البحث قد تقدّم معنا مفصلاً في باب (عصمة الأنبياء) ونحن نوجزه الآن في كلمات:

أولاً: إن ذلك حصل نسيانًا منه، لا قصدًا وعمدًا بدليل قوله تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا**﴾ [طه: ١١٥]، وهذا ما اختاره القرطبي.

ثانيًا: إن آدم عليه السلام قد تأول في أكله من الشجرة؛ لأنه ظن أن المراد من قوله تعالى: ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ عين تلك الشجرة فأكل من شجرة أخرى من جنسها فوقع في المخالفة.

ثالثًا: إن أكله من الشجرة كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، فلم يكن نبيًا حين أكل منها بدليل قوله تعالى: ﴿**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾ [طه: ١٢٢].

ما الفرق بين الملائكة والجن؟

يعرف علماء التوحيد الملائكة بما يلي:

الملائكة: أجسام نورانية لطيفة، قادرة على التمثل والتشكل بأية صورة أرادوا، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، وأنهم مجبولون على العبادة والطاعة: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم: ٦].

وأنهم لا يتناسلون ولا يتناكحون ولهم قدرة خارقة، ولا تحكم عليهم الصورة.

وأما الجن: فهم أجسام نارية سفلية، مخلوقون من مارج من نار (أي من أخلاط نار صافية)، وأنهم قادرون على التشكل بأية صورة أرادوا، وأنهم يتناسلون

ولهم ذرية، وفيهم الذكر والأنثى، وهم مكلفون كالبشر، وفيهم المؤمن والكافر، وأن الصورة تحكم عليهم.

ومن هذا التعريف يتضح لنا بجلاء أن بين خلق الملائكة وبين خلق الجن تفاوتًا واضحًا، وتباينًا ظاهرًا في أصل الجبلة والخلقة.

فالملائكة مخلوقون من نور، والجن مخلوقون من نار، يدل لذلك قول النبي ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[(١)]، وقوله تعالى: ﴿**والجآنَّ خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [الحجر: ٢٧].

والملائكة ليس لهم نسل ولا ذرية، بخلاف الجن فإنهم يتناسلون ويتناكحون ولهم ذرية، كما قال تعالى عن إبليس: ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً**﴾ [الكهف: ٥٠].

فالملائكة يخلقهم الله تعالى خلقًا جديدًا مبتدءًا لأنه ليس فيهم ذكر أو أنثى حتى يحصل التناسل، أما الجن ففيهم الذكر والأنثى ويقع بينهم التناكح والتناسل كما هو الحال بين البشر.

والملائكة قادرون على (التمثل) بأمثال الأشياء، و(التشكل) بالأشكال الجسمانية المحسوسة، فقد ثبت ذلك في النصوص العديدة من الكتاب والسنة، قال تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا**﴾ [مريم: ١٧].

وقال تعالى عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الأبرار: ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم منكرون**﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

فقد دخلوا عليه في صورة رجال، وحين قدّم لهم الطعام امتنعوا عن الأكل، فأوجس منهم خيفة فأخبروه أنهم ليسوا بشرًا، إنما هم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك المكذبين من قوم لوط.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد برقم ٢٩٩٦، وقد تقدم الحديث.

وحين قدم الملائكة على نبي الله لوط عليه السلام جاءوه على صورة شباب مرد حسان، مما جعل السفهاء يطمعون بفعل الفاحشة بهم، حيث جاءوا يتسابقون إلى لوط عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿**وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد**﴾ [هود: ٧٨].

فالملائكة إذًا قادرون على التصور والتشكل بأي صورة شاءوا، وقد ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فسأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعن الساعة فأجابه الرسول عنها بالتفصيل، وأخيرًا سأل الرسول أصحابه: «**أتدرون من السائل؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١].

والجن أيضًا قادرون على التمثل والتشكل بأي صورة شاءوا، فقد اجتمعوا برسول الله ﷺ في صورة نفر من الرجال، وسمعوا القرآن، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، كما قال تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن...**﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩].

فهم يشبهون الملائكة من هذه الناحية، وهي قدرة (التمثل والتشكل) بأي صورة شاءوا، ولكنهم يختلفون عن الملائكة في أنهم تحكم عليهم الصورة بينما الملائكة لا تحكم عليهم الصورة، بمعنى أن الجنيّ لو تصور وتشكّل في صورة إنسان أو طير، وصوّب إنسان سهمًا نحوه فإن الجنيّ يموت كما لو قتله إنسان بسيف أو رمح، فيجري عليه حكم الصورة، بخلاف الملك فإنه لو تصور بصورة ما فإن هذه الصورة لا تحكم عليه، فلا يقتل الملك إذا ما سدّد إنسان سهمًا نحوه أو جُني عليه بجناية، فلا يناله شيء من الأذى فيما لو تشكل بصورة إنسان أو غيره.

ثم إن الملائكة يختلفون عن الجن في أنهم لا يأكلون ولا يشربون، وليس فيهم نزوع إلى الشرّ، وليس عندهم استعداد للمعصية، بل خلقوا على الاستقامة، وجبلوا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

على العبادة والطاعة كما قال تعالى: ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وكما قال تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم: ٦].

وأما الجن ففيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فهم كالبشر في هذه الناحية كما قال تعالى عن إبليس ﴿**كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾، وقال تعالى مخبرًا عنهم في سورة الجن: ﴿**وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا**﴾ [الجن: ١٤ - ١٥].

وهم مكلفون كسائر البشر بالتكاليف الشرعية، قال تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهم رسل وأنبياء يبلغونهم أوامر الله ونواهيه كما قال تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا**﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فقوله تعالى: ﴿**منكم**﴾ يدل على أن هناك رسلاً من الإنس، ورسلاً من الجن، وأما رسالة محمد ﷺ فهي لجميع الخلق إنسهم وجنهم كما قال تعالى: ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا**﴾ [الفرقان: ١].

والجن مخلوقون قبل الإنس يدل لذلك قول الله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون * والجآنَّ خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧].

الحمأ: الطين الأسود المتغير. والمسنون: المصوّر. والسموم: الريح الحارة القاتلة. والجن يرون البشر بينما البشر لا يرونهم يدل لذلك قوله تعالى: ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**﴾ [الأعراف: ٢٧].

ثم إن الملائكة يختلفون عن الجن في أن لهم قدرة عجيبة خارقة، فهم يستطيعون أن يقتلعوا الجبال، ويغوصوا البحار، ويقلبوا الأرض بأهلها، كما فعل

الملائكة بقوم لوط ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ وكما اقتلع جبريل عليه السلام جبل الطور ورفعه فوق بني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة..﴾ الآية [الأعراف:١٧١].

وللملائكة أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة أو أكثر كما قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [فاطر:١].

وفي الحديث الصحيح: أن الرسول ﷺ رأى جبريل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

الفرق بين الشياطين والجن:

والشياطين فرقة من الجن، وهم المردة العصاة، ورئيسهم إبليس اللعين عليه لعنة الله، فكل متمرد من الجن يسمّى (شيطانًا)، كما أنّ كل عاصٍ من الإنس يسمى (فاسقًا)، وكل جاحد يسمى (كافرًا)، فكل شيطان جني، وليس كل جني شيطانًا، قال تعالى: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾، والله الموفق.

العبرة من قصة آدم عليه السلام:

ونستخلص من قصة آدم أبي البشر بعض العظات والعبر وأهمها ما يلي:

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى قد كرّم هذا النوع البشري حين خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعله خليفة في الأرض، وهذا تكريم لآدم وذريته.

ثانيًا: إن الله تعالى قادر على كل شيء فقد يجعل من الأمر الحقير أمرًا هامًا وعظيمًا فقد خلق آدم من تراب ثم جعله بشرًا سويًا، وأفاض عليه من أسرار قدرته وبدائع حكمته ما جعله أهلاً للاستخلاف في الأرض، كما علّمه أسماء كل الأشياء مما عجزت عنه الملائكة الأطهار.

ثالثًا: إن على الإنسان أن يحذر مكائد الشيطان فقد كان السبب في خروج أبينا آدم من الجنة، وعداوته قديمة لنا منذ ظهور آدم: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا﴾ [فاطر: ٦].

فلا ينبغي أن ننخدع بوساوس إبليس اللعين فهو حرب علينا إلى يوم الدين.

رابعًا: إن الإنسان مجبول على الخطأ معرّض للنسيان، لأنه خلق من ضعف وما وقعت مخالفة آدم لأمر الله إلا بسبب ذلك الضعف البشري حيث استجاب لنداء اللعين إبليس ونسي أمر الله.

خامسًا: على الإنسان ألا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من عفوه فيما إذا وقع في خطيئة وحصلت منه سقطة، أو ألمّ بذنب، فقد علّمنا الله كيف نتوب إليه، وكيف نتخلص من الذنوب والآثام ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾.

سادسًا: الحياة قائمة على الابتلاء والامتحان، فكما ابتلي آدم بالنهي عن الأكل من الشجرة، لتظهر طاعته وخضوعه، كذلك ابتليت ذريته بالأوامر والنواهي، لتتحقق العبودية لله رب العالمين.

وفاة آدم عليه السلام:

وفاة آدم عليه السلام: وقد عاش آدم على ما ورد في بعض الآثار قرابة (١٠٠٠) ألف عام، وذكر الطبري في تاريخه أنه عمّر تسعمائة سنة وستًا وثلاثين سنة، ثم مات بعد ذلك ودفن على المشهور في الهند عند الجبل الذي أهبط فيه، وقيل: بجبل (أبي قبيس) بمكة المكرمة، ولما حضرته الوفاة جاءته الملائكة من السماء بكفن وحنوط من الجنة وبعد أن غسلوه وكفنوه حفروا له وألحدوه، وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثم حثوا التراب وقالوا: يا بني آدم هذه سنتكم [(١)].

رحم الله أبانا آدم وأسكنه فسيح جنته، وجمعنا معه في دار الخلد آمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/١٥٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/٩١).

الفصل الثالث

١ – سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين.

٢ – هو من أبناء آدم عليه السلام.

٣ – هو ليس أول خلق الله ﷺ .

٤ – هو لم يخلق من النور ﷺ .

سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ [1]

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾ [من سورة الأحزاب: الآيتان (٤٥-٤٦)].

محمد رسول الله ﷺ هو خاتم رسل الله جميعًا، ختم الله به النبوة والرسالة كما ختم بالقرآن العظيم الكتب السماوية، فكان ختام مسك، إذ هو آخر المرسلين وجودًا، وأولهم رتبة ومنزلة، فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة [2].

﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا» [3].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي» [4].

نسبه الشريف:

هو محمد بن (عبدالله) بن (عبد المطلب) بن (هاشم) بن (عبد مناف) بن (قُصيّ) ابن (كلاب) بن (مرّة) بن (كعب) بن (لؤيّ) بن (غالب) بن (فِهر) بن (مالك) بن (النضر) بن (كنانة) بن (خزيمة) بن (مدركة) بن (إلياس) بن (مضر) بن (نزار) بن (مَعَد) بن (عدنان) إلى أن ينتهي إلى (إسماعيل) بن إبراهيم عليهم السلام.

وكلُّ أجداده ﷺ هم من السادة الأشراف، ونسبه ﷺ من أشرف الأنساب، فما بعث الله نبيًّا إلا في أشرف نسب، وفي صحيح البخاري لمّا سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله ﷺ قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو

---

(١) من كتاب « قصص الأنبياء » للصابوني.

(٢) يلاحظ القارئ أنا قد ذكرنا هنا نبذة يسيرة عن رسالة خاتم الأنبياء ﷺ ولم نفصل لأن التفصيل يحتاج إلى كتاب خاص في تاريخ حياته ودعوته صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٦١٠، وقال: هذا حديث حسن، ورواه أحمد في المسند.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٦١٨، وقال: هذا حديث حسن.

فينا ذو نسب، فأجابه هرقل بقوله: (كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها)، يعني في أكرم قومها حسبًا، وأشرفها قبيلة.

وقد كانت ولادته ﷺ ولادة الطهر والشرف، لم يصبه شيء من عُهر الجاهلية، وكان بنكاح صحيح يشبه نكاح الإسلام، يشهد لذلك قول النبي ﷺ: «**إني خرجتُ من نكاح، ولم أخرج من سفاح**» [(١)]، وفي رواية عائشة: «**ولدت من نكاح غير سفاح**».

ورسول الله ﷺ هو من أولاد (إسماعيل) عليه السلام، وليس من أولاد (إسحاق) عليه السلام، وأنبياء بني إسرائيل كلهم من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وأمّا رسول الله ﷺ فقد كان من ذرية إسماعيل، ففي حديث مسلم: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[(٢)]، وفي رواية للترمذي: «**فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**».

ولادته:

ولد صلوات الله وسلامه عليه يوم الاثنين، الثاني عشر ١٢ من ربيع الأول عام الفيل، وذلك حوالي سنة (٥٧٠) ميلادية، أعني من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

قال ابن كثير: وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد يوم الاثنين [(٣)]. وقد روى ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. رواه أحمد.

وأمّا كونه ولد عام الفيل، فذلك مقطوع فيه، ولكن اختلفوا في اليوم والشهر والجمهور على أنه في الثاني عشر من ربيع الأول كما نصّ عليه ابن إسحاق في السيرة، وروي عن ابن عباس أنه قال: (ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين،

---

(١) الحديث أخرجه الأصبهاني في دلائل النبوة (١/١٦٥)، والطبراني في الأوسط وأشار إلى حُسنه.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الفضائل رقم ٢٢٧٦، والترمذي برقم ٣٦٠٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر : جامع الأصول (٨/٥٣٥).

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٦٠).

الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بُعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات)، قال في البداية والنهاية: وهذا هو المشهور عند الجمهور [١].

وأبوه هو (عبدالله بن عبد المطلب...) إلى آخر النسب الشريف كما مرّ سابقًا، واسم أمه (آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة...)، وهكذا حتى آخر سلسلة نسب الرسول صلوات الله عليه فتجتمع هي وزوجها في الجد السادس (كلاب بن مرة).

من هو ابن الذبيحين؟

يذكر المؤرخون وأهل السيرة أن رسول الله هو المسمّى (ابن الذبيحين) وقد ذكرنا أنه ﷺ من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل هو الذي أُمر إبراهيم عليه السلام بذبحه في المنام - كما مرّ في قصة إبراهيم الخليل- فإسماعيل هو (الذبيح الأول) وأمّا (الذبيح الثاني) فهو والد الرسول (عبدالله) الذي أراد عبد المطلب ذبحه للقصة الآتية:

قصة ذبح عبدالله:

قال ابن إسحاق: (وكان عبدالمطلب - فيما يزعمون - نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر ثمّ بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة، فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه وهم (الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبدالله)، جمعهم ثمّ أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحًا ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على (هبل) في جوف الكعبة وجاء يستقسم بالقداح، فخرج القدح على ابنه (عبدالله) وكان أصغر ولده وأحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبدالله وأخذ الشفرة ثم أقبل به ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس

---

(١) المرجع السابق (ص٢٦٠).

على هذا؟ ثم دلوه على عرّافة واسمها (سجاح) فأشارت عليه أن يقرّب عشرًا من الإبل ثم يضرب عليها بالقداح وأن يزيد حتى يرضى الربّ، ففعل فخرج القدح على عبدالله، فزاد عشرًا، ثم عشرًا إلى أن بلغت مائة من الإبل، فضرب فخرجت على الإبل، فقالت قريش: قد رضي ربك فذبح الإبل فداء لولده عبدالله ومنذ ذلك الحين أصبح يسمى الرسول «ابن الذبيحين»، اهـ، سيرة ابن إسحاق.

أسماء الرسول ﷺ:

هو سيدنا محمد ﷺ ويُكنى (أبا القاسم) و(أبا إبراهيم)، وله عدة أسماء، محمد، وأحمد، والماحي الذي يمحو الله به الكفر، والعاقب الذي ليس بعده نبي، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والمقفى، ونبيّ الرحمة، ونبيّ التوبة، ونبي الملحمة، والفاتح، وطه ويس، وخاتم النبيين [1].. وغيرها من الأسماء.

وقد بشّرت به التوراة والإنجيل وفيهما أوصافه صلوات الله عليه، كما قال تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل...**﴾ الآية.

واسمه في التوراة (أحمد) وكذلك في الإنجيل، وقد بشّر به السيّد المسيح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..**﴾ الآية [الصف: ٦].

ولكنّ النصارى طمسوا تلك المعالم كلها، وأنكروا كل وصف له في الإنجيل حسدًا وبغضًا، وزعموا أن الذي بشّر به المسيح هو غير محمد وهم ينتظرونه، وأما ما ورد في (إنجيل برنابا) من أوصاف الرسول ﷺ فقد كذبوا به وأنكروا الإنجيل من أصله لئلا يقروا بنبوته ﷺ.

قال القاضي عياض في كتابه «الشفا»: وأما اسم (أحمد) الذي أتى في الكتاب، وبشّرت به الأنبياء، فمنع الله بحكمته أن يسمّي به أحد غيره، ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك (محمد) لم يسمّ به

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/٢٥٢).

أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبيًا يبعث اسمه أحمد، فسمّى قوم من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم... [(١)].

ورسول الله ﷺ هو أثر دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك**﴾، ولهذا قال ﷺ: «**أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**» [(٢)].

صفة الرسول في التوراة:

روى الإمام أحمد عن عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبدالله بن عمرو بن العاص فقلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح الله بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا)[(٣)].

وروى ابن إسحاق عن حسّان بن ثابت أنه قال: (إني لغلام يفعة – ابن سبع سنين، أو ثمان سنين – أعقل ما رأيت وسمعت، إذا بيهودي في يثرب (المدينة المنورة) يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود فاجتمعوا إليه – وأنا أسمع – فقالوا: ويلك مالك؟ قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة) [(٤)].

مرضعات الرسول:

أرضع الرسول ﷺ أمّه (آمنة بنت وهب) و(ثويبة الأسلمية) و(أم أيمن) و(خولة بنت المنذر) وأكثرهن إرضاعًا له (حليمة السعدية) رضي الله تعالى عنها. قدمت (حليمة) مع عشرة نسوة من بني سعد إلى مكة يلتمسن الرضعاء، في سنة شهباء شديدة المجاعة، فعُرض رسول الله ﷺ عليهنّ من أجل إرضاعه، فما قبلته

---

(١) انظر كتاب الشفا في حقوق المصطفى للإمام القاضي عياض.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/١٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفتح، وأحمد في المسند (٣/١٧٤).

(٤) انظر : السيرة النبوية لابن إسحاق، والبداية والنهاية لابن كثير.

امرأة منهنّ لأنه يتيم، فكان كلما عرض على واحدة منهن تقول: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمّه؟ إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فأمّا أمّه فماذا سنرجو منها؟! وجاءت (حليمة) إلى (عبدالمطلب) تطلب رضيعًا فقال لها: إنّ عندي غلامًا يتيمًا وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين أن يأخذنه، فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به؟ فاستشارت زوجها (الحارث بن عبد العُزى) فقال لها: لا بأس عليك أن تفعلي فعسى أن يجعل الله لنا فيه خيرًا وبركة.

تقول حليمة رضي الله عنها: فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام زوجي إلى شارفنا فإذا بها مملوءة لبنًا، فحلب لنا ثمّ شرب وشربنا حتى روينا فبتنا بخير ليلة فقال زوجي: يا حليمة والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة !!

ثم خرجنا راجعين فقطعت الركب بأتاني حتى ما يسبقني أحد، فكلما مررت على صواحبي قلن لي: يا حليمة هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لهي، فيقلن: والله إنّ لها لشأنًا.. قالت: حتى أتينا أرض سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تسرح ثم ترجع شباعًا لبنًا نحلب منها ما شئنا، وترجع أغنامهم جياعًا ما فيها قطرة لبن، فلم يزل الله تعالى يرينا الخير والبركة حتى بلغ سنتين، فكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلامًا جفرًا قويًا [1].

حادثة شق الصدر:

بينما رسول الله ﷺ مع إخوته من الرضاع يرعى غنمًا لحليمة السعدية إذ جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه، فجاء أخوه من الرضاع يشتدّ نحو بيت حليمة فأخبرها الخبر، قالت: فخرجت أنا وأبوه نشتد (نسرع) نحوه فوجدناه قائمًا منتقعًا لونه، فاعتنقه أبوه وقال: يا بنيّ ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئًا فطرحاه، ثم ردّاه

---

(١) انظر سيرة ابن إسحاق.

كما كان، قالت: فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نردّه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نخاف عليه، قالت حليمة: فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت: ما شأنكما، لقد كنتما عليه حريصين، فقالا لها: لقد خشينا عليه التلف والحدث - وحدثاها بقصته - فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله إنه لكائن لابني هذا شأن.

ثم قالت أمه آمنة: ألا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى! قالت: إني لمّا حملت به ما حملت حملاً قط أخف منه، فأريت في النوم حين حملت به كأنّه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما ولدته رأيت منه عجبًا، رأيته رافعًا رأسه إلى السماء معتمدًا على يديه، كأنه يريد أن يتكلم فدعاه عنكما...[1].

قال ابن كثير: وهذا الخبر روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة بين أهل السير والمغازي، وقد وقعت حادثة شق الصدر لرسول الله ﷺ في صغره وعمره قريب من ثلاث سنين، وكان لا يزال عند (حليمة السعدية) كما وقعت له حادثة أخرى تماثلها قبل الإسراء، وذلك حين شقّ صدره واستخرج قلبه الشريف فغسل بماء زمزم واستخرج منه حظ الشيطان وملئ جوفه حكمة وعلمًا[2].

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة أن بعض الصحابة سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن نفسك، قال: «**نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني (سعد بن كعب) فبينا أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض، معهما طست من ذهب مملوء ثلجًا، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بمائة فوزنتهم، ثم**

---

(١) انظر البداية والنهاية (ص٢٧٥).

(٢) الحديث مروي في الصحيحين.

قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم»[١]، قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي.

يتلخص من هذا أن حادثة شق الصدر للرسول الأعظم ﷺ قد وقعت له مرتين في صغره حين كان مسترضعًا عند حليمة السعدية، ومرة في كبره وذلك في ليلة الإسراء كما ثبت ذلك في الصحيحين، وليس هذا بالأمر المستغرب على قدرة الله عز وجل، فقد أصبح الشق في زماننا أمرًا مألوفًا، يفعله الطبيب الجراح بالشخص المريض، فيستخرج قلبه ويجري فيه العملية الدقيقة ثم يرده إلى مكانه والمريض لا يشعر بألم أو غيره ويرجع المريض صحيح الجسم، قويّ البنية كأنه لم يكن به مرض، كما أصبحت عملية (زرع القلب) شائعة في كثير من البلدان، والعمليات الجراحية اليوم أصبحت مألوفة وعاديّة بحيث تجرى في أدقّ أقسام البدن، أفيكون شق صدر الرسول ﷺ مستحيلاً على قدرة الله عز وجل حتى ينكره بعض ضعفاء الإيمان!! ويؤولوا الحادثة تأويلاً باطلاً ما أنزل الله به من سلطان!!.

أولاد الرسول:

أولاد الرسول ﷺ سبعة، وكلهم من خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فهو من مارية القبطية، وهم كالآتي:

١ -القاسم: وهو أكبر أولاده، وبه يُكنى صلوات الله عليه، وقد عاش سنتين ثم مات.

٢ - عبدالله: وهو الثاني من الذكور وقد مات صغيرًا في حياة الرسول.

٣ - زينب: وهي أكبر بناته تزوّج منها أبو العاص.

٤ - رقية: تزوج منها عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٥ - أم كلثوم: تزوج منها عثمان أيضًا بعد وفاة رقية بسنة.

٦ - فاطمة الزهراء: تزوّج منها علي بن أبي طالب، وتسلسل منها آل بيت النبوة، وكلّهم ولدوا قبل البعثة إلا السيدة فاطمة فبعد النبوة بسنة.

(١) انظر البداية والنهاية (ص٢٧٥).

٧- إبراهيم: وهو من مارية القبطية التي تزوّج بها بعد وفاة خديجة. وكل أولاده ماتوا قبله إلا السيدة فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر، رضي الله عنهم جميعًا.

قال ابن هشام: وكان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمسًا وعشرين سنة.

ولم يعدد رسول الله ﷺ زوجاته إلا بعد وفاة السيدة خديجة، وذلك لحكم جليلة منها: (تعليمية، وتشريعية، واجتماعية، وسياسية) (١) ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

حياة الرسول في كلمات:

حياة الرسول الأعظم ﷺ تحتاج إلى مجلدات ضخمة وإلى كتابة موسعة عن نشأته ودعوته ورسالته، ولذلك فإننا سنذكر بعض النقاط ونجتزئ بها:

١- نشأ الرسول ﷺ على اليتم والاغتراب وخشونة العيش وآلام الحياة فقد توفي أبوه عبدالله قبل ولادته وهو جنين في بطن أمه فجاء يتيمًا محرومًا من عطف الأب وحنانه.

٢- ولما بلغ من العمر أربع سنين أرجعته (حليمة السعدية) مرضعته إلى أمّه في مكة فبقي عندها مع جده (عبدالمطلب) في كلاءة الله ورعايته وحفظه، ينبته الله نباتًا حسنًا، لما يريد به من كرامته وتوفيقه.

٣- ولما بلغ من العمر ست سنين أخذته أمه (آمنة) إلى المدينة المنورة لزيارة بني النجار أخوال أبيه، فماتت وهي راجعة إلى مكة في (الأبواء) بين مكة والمدينة فأصبح رسول الله ﷺ يتيم الأبوين.

٤- بقي رسول الله ﷺ في كفالة جده عبد المطلب بعد وفاة أمه، وكان جده يحبه ويكرمه، ويجلسه على فراشه الذي يفرش له في ظلّ الكعبة، وكان أولاده لا يجلسون على الفراش إجلالاً لأبيهم، فإذا جاء رسول الله وهو غلام جفْر وأراد الجلوس منعه أعمامه فكان عبد المطلب يقول لهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنًا، ثمّ

---

(١) انظر هذه الحكم مفصّلة في كتابنا ((روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن)) ٢/٣٣٠.

يجلسه معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده ويلاطفه، وهذا من عناية الله تعالى به وجميل إحسانه إليه ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾.

٥- بعد سنين من كفالة جده عبدالمطلب توفي جده فكفله عمه (أبو طالب) وكان الرسول ﷺ ابن ثماني سنين، وقد أوصى جده قبل وفاته به أبا طالب فكان أبو طالب يكرمه ويعطف عليه لأنه ابن أخيه (عبدالله) وتنفيذًا لوصية أبيه. وهكذا توالت النكبات على رسول الله، فلم يعتن به مؤدب ولم يوجهه مدرب، ولكنّ الله عز وجل حفظه ورعاه، ونشّأه على كمال وخلق عظيم: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**».

٦- تزوج ﷺ بخديجة لما بلغ من العمر ٢٥ سنة، وأوحى الله تعالى إليه لما بلغ ٤٠ أربعين سنة وذلك حوالي سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام، وأمره بتبليغ ما أنزل إليه بعد ٣ ثلاث سنوات من نبوته، فقام يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولبث يدعو إلى الله في مكة وما حولها نحوًا من عشر سنين حتى أذن الله له بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة).

٧- هاجر الرسول إلى المدينة وجعلها مركز دعوته، وعاصمة دولته الدينية - دولة الإسلام - وكان ذلك بأمر من الله تعالى وتوجيه منه، فهاجر ومعه (أبو بكر الصديق) لا فرارًا من زحف، ولا خوفًا من قتل، وإنما بتخطيط وتدبير من العليّ القدير، وبذلك بدأت نواة (الدولة الإسلامية) وقام بنيان الجماعة المحمدية التي فتحت - فيما بعد - مشارق الأرض ومغاربها، ونشرت الإسلام في ربوع العالم، وكلمةُ الله هي العليا.

٨- ولما أكمل الله للناس دينهم، وأتم عليهم نعمته، وأدّى رسوله محمد ﷺ الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وفتح عليه بالنصر المبين، اصطفاه الله تعالى إليه، واختاره لجواره، فقبض روحه، وكان ذلك في يوم الاثنين من ربيع الأول لسنة ١١ من الهجرة النبوية.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

شمائله العطرة ﷺ:

إذا كان من واجب الأمم، التي تسعى لحياة العزة والكرامة، أن تتعرف على عظمائها، وقادتها، وسادتها - الذين خلدوا ذكرها، ورفعوا قدرها، وفرضوا احترامها على سائر الشعوب - وأن تنزلهم منها منزلة السيادة والريادة، فإن من واجب كل مسلم، بل من واجب كل إنسان عاقل أن يعرف شمائل هذا النبي الكريم، والرسول الهادي الأمين، الرحمة المهداة، والسراج المنير، الذي شرف الله به البشرية، ورحم به الإنسانية، بعد أن كانت تسير في متاهات الضلالة، وتوشك أن تتردى في هاوية الشقاء والجحيم.

وإذا كان فضل الله على الإنسانية عظيمًا، ببعثه سيد المرسلين (محمد بن عبدالله) صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فإن فضله على العرب أعظم وأجلّ، حيث بعثه الله منهم تشريفًا لأمة العرب وتكريمًا، فأيقظهم من السبات، وأنقذهم من الضلالة، وأحياهم بعد أن كانوا في حكم الموتى، لا وزن لهم ولا قدر، فجعلهم الله ببركة بعثته خير الأمم، وجعلهم مشاعل النور والضياء في هذه الأرض.

وإذا كانت معجزة عيسى إحياء بعض الموتى، فإنّ معجزة محمد إخراج أمة من العدم، لتتبوأ مكان الصدارة في ربوع المعمورة، وما أبدع هذا التصوير في قول أمير الشعراء:

أخوك عيسى دعا ميتًا فقام له ... وأنت أحييت أجيالاً من العدم

وهذا ما يذكرنا به القرآن العزيز، حين يتحدث عن بعثة فخر الكائنات محمد ﷺ فيقول: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [الجمعة:٢].

إي والله، لقد كان أجدادنا العرب في ضلال مبين، وأي ضلال أعظم، وأي خسران أكبر، من أن يأخذ الإنسان حجرًا فينحته بيديه، ويصنعه على مزاجه، ثم يركع له ويسجد، ويعبده عبادة المخلوق للخالق، ويتخذه ربًا يتضرع إليه، لجلب الرزق والشفاء، ودفع المكروه والبلاء؟؟.

وصدق الله العظيم: ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ [الحج: ٧٣].

والأعجب من هذا أن يتخذ الرجل إلهًا له من العجوة، فإذا ما جاع بلعه؟!

بل أي سفه وجهل، أكبر وأعظم من أن يسعى الإنسان إلى ابنته - فلذة كبده - فيدفنها وهي حية تحت التراب، لا لذنب جنته، أو جرم فعلته، إلا لأنها أنثى، وهو يحب البنين ويكره البنات؟ ﴿وإذا الموءودة سئلت* بأي ذنب قتلت﴾؟ أي: ما ذنبها وما جرمها حتى دفنتموها وهي حية تحت التراب؟.

ولنقرأ هذه الآيات البينات، وهي تكشف لنا عن صورة قاتمة، من حياة أجدادنا العرب، في كراهتهم وتشاؤمهم من ولادة زوجاتهم للبنات: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

أي: أيترك هذه الأنثى على قيد الحياة، ويلحقه الذل والهوان بسببها.

﴿أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾.

من غرائب القصص والأخبار:

وإليكم هذه القصة التي يتصدع لها القلب، وينفطر ألمًا وحسرة، ولا يكاد يصدقها الإنسان، لولا أنها حقيقية واقعية:

(روي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، كان لا يزال مغتمًا حزينًا في مجلس رسول الله ﷺ، فقال له الرسول الكريم: «**ما لي أراك أبدًا كئيبًا محزونًا؟**» فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنبًا في الجاهلية، وأخاف أن لا يغفره الله لي ولو أسلمت! فقال له: «**أخبرني عن ذنبك؟**» فقال: يا رسول الله، إني كنت ممن يئدون بناتهم - أي يقتلون البنات - فولدت لي زوجتي بنتًا، فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها لها فتركتها، حتى إذا كبرت وأدركت، وصارت من أجمل البنات، خطبها الكثيرون فدخلتني الحمية، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زواج، فاحتلت على زوجتي فقلت لها: إني أريد أن أذهب لزيارة أقربائي فابعثيها معي تتسلى، فسُرّت بذلك، وزينتها بالحلي والثياب وبعثتها معي، فذهبت بها خارج المدينة إلى رأس بئر، فنظرت في البئر، ففطنت البنت بأني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وأخذت تبكي

وتتضرع إلي أن أتركها وتقول: يا أبت لا تضيع وصية أمي، قال: فرحمتها ثم دخلت علي الحمية ثانية، وغلبني الشيطان لأغسل عن نفسي العار، فأمسكت بها بقوة وألقيتها منكوسة على رأسها في البئر، ومكثت هناك حتى انقطع صوتها، فرجعت إلى بيتي وأنا مطمئن البال لأنني قد أزلت عني ذلك العار. فلما سمع الرسول تلك القصة بكى، وبكى معه أصحابه، ثم قال له: «**لو كنت معاقبًا أحدًا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك على ذلك الذنب**»)، تفسير القرطبي (٧/٩٧).

هذا طرف من السفه والضلال الذي كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام، قال الزمخشري في تفسيره الكشاف: (كان الرجل في الجاهلية يحلف، لئن ولد له كذا من الأولاد، لينحرنّ أحدهم، كما حلف عبد المطلب). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام: ﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين**﴾ [1]).

المنّة العظمى بعثة السراج المنير:

ولسنا الآن في صدد الحديث عن جهالات العرب، وإنما ذكرنا شيئًا يسيرًا لنعرف فضل الله علينا ببعثة المنقذ السراج المنير ﷺ، ولنشكر الله على هذه المنة العظمى حيث أخرجنا به من الظلمات إلى النور.

وأول ما ينبغي أن نتذكره من سيرة هذا النبي العظيم، أن الله شرف به الإنسانية، فجعله هاديًا وبشيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وامتنّ على المسلمين بأعظم منة، وأفضل كرامة، ألا وهي «بعثة خاتم الرسل» مزكيًا، وهاديًا، ومرشدًا، ولنستمع إلى هذه الآيات البيّنات في كتاب ربنا الجليل وهي تذكرنا بالمنة العظمى على المؤمنين: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ [آل عمران:١٦٤].

فبعثته صلوات الله عليه هي المنة الكبرى، والنعمة العظمى، بل كان ﷺ الرحمة المهداة لأهل الأرض كما قال صلوات الله عليه: «**إنما أنا رحمة مهداة**» ، وما

---

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير (١/٦٢٤).

أروع هذا التصوير الذي صور به القرآن النبي الكريم حين قال سبحانه في وصفه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

صفته ﷺ في التوراة:

ولنمعن النظر فيما وصفه الله به في الكتب السماوية، وما خصّه به من المزايا والشمائل الحميدة، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سئل عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة – وكان عبدالله قبل إسلامه يقرأ التوراة – فقال: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين – أي حصنًا للعرب – أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله، حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا »[(١)].

حقًا لقد أقام الله به الملة العوجاء فأنار به البصائر، وأحيا به القلوب الميتة، وشع نور الإسلام على بقاع الأرض، فملأ الدنيا نورًا وعدلاً، وحكمة وعلمًا، وعلت راية «لا إله إلا الله » ودخل الناس في دين الله أفواجًا بعد أن كانوا يعبدون حجارة صماء، لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، وفتح الله به أعينًا أعمتها الضلالة عن رؤية نور الحق، وصمت آذانها عن سماع كلمة التوحيد، وحجبت بصائرها عن مشاهدة دلائل وجود الله ووحدانيته، فإذا بتلك الحجب تزول، وبتلك السحب تنقشع، فيعم الهدى أرجاء الأرض، بعد أن خيم عليها الظلام قرونًا عديدة، وإذا برعاة الغنم يصبحون سادة الأمم وملوك العالم، ويصبح لهم عز ودولة وسلطان.

أخلاقه وشمائله ﷺ:

سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت تلك الكلمة الصغيرة الجامعة: (كان خلقه القرآن)، ومعنى هذه الكلمة الرائعة أن أخلاقه وشمائله، كانت تجسيمًا وتجسيدًا للقرآن الكريم، فما من فضيلة دعا إليها القرآن، ولا من كرم ونبل حث عليه الدين، إلا كان متمثلاً فيه، متجسمًا في أخلاقه ﷺ، فهو الأنموذج الكامل، والشخصية المثالية، والصورة الحية الناطقة، التي تجسد وتمثل آداب القرآن، وفضائله السامية، ولهذا جاء الثناء العاطر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح، وأحمد في المسند (٣/١٧٤).

من رب العزة والجلال على هذا النبي الكريم بقوله سبحانه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

وزيادة في الإيضاح والبيان، فقد حبا الله حبيبه المصطفى ﷺ مزايا قلّ أن توجد في أحد من البشر، مهما حلّق في سماء الفضيلة والكمال، وبلغ ذروة العز والسؤدد، تلك هي خصائصه وشمائله التي انفرد بها هذا النبي الكريم، يصورها لنا القرآن أبدع تصوير، فيقول تقدست أسماؤه: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾.

وصفه تعالى بأوصاف زكية سنية، جليلة فريدة، واختار له تعالى من أسمائه القدسية اسمين (الرءوف) و(الرحيم) فقال: ﴿**بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾، قال ابن عباس: (لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه إلا لمحمد عليه السلام).

ولا عجب فذاك مقام من رفع الله قدره على العالمين، وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين، ولنمعن النظر في هذه الآية الكريمة، فقد جاءت بأسلوب التأكيد «قد»، و«لام القسم» ليذكرنا تعالى بالنعمة العظمى، والمنة الكبرى، ببعثة هذا السراج المنير ﴿**لقد جاءكم رسول**﴾ أي والله لقد جاءكم أيها الناس، رسول عظيم القدر، رفيع الشأن، ثم قال: ﴿**من أنفسكم**﴾ أي: من جنسكم من البشر، رسول عربي، هاشمي، قرشي، تعرفون حسبه ونسبه، وصدقه وأمانته، وطهارته ونزاهته، ثم قال تعالى مبينًا ما تحلى به هذا الرسول من جميل المناقب: ﴿**عزيز عليه ما عنتم**﴾ أي: صعب وشاق عليه ما يوقعكم في الحرج والمشقة والضيق ﴿**حريص عليكم**﴾ أي: حريص على هدايتكم، ووصول النفع إليكم ﴿**بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ أي: هو شديد المحبة، عظيم الرأفة والرحمة على أمته، لا يريد لهم إلا كل جميل وإحسان، وخير وفلاح، وهكذا أشاد بفضله القرآن، ويا له من ثناء عاطر من رب العزة والجلال على هذا الرسول المجتبى!!

من مظاهر شفقته ورحمته بالأمة:

ولعلنا ندرك طرفًا يسيرًا من شفقة هذا النبي على أمته ورحمته بها، فقد كان يخاف عليها الهلاك، وتترقرق الدموع في عينيه إذا ذكر أمته، خوفًا عليها أن تزل أو تضل، أو يعذبها الله كما عذب الأمم قبلها، بسبب تكذيبها لنبيها، أو إعراضها عن شرعه ودينه، ذلك ما كان يحذره ﷺ ويخافه على أمته، ويبكي من أجله، وقد أمنه

الله جل ثناؤه بقوله: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون**﴾ [الأنفال: ٣٣]، فقد رفع الله عن هذه الأمة ببركته عذاب الاستئصال يعني الهلاك والدمار الذي أصاب من سبق لتكذيبهم للرسول الذي أرسل إليهم، أما نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد بعثه الله رحمة للعالمين، فهو رحمة لجميع الخلق. رحمة للمؤمن بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب، ولنمعن النظر في التعبير القرآني البديع: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾، وكأن الآية تقول: إكرامًا لك يا محمد لن يهلكهم الله بعذاب الاستئصال، كما جرى على من قبلهم من الأمم السابقين، وهذا من آثار الرحمة التي عمّ الله بها أهل الأرض، ومن مظاهر شفقته ورحمته على أمته ما أخرجه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وتلا قول عيسى عليه السلام: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي، أمتي**» وبكى، فقال الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره بما قال - وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك[1]. وصدق الله العظيم: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾، اللهم اجعلنا من أمته وأحبابه وأتباعه في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٠٢).

الفصل الرابع

خير البِشَر بخير البَشَر ﷺ

ترجمة المؤلف

هو أبو عبدالله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي الحموي – نسبة إلى محافظة حماة بدولة سوريا الشقيقة –.

ولد في (صقلية) سنة (٥٠٠هـ)، ونشأ في مكة المكرمة، ومنها ارتحل إلى مصر – بلدنا الغالية التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم خمس مرات، والذي أطلق عليها هذا الاسم (مصر) هو مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام – وإفريقيا، وأقام بالمهدية فترة من الزمن، ثم عاد إلى مسقط رأسه "صقلية" فاستقر بها قليلاً، ولكنه كان مولعًا بالتطواف رغبة في العلم، وطلبًا للرزق، فقصد مصر مرة ثانية، ثم رحل منها إلى حلب، وجال في الأندلس والمغرب، وأخيرًا استقر به المقام في حماة، فنسب إليها، وظل بها يدرس العلم ويؤلف فيه، حتى وافته منيته سنة ٥٦٥ هـ.

ولقد قاسى ابن ظفر في حياته كثيرًا من المحن والشدائد، وامتحن بألوان من البلاء، منها أنه في أثناء إقامته في حلب وقعت فتنة كبرى بين الشيعة وأهل السنة، كان ضحيتها كتب ابن ظفر ومؤلفاته التي نهبت، وكان إذ ذاك يقيم في مدرسة ابن أبي عصرون.

وحين أقام في حماة ابتلي بشظف العيش وضيق الرزق، حتى لقد ظل يكابد الفقر حتى مات، على الرغم من إقبال الناس عليه والتفاف الطلاب من حوله، وقد أُجري عليه رزق في نظير انقطاعه للتعليم ولكنه كان دون الكفاف، ولقد قيل: إنه زوّج ابنته في حماة من غير كفء لها لضيق ذات اليد، ولم يحسن زوجها معاملتها.

وكان صابرًا محتسبًا يتقبل تصاريف القدر بجنان ثابت وقلب مطمئن، يدل على ذلك التزامه بالتأليف والتعليم وعدم انقطاعه عن تلاميذه تحت ضغط العوامل النفسية التي يولدها الشعور أحيانًا بسوء التقدير من المسؤولين وأولياء الأمور لرجل وقف حياته على العلم، فلا أقل من أن يكفى مؤونة الحياة على وجه يليق بكرامة العلم والعلماء.

منزلته وعلمه:

بلغ ابن ظفر في حياته منزلة عظيمة في العلم، وصادف قبولاً كثيرًا من الطلاب وأهل العلم، ونظرة إلى ثبت مؤلفاته تدل على فضله وتقدمه، فقد أشارت المصادر المختلفة إلى هذه المؤلفات التي نذكر منها ما يلي:

١-التفسير الكبير للقرآن الكريم.

٢-ينبوع الحياة - تفسير أيضًا-.

٣-الاشتراك اللغوي - كتاب في اللغة-.

٤-الاستنباط المعنوي.

٥-القواعد والبيان في النحو.

٦-ملح في اللغة، وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه.

٧-كتاب الحاشية على درة الغواص للحريري - استدرك فيه على الحريري بعض آرائه حول القضايا اللغوية، وشاركه في ذلك ابن بري.

٨-المطول في شرح المقامات.

٩-المختصر في شرح المقامات أيضًا.

١٠-سلوان المطاع في عدوان الاتباع، وقد ذاع هذا الكتاب ذيوعًا كبيرًا وترجم إلى عدة لغات وطبع أكثر من مرة.

١١-كتاب أنباء نجباء الأبناء، وهو كتاب قيم، يدل على معرفة واسعة واطلاع غزير.

١٢-معاتبة الجريء على معاقبة البريء.

١٣-أساليب الغاية في أحكام آية.

١٤-أرجوزة في الفرائض.

١٥-خير البِشَر بخير البَشَر، وهو الذي بين يدي القارئ الآن، وهذا الكتاب خير مُعرّف بصاحبه ومترجم له، فهو يشهد له بالمعرفة والاستقصاء وجودة الأسلوب وحسن الأداء ودقة التحقيق.

وله إلى جانب ذلك شعر جيد، أورد منه العماد الأصفهاني في كتابه "الخريدة" جملة صالحة، كما ترجم له معجم الأدباء وابن خلكان والسيوطي في بغية الوعاة، وغير هؤلاء ممن لهم عناية بترجمة العلماء والأدباء.

ومن شعره الذي ينم عن حاله:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه   ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطبـــــاره   فقد قل فيمـــا يرتجـــيه نصيبه

ولقد كان ابتلاء ابن ظفر كفئًا لمنزلته وقدره استنادًا إلى الأثر الشريف: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**».

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

قال عبد الله الفقير إليه محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر رحمه الله تعالى:

الحمد لله مُولي أوليائه الرفعة والتمكين، ومُبلي أعدائه الضعة والتوهين، جاعل العاقبة للمتقين، ومدير دائرة السوء على المارقين، مرسل سيدنا المصطفى محمد ﷺ بخير الملل، على حين فترة من الرسل، داعيًا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [الأنفال: ٤٢]، ولم يزل ﷺ منذرًا نصيحًا، ومُعذرًا مُشيحًا، حتى شق عن رِمة الهدى ضريحًا، وفتح له بصرًا طموحًا، ومدّ منه ذراعًا مشبوحًا، ونفخ في شبحه روحًا، وساس عباد الله بما إليه يُوحى، فصدعوا بتوحيد الله تصريحًا، وأوسعوا الخافقين تقديسًا وتسبيحًا، لا جرم أن الله سبحانه وتعالى أقطعه الرفيق الأعلى، ورآه للحوض والشفاعة أهلاً، وجمع له زُلَف الآخرة وَشَرَف الأولى، فضاعف الله له أسمى صلواته وأنمى زكواته، وسلّم عليه تسليمًا.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى أقام أقوامًا من عباده حلا بهم عواطل بلاده، فجعلهم رحمة مُهداة ونعمة مُسداة، ومنّة مسداة مبداة، همُّهم أن يُجيروا من إهانة الغلّ أسيرًا، ويجبروا من إضاعة القل كسيرًا، ويصونوا عن خسف الغير وجيهًا ويُعينوا على كلف المروءة نبيهًا، وإنّ من أرفعهم نفسًا وقومًا، وأنفعهم أمسًا ويومًا أخي ووليي في الله سبحانه الشيخ الأجلّ الرئيس الحسيب العالم الحبر الفاضل «صفي الدين أبا الرضي أحمد بن هبة الله بن أحمد بن علي بن قرناص - أيده الله تعالى- فهو المتوحد في العصبية للعُصبة العلمية والبيئة الأدبية، في عصر صحت به سماؤهم، وكُشطت[1] أسماؤهم، وأوسعوا جنفًا وخُسرًا، وأرهقوا من أمرهم عسرًا، فهو المهدي إلى نفائس الصنائع، المعنيّ بتوضيع المتكبر وتكبير المتواضع، فأجزل الله له

---

(١) كشطت: كشفت وأزيلت، وربما يكون قد حدث سهو من الناسخ فأسقط مثلاً كلمة (بعد) أو كتبت بدلها الواو. وتكون العبارة على هذا التقدير: بعد أن كشطت أسماؤهم، وبذلك يصح معنى العبارة.

المواهب، وأحمد له العواقب، وصرف عنه علاية الشوائب، ووقاه مكروه النوائب، وذلك على الله يسير.

وإني لما هاجرت من المغارب القصية، إلى حرم المملكة النورية [١]، التي أخفقت بسنائها قلوبَ الأملاك شرقًا وغربًا، وأطبقت على أعدائها عجاجَ الهلاك كيدًا وحربًا، فتبرجت الأقاليم لخطبة أقلامها، وخرت المعاقل بين يدي أعلامها، فأدام الله لها التمكين في بلاده، وأيدها بالصلحاء النصحاء من عباده، آمين.

أهابت بي الأقدار إلى معاسف[٢] أوسعتني بهرًا، وأرتني السها[٣] ظُهرًا، فبينا أحن أثر الصبر المزائل[٤]، وأنوء[٥] تنواءَ الفصال الهزايل، تداركني الله - فله الحمد والمنة - من وليٍّ- ووليي في الله الحسيب الرئيس الحبر «صفي الدين» - حرس الله عزه- بمظنّة مرتاد، وأظفرني بقرة عين وطمأنينة فؤاد، وأضافني منه إلى جارٍ كأبي دُؤاد[٦]، فرأيت أن أتحفه بهذا الكتاب المطرّز بحميد ذكره، الخطيب بارتفاع قدره واتساع فخره، المؤكّد بقاء اسمه في الآخرين، المخلد بثبات رسمه في حلبة الفاخرين، فرب غائبٍ مثلته الكتب شاهدًا، وهالك جعلته الصحف خالدًا، فأحليته منه روضة بهيجة المنظرِ، متنوعة الشجر، يانعة الثمر، ذات قطاف ذُلل دانية، ونطاف[٧] غلل جارية، ونسيم ألين من مسك السمور[٨] هبوبًا وأبين من المسك المفتت طيبًا، فأعجب بها روضة لا ينقل نحوها قدما، ولا يعمل إليها حافرًا ولا منسمًا، لا بل

(١) المملكة النورية نسبة إلى الملك نور الدين محمود.

(٢) العسف: الأخذ على غير الطريق. والبُهر بالضم: تتابع الأنفاس، وبالفتح المصدر، يقال: بَهرَه الحمل: أي أوقع عليه البُهر، فانبهر أي تتابع نفسه.

(٣) السها: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.

(٤) المزائل: المفارق، وأحن أثر الصبر أتوق إليه وأتشوق. وأجن بالجيم: أكتم.

(٥) ناء الحمل: نهض به مثقلاً، وناء به الحمل: أثقله، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة، والهزايل المهزولة، من الهزال وهو ضد السمن.

(٦) هو أبو داود الإيادي: حارثة بن الحجاج، شاعر جاهلي جاور الحارث بن همام فأحمد جواره، ولد فيه قصائد رائعة، مهذب الأغاني (ج١).

(٧) النطاف: جمع نطَفة وهي الماء الصافي قل أو كثر.

(٨) السمور: دابة يتخذ من جلودها فراء غالية الأثمان لونها أسود.

تُلبى فمه كلما دعا، وتتبع إن شاء قدمه أينما سعى، إن قربها أجلته عُجاب الأعجاب وأجنته لباب الألباب، وإن حجبها للإغباب فلها ألباب بالباب.

وهو كتاب صَنفتُ به مُلَح البشارات المقدمات بين يدي مبعث سيدنا المصطفى محمد ﷺ، وهي أربعة أصناف:

فالصنف الأول: ما جاء من ذلك في كتب الله عز وجل، مجيئًا لا مُنكر له.

والصنف الثاني: ما جاء على ألسنة الأحبار.

والصنف الثالث: ما جاء منه عن الكهان.

والصنف الرابع: ما جاء منه عن الجانّ.

وسميته: «خير البِشَر بخير البَشَر»، والبِشَر بكسر الباء جمع بِشْرة، والبِشَارة نفسها، وقد يراد بها ظهور البِشْر، كالاستبشار، وقد يراد بها أيضًا هيئة البِشْر مثل الرِكبة، واللبسة، والمشية، والجِلسة.

وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى اعتناءً بحقه واستغناء به عن خلقه، آمين.

الصنف الأول من خير البشر بخير البشر

البشارة بالنبي ﷺ في الكتب السابقة

ما جاء في التوراة:

قال محمد عفا الله عنه: قرأت فيما ولي أحبارُ اليهود ترجمته من التوراة ما لفظه[١]:

«وطاف إبراهيم بهاجر فحملت، فلما رأت أنها حامل خفت ربتُّها في عينها، فقالت سرّى[٢] لإبراهيم: إني عاتبة عليك؛ لأني دفعت أمتي إليك، فلما رأت أنها حامل استخفّت بي في عينها، فدين الله بيني وبينك.

فقال إبراهيم لسرى: هذه أمتك قد دفعتها في يديك فافعلي بها ما شئت، فأدنتها سرى ربتها فأبقت منها، فوجدها ملك الله على عين ماء في البرية على طريق حادر [٣]، فقال لها: يا هاجر أمةَ سرًّى من أين جئت؟ وإلى أين تذهبين؟

فقالت له: تنحّيت عن سرّى.

فقال لها: ارجعي إلى ربتك فتعبّدي [٤] لها، فإني أكثر ولدك، ولا يُحصىَ عدده من كثرته.

وقال لها الملك: «إنك حامل، وستلدين غلامًا، وتدعين اسمه إسماعيل، فإن الله قد سمع تعبدك، ويكون هو وحش الناس، يدُه على كل يد، ويدُ كُلٌّ به[٥]، ويُجلّى على منتهى إخوته كلهم».

وقرأت في ترجمة أخرى في هذا الفصل: «وهو يكون عظيمًا في الأمم ويدُه على كل يد».

وقرأت في ترجمة أخرى: «وتكون يده فوق الجميع ويدُ الجميع مبسوطة إليه بالخضوع».

---

(١) راجع الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين ص ٢٣ من العهد القديم ط. دار الكتاب المقدس.

(٢) سارة عليها السلام.

(٣) حادر: منحدر.

(٤) تعبدي: تزللي.

(٥) كناية عن قوته.

فهذه - أيدك الله- تراجم متضافرة الدلالة على البشارة بمحمد ﷺ لأن إسماعيل لم يُجلّ على منتهى إخوته ولا بَسطوا له أيديهم بالخضوع ولا كانت يده على أيديهم ولا يده على كل يد ولا يد كل به، لا، بل في التوراة أن إبراهيم عليه السلام أخرج هاجر وولدَها إسماعيل عن سارة منفيين عنه مطرودين، ولم يُورّث إسماعيل مع إسحاق شيئًا، وذلك ما قرأته في التوراة.

ورأت «سرّى» ابن هاجر المصرية التي ولدت لإبراهيم يستهزئ بإسحاق، فقالت لإبراهيم: أخرج عني هاجر وابنها، إن ابن الأمة لا يرث مع ابني إسحاق شيئًا.

فساء إبراهيم ما قالت سرّى، فقال الله لإبراهيم: لا يُهمُّك ولا يحزنك أمرُ الغلام، وامتثل ما قد أمرتك سرّى به فأطعها من أجل أنه بإسحاق يُدعى لك الخلفُ، وسأجعل لابن الأمةِ شعبًا عظيمًا من أجل أنه خَلَفُك.

وغدا إبراهيم فأخذ الغلام وأخذ خبزًا وسقاء من ماء ودفعه إلى هاجر وحمله عليها، وقال لها: اذهبي.

ولم يقل أحد: إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده، ولم تزل النبوة والملك في ولد إسحاق حتى بعث الله محمدًا ﷺ فبسط بنو إسحاق وولده أيديهم بالخضوع له، وعلت يدُهُ وأيدي بني إسماعيل على كل أيديهم، فكان ذكر إسماعيل مقصودًا به ولده، كما أنّ في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب والمقصود بالذكر من ولدُه يعقوب، فمن ذلك قوله في السفر الخامس: «يا إسرائيل ألا تخشى الله ربك وتسلك في سبيله وتحبه وتعمل له؟»، فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم.

وكذلك قوله في السفر الخامس: «فسمن إسرائيل وأيسر وجمع الأموال وكثّرها ونسي الله الذي خلقه، وأسخط الشديد الذي خلّصه وأغضبه بالأنساك التي ذبح للشياطين».

وكذلك قوله: «ما أحسنَ منزلك يعقوب ومسكنك إسرائيل خطابًا لبني إسرائيل»، وكانوا إذ ذاك أكثر من ستمائة ألف، وكذلك قوله خطابًا لقوم موسى: «اسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل يُحسِن إليك ربك وتكثر وتنعم»، وهو كثير في التوراة.

وقرأت في ترجمة في التوراة ما لفظه: «وقال الله لإبراهيم: أما «سرّى» امرأتك فلا تدع اسمها سرّى وليكن اسمها: سِرَّاة[1] وأبرُّك عليها وأعطيك منها ابنًا وأبركه، ويكون منه ملوك الشعوب، فخرّ إبراهيم على وجهه وضحك، وقال في قلبه: بعد مائة سنة يولدُ لي غلام، وسرّى تلد وقد أتي عليها تسعون سنة؟!

وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش قدّامك. فقال الله: بحق لتلدنّ لك «سرى» غلامًا وتدعو اسمه إسحاق وأوثقه ميثاقًا هو وخلَفَه من بعده إلى الدهر، وفي إسماعيل قد سمعتك وبرّكته وكثّرته جدًّا جدًّا، وسيلد اثنى عشر عظيمًا وأعطيه شعبًا جليلاً».

وفي ترجمة أخرى: «وإسماعيل قد سمعتُ دعاءك فيه وباركت عليه، وعظمته جدًّا جدًّا، وسيلدُ اثنى عشر عظيمًا وأجعله لأمة عظيمة».

فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة؟ لكن الأمة العظيمة لولده محمد ﷺ.

وعلى أن قولهم في الترجمة: «جدًّا جدًّا»، إنما هو تفسير لقوله في التوراة باللسان العبراني: «مؤيد مؤيد».

وقد اختلفوا في تفسير هذه اللفظة، فقيل: معنى «جدًّا جدًّا»، أي: حقًّا حقًّا، وقيل: بل معناه: طيبًا طيبًا، وقيل: معناه: حمدًا حمدًا.

وقرأت في ترجمة للتوراة ما لفظه: «وغدا إبراهيم فأخذ الغلام وأخذ خبزًا وسقاء من ماء ودفعه إلى هاجر وحمله عليها، وقال لها: اذهبي، فانطلقت هاجر، فضلت في برية سبع ونفد الماء الذي كان معها، فطرحت الغلام تحت شجرة، وجلست مقابلته على مقدار رمية بسهم لكيلا تبصر الغلام حين يموت، ثم إنها رفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام، فدعا ملك الله هاجر، وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تَخْشَي، فإن الله قد سمع صوت الغلام حيثُ هو، فقومي فاحملي الغلام، وشدي يديك به؛ فإنني جاعلهُ لأمةٍ عظيمةٍ، وفتح الله عينيها فبصرت بئر

(١) في قصص الأنبياء لابن كثير: وعندهم أن الله تعالى قال لإبراهيم: أما سارة امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيك منها ابنًا وأباركه ص١٦٧ ط. دار التراث العربي، ويرجع إلى العهد القديم - الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين ص ٢٤ ط. دار الكتاب المقدس.

ماء، فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام، فرُبي وحلَّ في برية «فاران».

فمعلوم أن إسماعيل ليست له أمة عظيمة ولا أمر عظيم إلا بنبوة ولده محمد ﷺ.

وقرأت في ترجمة للتوراة ما لفظه: «هذه بركة موسى عند الله التي برّك بني إسرائيل قبل وفاته. قال: جاء الله من طور سيناء وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه ربوة من الطورين - باران مكة بين الباء والفاء - عن يمينه. فوهب لهم».

وفي ترجمة أخرى من الطهورين، وهذه الهاء في اللغة العبرانية تُقحم في الأسماء زائدة للتفخيم والتعظيم، ومنها هاء سارة، وهاء إبراهيم، فإن الأصل فيهما إبرام وسرّى.

فزيدت للتفخيم، فأعاد الله اسمهما في التوراة إبراهيم وسرّاة ثم عُرّبا فقيل: إبراهيم وسارة.

ومما جاء على اللغة السريانية فيه قول عبد المطلب بن هاشم: نحن آل الله في بلدتنا لم نزل على عهد إبراهيم.

وفي ترجمة أخرى لذلك: تجلّى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، فهذا أعظم تصريح بنبوة عيسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم- لأن الطور هو الجبل المخصوص بمقام اصطفاء الله سبحانه موسى عليه السلام وإرساله وتكليمه.

وساعير: جبل بالشام منه ظهرت نُبوة المسيح عليه السلام، وبالقرب منه ناصرة وهي القرية التي ولد بها. وكذلك فاران هي مكة، لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب، وقد ذكرنا أن ذلك في التوراة، وهو قوله: ورُبّي وحلّ في برية فاران.

فمكة هي منشأ إسماعيل عليه السلام وحيث حل رُبّي. وفي جبال فاران أوحى الله بالرسالة إلى محمد ﷺ ومنها أرسله إلى خلقه.

وأما قوله: جاء الله من طور سيناء، فمجيء الله هو مجيء كلامه وكتابه وأمره، كما قال سبحانه: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾[الحشر: ٢]، أي: أتاهم أمره.

وقوله: أشرق لنا من «ساعير»: كناية عن ظهور أنوار كلامه.

وكذلك قوله: «استعلن من جبال فاران» أي ظهر أمره وكتابه وتوحيده وحمده وما شرعه رسوله من الأذان والتلبية وغير ذلك.

وقرأت في ترجمة للتوراة خطابًا لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرجفة، خصوصًا، ثم سائر بني إسرائيل عمومًا، والله ربك يقيم نبيًّا من إخوتك فاسمع له كالذي سألت ربك في «جويرب» يوم الاجتماع، حيث قلت: لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت.

فقال الله لي: نِعم ما قالوا، وسأقيم لهم نبيًّا مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه، فيقول لهم كل شيء آمر به، وأيما رجلٍ لم يطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه.

وفي هذا الكلام أدلة على نبوة محمد ﷺ منها. قوله: نبيًا من إخوتهم. وموسى وقومه من بني إسحاق وإخوتهم بنو إسماعيل، ولو كان هذا النبي الموعود من بني إسحاق لكان من أنفسهم لا من إخوتهم، كما قال الله تعالى إخبارًا بدعوة إبراهيم لولده إسماعيل ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وكما قال الله سبحانه مخاطبًا للعرب:﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومنها قوله: نبيًّا مثلك، وقد قال في التوراة: لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام. وفي ترجمة أخرى: مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبدًا.

وقد ذهب اليهود إلى أن هذا النبي الموعود هو يوشع بن نون عليه السلام، وذلك باطل؛ لأن يشوع لم يكن كفؤًا لموسى عليه السلام، بل كان خادمًا له في حال حياته ومؤكدًا لدعوته بعد وفاته، لكن كفؤ موسى محمد ﷺ فإنه ماثله في نصب الدعوة والتجري في شرع الأحكام وإجراء النّسخ على الشرائع السالفة.

ومنها قوله: أجعل كلامي في فمه، وهذا واضح في أن المقصود به محمد ﷺ؛ لأن معناه: أوحي إليه بكلامي فينطق به على ما سمعه، ولا أنزل عليه صحفًا ولا ألواحًا لأنه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب.

وقوله: أيما رجل لم يطع من تكلّم باسمي فإني أنتقم منه دليلٌ على كذب اليهود في قولهم: إن الله أمرنا بمعصية كل نبي دعانا إلى دين يتضمن نسخًا لبعض ما شرعه موسى، هذا مع قطعنا أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وأنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، فإن أهل الكتابين عرفوا محمدًا ﷺ كما عرفوا أبناءهم ووجدوه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وإنما نذكر ما أظهروه ورضوا للتفسير له باللغة العربية بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذي اختاروه وأثبتوه في كتبهم ليكون ذلك أقطع لعذرهم وأحسم لروغانهم.

وقد ثبت وصح أن النبي ﷺ أتى اليهود فقال لهم: «**أخرجوا إليّ أعلمكم**»، فأخرجوا إليه عبدالله بن صورياء الأعور[1]، فقال له النبي ﷺ: «**أنشدك الله الذي أطعم أسباطكم المن والسلوى، وظلل عليهم الغمام، أتعلم أني رسول الله؟**» فقال ابن صورياء: اللهم نعم، والله إن القوم ليعرفون من هذا ما أعرف، وإنّ نَعتَك لبيَنٌ عندهم ولكن القوم حسدوك لأنك عربي، قال: «**فأسلم**» ، قال: إني أكره خلاف قومي، وعسى أن يُسلموا فأسلم.

ثم نعود إلى مقصود هذا الصنف الأول، وهو ذكره أهل الكتب في كتبهم.

ما جاء في الإنجيل:

قال محمد - عفا الله عنه -: وقرأت في ترجمة الإنجيل: أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لما حُبس ليُقتل بعث تلاميذه إلى المسيح عليه السلام وقال: قولوا له: أنت هو الآتي أو نتوقع غيرك؟

---

(١) هو من بني ثعلبة بن الفطيون ولم يكن في الحجاز أحد أعلم منه بالتوراة في زمانه، قال السهيلي: وذكر النقاش أن عبدالله بن صورى أسلم لما تحقق من صفات رسول الله ﷺ في التوراة وأنه هو، وليس في سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه.

فأجابهم عيسى ابن مريم عليه السلام بأن قال الحق: اليقين أقول لكم، إنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا، وإن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضًا بالنبوة والوحي، حتى جاء يحيى، فأما الآن فإن شئتم فاقتلوا [١]، فإن «إيل» مزمع أن يأتي، فمن كانت له أذنان سامعتان فليسمع[٢].

هذه ترجمة اختاروها ورضوها. وإيل[٣] هو الله سبحانه، ومن المضافة إليه جبريل وميكائيل وشبه ذلك، فإنما هي أسماء مضافة إلى اسم الله. وقد قيل: إن معنى «جبر»: عبْد. والعرب تقول مكان إيل: إل.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع ما كان يتكذب به مسيلمة [٤]، هذا كلام ما يخرج من إل ولا برّ، أي ما قاله إله ولا ذو بِرّ من الناس [٥].

ومجيء الله كناية عن مجيء كلامه ورسوله بوحيه، كما يقال: نادى السلطان في الناس بالأمان وجمع الرعية وفعل كذا وكذا، أي أمر من فعل ذلك، ولم يكن بعد المسيح عليه السلام رسول بكتاب إلا محمد ﷺ والقرآن.

ومما ترجموه في الإنجيل: أن عيسى عليه السلام قال: إن أجبتموني فاحفظوا وصيتي، وأنا أطلب إلى ربي بارقليط آخر يكون معكم الدهر كله [٦].

---

(١) في نسخة : فاقبلوا.

(٢) في إنجيل لوقا - الإصحاح السابع ص ١٠٤- عبارات تشير إلى هذا ط. دار الكتاب المقدس.

(٣) في لسان العرب: الإل العهد، وقيل: هو من أسماء الله عز وجل، وهو ليس بالوجه لأن أسماء الله معروفة كما جاءت في القرآن وتليت في الأخبار. وقال ابن الكلبي: كل اسم في العرب آخره إل أو إيل فهو مضاف إلى الله عز وجل كشرحبيل وشراحيل، والإل الربوبية - مادة ألل-.

(٤) هو مسيلمة بن حبيب الحنفي من بني حنيفة ثم أحد بني الدئل وكان قد سمى نفسه بالرحمن في الجاهلية، وهو من المعمرين، أسلم ثم ارتد فحاربه أبو بكر وجرد له جيشًا بقيادة خالد بن الوليد وقضى عليه.

(٥) ورد هذا الخبر في لسان العرب مادة ألل هكذا: قال أبو بكر لما تلي عليه سجع مسيلمة: إن هذا لشيء ما جاء من إل ولا بر فأين ذُهب بكم.

(٦) في إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع عشر ص١٧٥- بعبارة: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي - وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد - روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.

فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالات الله بكتابه وتكون شريعته باقية إلى يوم القيامة، فهل هذا إلا محمد ﷺ، صاحب النبوة الخاتمة؟ وهم مختلفون في معنى لفظ الفارقليط، والذي صح عندي من ذلك قول الحكيم الذي يعرف السر.

وفي الإنجيل مما ترجموه ما يدل على أن البارقليط الرسول. فإنه قال: إن هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الأب الذي أرسلني لكم بهذا وأنا معكم، فأما البارقليط روح القدس الذي يرسل أبي باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم جميع ما أقول لكم [(١)].

فهذا يفهم منه أن البارقليط هو الرسول. فأما قوله: «أبي»، فهذه اللفظة ليست منكرة الاستعمال إشارة إلى الله سبحانه عند أهل الكتابين لأنها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد العلم منه.

ومن المعروف المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية لأنهم يتولون من دينهم بزعمهم إصلاحًا وتمييزًا وحفظًا، ما يتولاه الوالد من ولده، ولم يزل بنو إسرائيل - وهو عيصو[(٢)] واسمه في التوراة: عيسو- يقولون: نحن أبناء الله[(٣)] لسوء فهمهم عن الله سبحانه وتعالى واختلال بصائرهم في التلقي عن أنبيائهم.

وقد قرأت في التوراة - مما أساءوا الترجمة عنه -: فنظر الرب وسخط كمن أغضبه بنوه وبناته. وقال: سأعرض برحمتي عنهم ولا أنظر إلى ما لهم خلف أعوج أبناء ليس لهم إيمان.

وأما قوله: يرسل بأبي باسمي، فهو إشارة إلى شهادة النبي ﷺ له بالصدق وإرساله وما تضمنه من مدحه وتنزيهه عما افتراه في أمره اليهود. ولم يشهد بذلك

---

(١) في إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع عشر ص١٧٦- بعبارة : وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب... إلخ.

(٢) في قصص الأنبياء: أن إسحاق عليه السلام تزوج من «رفقا» فولدت له توأمين، أولهما: «عيصو»، وهو الذي تسميه العرب العيص، وهو والد الروم، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب، وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل. قالوا: وكان إسحاق يحب عيصو، وأمه رفقا تحب يعقوب أكثر - قصص الأنبياء لابن كثير ص٢٢٣.

(٣) ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾.

كتاب غير القرآن، ولم تزل الأمم مكذبين بعيسى ومن تبعه حتى جاء محمد ﷺ بالقرآن العظيم.

ومما رضوا ترجمته من الإنجيل قولهم: إنه إذا جاء الفارقليط الذي أُرسل إليكم من عند أبي، روح الحق الذي يخرج من الأب فهو يشهد لي وأنتم تشهدون لي أيضًا لكينونتكم معي من أول أمري [١].

فقوله: روح الحق الذي يخرج من الأب كناية عن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ.

وقوله: يشهد لي تصريح بنبوة محمد ﷺ إذ لم يشهد للمسيح عليه السلام بالنبوة والنزاهة على ما افتُري عليه وبأنه روح الله وكلمته وصفيه ورسوله كتابٌ سوى القرآن، ولم تزل الأمم تكذب المتبعين للمسيح عليه السلام، واليهودُ يفترون في أمره العظائم من البهتان حتى بُعث محمد ﷺ فشهد للمسيح عليه السلام بما شهد له أصحابه وحواريوه الذين كانوا معه في أول أمره والمهتدون من أمته كالذي قال عليه السلام.

ومما رضوه من الترجمة أيضًا عن الإنجيل قولهم فيه: إن انطلاقي خيرٌ لكم لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلت به إليكم، فإذا جاء فند [٢] أهل العلم[٣]. فهذا ظاهر فيما ذكرناه.

وقوله: أرسلت به إليكم إن كان سالمًا من التحريف فمعناه مثل معنى قوله: إن لم أنطلق لم يأتكم.

وقوله: فند أهل العلم، وصفٌ للنبي ﷺ صريح لأنه الذي فنّد علماء اليهود والنصارى فيما أطبقوا عليه من أن المسيح عليه السلام قُتِل وصُلِب بعد أن عُذّب، وما انفرد به علماء اليهود من بهتانهم في الطعن على المسيح عليه السلام، وما انفرد به علماء

---

(١) في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا ص١٧٧، بعبارة: ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء.

(٢) فند: أبطل حجتهم.

(٣) في إنجيل يوحنا – الإصحاح السادس عشر ص ١٧٨ – بعبارة: لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.

النصارى من اعتقادهم ألوهية المسيح ﷺ، فهو محمد ﷺ فنّد حجتهم، ومعنى التفنيد التخطئة وتقبيح القول والرأي.

ومن هذا الذي فنّد العلماء بعد عيسى ﷺ، ولعيسى ﷺ مذ رفع إلى السماء أكثر من ألف سنة ومائتي سنة إلى وقتنا هذا وهو عام ثمانية وخمسين وخمسمائة من سني الهجرة؟ فأين البارقليط الآخر الذي إذا انطلق عيسى جاء فشهد له وفند أهل العلم؟ إن لم يكن هو محمدًا ﷺ فمن هو؟ (١)

ورأيت في ترجمة أخرى في الإنجيل أنه قال: البارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمعُ يُكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب(٢).

فمن هذا الذي وبّخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس من عرض الدنيا، وصدود الجهال عن سبيل الله وانتصابهم أربابًا من دون الله؟ ومن الذي أنذر بالحوادث وأخبر عن الغيوب إلا محمدٌ ﷺ رحمك الله؟

إن أمر القوم فيما يسمونه إنجيلاً كأمر اليهود فيما سموه توراة، وذلك أن عيسى ﷺ لم تظهر دعوته في عصره، وإنما أُخذ الإنجيل عن أربعة من حوارييه، تكلم كل واحد منهم بعبارة عبّرتها الأمة التي دعاهم بلغتهم، نجلها (٣)، أي: وكدها مما سمع من المسيح ﷺ، ولذلك اختلفت الأناجيل الأربعة اختلافًا كثيرًا وشديدًا، مع أنّ النصارى كاليهود في أخذ الكتاب من أفواه علمائهم. إذ كانوا لا يحفظونه، وقد بالغوا في هجران الإنجيل بأنهم لا يُصلون بشيء منه غالبًا، ولما وكل الله التوراة

---

(١) في نسخة أخرى: فأين الفارقليط الذي شهد لعيسى غير محمد ﷺ؟
ثم جاء بعدها العبارة الآتية: فهذه جملة عظيمة الموقع جاءت في الكتب المنزلة بحيثًا لا يدفعه أهل الكتاب، ووجدناها بالترجمة التي ارتضوها، فلا يدعون علينا فيها تحريفًا، والله أعلم.

(٢) إنجيل يوحنا: الإصحاح السادس عشر ص ١٧٨ بعبارة: وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية.

(٣) نجلها: أي شقها، يقال: نجلت الأرض نجلاً شققتها للزراعة، والإنجيل كتاب عيسى مشتق من النجل أي الأصل - لسان العرب-.

والإنجيل إلى حفظ البشر ضاع الكتابان معًا [١]، لكنّ الكتاب العزيز تولى الله حفظه فلم يضع، قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[الحجر: ٩]. وقال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢].

ما جاء في الزبور:

وقرأت من زبور داود ﷺ ما ترجمه أهل الكتاب: قال داود: «اللهم ابعث جاعل السنة تحيا، يُعلم الناس أنه بشر».

فظاهر هذا الكلام ومفهومه أن داود أطلعه الله على ما سيقوله النصارى في المسيح ﷺ من أنه إله معبود، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمدًا فيعلمهم أن المسيح بشر.

وفي الزبور أيضًا ما ترجموه أنه قال: «فاضت الرحمة على شفتيك، من أجل ذلك أبارك عليك إلى الأبد، فتقلد السيف فإن بهاءك وقمرك الغالبُ، واركب كلمة الحق فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، والأمم يخرّون تحتك».

فمن هذا الذي قُرنت شريعته بهيبة يمينه وقرت الأمم تحته؟ هل هو إلا محمد ﷺ؟

ما جاء في كتاب شعيا:

ومما ترجموه من كتاب شعيا ﷺ [٢]: عبدي الذي سُرّت به نفسي، أُنزِلُ عليه وحيي فيُظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العورَ، والآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف، وما أعطيه لا

---

(١) إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء..﴾[المائدة: ٤٤].

(٢) الإصحاح الثاني والأربعون من سفر إشعياء ص١٠٤٢، بعبارة : هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.

أعطي أحدًا، مُشَقَّح [١] بحمد الله حمدًا جديدًا، يأتي من أقصى الأرض، يُفرحُ البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يُغلب ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يُقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يُطفأ، أثر سلطانه على كتفيه - هذه ترجمة السريانيين- وعبر العبرانيون عنه بأن قالوا: على كتفيه علامة النبوة.

فهذا كله صريح في البشارة بمحمد ﷺ مع ما فيه من ذكر دولة العرب بقوله: يفرح البرية وسكانها.

وأما قولهم: مُشَقَّح، فهو محمد؛ لأن الشقع بلغتهم الحمد.

ومما ترجمه السريانيون من كتاب شعيا [٢] عليه السلام إخبارًا عن الله سبحانه أنه قال: قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام نوح لأغرقنّ الأرض بالطوفان، فإني كذلك أقسمتُ أني لا أسخط عليك. ولأرفعنك فإن الجبال تزول والقلاع تنحط، ورحمتي عليك لا تزول، يا مسكينة يا مضطهدة ها أنا ذا بانٍ بالجصّ حجارتك ومزينك بالجوهر ومكلل باللؤلؤ سقفك وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم ولا تخافين، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، وكل لسان يقوم معك بالخصومة [٣]، ويسميك الله اسمًا جديدًا، فقومي وأشرقي، فإنه قد دنا نورك، ووقار الله عليك، انظري بعينيك حولك، فإنهم يجتمعون، يأتيك بنوك وبناتك عدوًا، فحينئذ تُشرفين وتزهرين، ويخافُ عدوك ويشبع قلبُك، وكل غنم قيدار تجتمع إليك، وسادات بناوت يخدمونك وتفتح أبوابك دائمًا الليل والنهار، ويتخذونك قبلة وتدعين بعد ذلك مدينة الرب.

فهذا أيدكم الله تصريح البُشرى بنوبة محمد ﷺ؛ لأنه خطاب يجب صرفه إلى الكعبة، ألا تسمعون إلى ذكره قيدار وبناوت؟ فقيدار هو ابن إسماعيل عليه السلام،

---

(١) سيأتي تعريف هذه الكلمة بعد من كلام المصنف، ومعناها محمد، لأن الشقح في لغتهم الحمد.

(٢) هو شعيا بن أمصيا، وكان نبيًا، وكان قبل زكريا ويحيى عليهما السلام وهو بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام، قصص الأنبياء ص٥٢١.

(٣) هنا حذف يفهم من السياق تقديره: لا يؤثر فيك.

وبناوت هي بنت قيدار بن إسماعيل، والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام.

وقوله: تُدعين مدينة الرب، هو قولنا: حرم الله.

وقوله: كل سلاح يصنعه لا يعمل فيك، إشارة إلى الأمن الذي خُصصت به من دون الأرض.

وقوله: غنم قيدار، تصريح بذكر الهدايا المجلوبة إليها في الحج والعمرة.

وقوله: سادات بناوت يخدمونك، إشارة إلى سدنة الكعبة، وهم من أولاد بنت ابن قيدار بن إسماعيل ﷺ، ثم غاية التصريح ونهايته قوله: ويتخذونك قبلة.

ومما ترجموه أيضًا من كتاب شعيا ﷺ أنه قال: قومي فأضي بي، فإنه قد آن ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض وعليك تنجلي، وكرامة الرب عليك تُرى، تجيء الشعوب والملوك إلى ضوئك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فأنظر الجميع يتحزبون ويأتون إليك عن بعد، هنالك تستضيئين وتفرحين من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب. وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب واللؤيات [١]، يحملونه بتسبيحة الرب، هم يبشرون، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك. هذا قول الرب القوي.

ولا خفاء على ذي بصيرة بأن هذا الخطاب مصروف إلى مكة المكرمة، ما بشرت الكعبة به من حج أمة محمد ﷺ إليها، وأن الظلم التي كانت غطت الأرض هي ظلم الشرك والكفر. والذي جلاها الله[٢] بكتاب الله هو محمد رسول الله ﷺ.

ومن كتابه أيضًا ما ترجموه عن شعيا ﷺ أنه قال: قيل لي: قم نظارًا فانظر ما ترى فاخبر به. فقلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابلُ وأصنامُها.

فهذه بشارة صريحة بمحمد ﷺ؛ لأنه راكب الجمل لا محالة، لأن مُلكَ بابل إنما ذهب بنبوته وعلى يد أصحابه، كما أن راكب الحمار هو المسيح ﷺ.

---

(١) لعلها: اللَّوَيات، وهي جمع لَوِيَّة: ما يخبأ للضيف أو يدخره الرجل لنفسه، أو لعلها: اللواءات جمع لواء وهو العلم.

(٢) لفظ الجلالة زائد في موضعه هذا.

من كلام شمعون:

ومن كلام شمعون عليه السلام ما ترجموه بألفاظهم التي رضُوها، وهو: قد جاء الله بالبيان من جبال فاران وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته. فجبال فاران هي جبال مكة لا ينكر هذا أحد، ومجيء إله هو مجيء كتابه إلى رسوله الذي امتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته.

من كتاب حزقيل [1] :

ومن كتاب حزقيل عليه السلام ما ترجموه من قصة ذكر فيها ظهور أمرهم وعزتهم وكثرتهم وكفرانهم النعم، وشبّههم بشجرة الكرم، ثم قال: لم تلبث تلك الكرمة أن قُلعت بالشحطة ورُمي بها على الأرض وأحرقت السمائم[2] ثمرتها، فعند ذلك غُرس غَرْسٌ في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أعضائه الفاضلة نار فأكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها قضيب.

فلاشك أن أرض البدو المهملة العطشى هي أرض العرب، وغرسُ الله الذي غرس فيها هو محمد ﷺ، وقد أخزى الله به اليهود.

وزعم اليهود أن رجلاً ادعى النبوة في عصر «بخت نرس »[3]، وهو «بخت نصر »، فحكوا عنه أنه قال: إذا جاءت الأمة الآخرة يُسبح بهم صاحب الجمل – أو قال: راكب الجمل- تسبيحًا جديدًا في الكنائس الجدد، فافرحوا وسيروا إلى صيهون بقلوب آمنة وأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة لله الذي أعطاكم في الأيام الآخرة أمة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع الأقطار.

---

(١) حزقيل بن آجام وكان أبوه ممن يعبد الأصنام وهزم أمام البابليين وأسر فتولى ابنه حزقيل بعده فأظهر عبادة الرحمن وكسر الأصنام... مروج الذهب للمسعودي جـــ ذ ص٤٣، وفي قصص الأنبياء: هو حزقيل بن بوذى وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ ص٤٧٣.

(٢) السمائم: جمع سموم... إلخ.

(٣) بختنصر هو مرزبان العراق وطئ الشام وفتح بيت المقدس وسبى بني إسرائيل وأكثر الإخباريين يغالون في أخباره، وحمل سبايا بني إسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة كانت سببًا في رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس ص١٧٢، مروج الذهب للمسعودي جـــ١.

ولا شك في أن صاحب الجمل وراكبه من الأنبياء هو محمد ﷺ، والأمة الجديدة هي العرب الذين ذكروا في التوراة أنهم يكونون وحش الناس، والكنائس الجدد هي المساجد، وصيهون[١] مكة - قد سمعت جماعة من علمائهم يعترفون بذلك.

فإن ادّعوا أية إشارة إلى بيت المقدس قيل لهم: مازلتم تسيرون إليه فمن راكب الجمل من بني إسرائيل؟ ومن الأمة الجديدة أصحاب السيوف المصلتة الرافعو أصواتهم بالتسبيحة الجديدة؟ وما الذي يُجدد لهم من التسبيحات بعدما في التوراة؟. كلا، بل التسبيحة الجديدة: لبيك اللهم لبيك.

وعلى أنه قد نقل قدماء المؤرخين عن حقوق [٢] هذا أنه قال: جاء الله من التّيمن وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم وأضاءت الأرض لنوره وحُملت خيله في البحر [٣].

من مزامير داود:

ومن مزامير داود عليه السلام ذكر رجلاً فقال [٤] : فإذا قام حاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى منقطع البر، وخرّ أهل الجزاء [٥] قدامه على وجوههم وركبهم، ولحس أعداؤه التراب لهيبته، وجاءت الملوك بالقرابين، ودانت له الأمم بالطاعة لأنه يُخلص الضعيف المغلوب البائس ممن هو أقوى منه، ويُقوي الضعيف

---

(١) يبدو أن كلمة صيهون دست ببراعة بدل كلمة مكة في النص؛ لأنه لا معنى لها أن تكون هي صيهون التي ينتسب إليها الصهاينة وجماعة العلماء الذين سمعهم المؤلف يعرفون يقينًا هذه الحقيقة بدليل أنهم ذكروا أن المقصود بها مكة، وربما كانت محرفة عن صيفون بالفاء على ما نقله النبهاني في كتابه حجة الله على العالمين من كتاب أعلام النبوة للماوردي قال: البشارة الرابعة والثلاثون من بشائر داود عليه السلام قال: إن الله أظهر من صيفون إكليلاً محمودًا. قال: وصيفون العرب، والإكليل: النبوة، ومحمود: محمد، ص١٠٤ من حجة الله على العالمين.

(٢) هكذا في الأصل وصحتها : حبقوق.

(٣) الإصحاح الثالث من سفر حبقوق ص١٣٣١، بعبارة: الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران - سِلاه- جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه.

(٤) من المزمور الثاني والسبعين لسليمان ص٨٨٢.

(٥) سيأتي تفسير هذا التعبير بعد، وهو في المزامير: الجزائر.

الذي لا ناصر له، ويرحم المساكين، ويصلي ويبارك عليه في كل وقت، يدوم ذكره إلى الأبد. فهذا في غاية الظهور.

من كتاب شعيا أيضًا:

ومن كتاب شعيا [(١)] عليه السلام: أيتها العاقر افرحي واهتزي وانطقي بالتسبيح فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي.

فالعاقر مكة؛ لأنها بوادٍ غير ذي زرع، أو لأنه لم يبعث بها عند هذا الخطاب نبي، وكان الأنبياء إذ ذاك بغيرها كثيرين، فهي عاقر قبل أن يبشرها الله بمحمد ﷺ.

وقوله: انطقي بالتسبيح، إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله.

وقوله: يكون أهلك من أهلي [(٢)] إن لم يَسْلَم من سوء التغيير والتحريف - فمن زائدة، والمعنى: أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده، وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته أكثر أهل الجنة، والأهل والآل يكنى بهما عن الخاصة خاصة، قال شاعر قريش:

نحن أهل الله في بلدتنا   لم تزل إلا على عهد إرم [(٣)]

ولما روجع أبو بكر الصديق في استخلاف عمر، وقيل له: ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا فظًّا غليظًا؟ فقال: أقول له: تركتُ على أهلك خير أهلك. وإن سلم ذلك اللفظ من سوء التغيير فمعناه كثرة المؤمنين بها في الزمن الموعود حتى يربو على المؤمنين في زمن هذا القول.

وقال في كتاب شعيا أيضًا: لأرفعن علمًا لجميع أهل الأرض، فيصفر [(٤)] بهم في أقاصي البلاد، فإذا هم سراع يأتون، فهذا صريح في أمر الدعوة إلى حج البيت الحرام الذي يؤتى إليه من كل فج عميق. وأما بيت المقدس فقد كان إذ ذاك مقصودًا مزورًا.

---

(١) من الإصحاح الرابع والخمسين من سفر أشعيا ص١٠٥٨ بعبارة: ترنمي أيتها العاقر.

(٢) التعبير كما سبق هو : يكون أهلك أكثر من أهلي، وهو ما يتفق مع التفسير الآتي.

(٣) في هامش الأصل: روي: لم تزل على عهد إبراهيم.

(٤) يصفر بهم كناية عن دعوتهم - يقال: صفر بالدابة إذا دعاها إلى الماء- اللسان.

وقد أكثر في كتاب شعيا من ذكر مكة والبادية، وما وعدها الله سبحانه من العمارة باسمه والإشادة بذكره، وأشير (١) إلى إيقاع النبي ﷺ بهم فقال: يدوسون الأمم كدواس البيادر بعد أن ينهزموا بين يدي سيوف مسلولة وقسي (٢) موترة من شدة الملحمة.

فهذه قريش وطئها محمد ﷺ ثم استقامت له فداست الأمم دوسًا، وملّكها الله أعنة البشر.

وقال فيه: بحق أقول لكم: لأعطين البادية كرامة لُبنان وبيت المقدس، وتشقها مياهٌ وقصور وأسواق في أرض الفلاة، وأجعل هناك طريقًا حرامًا لا يمر به أنجاسُ الأمم، بل يكون هناك طرق المخلصين.

فهذا صريح في ملك العرب وما أحدثه ملوكها في البلاد المقفرة من البيان (٣) والمصانع والقصور، وهو نص في ذكر الحج وأهله (٤).

وفي مزمور (٥) من مزامير داود ﷺ: سبحوا للرب تسبيحًا جديدًا، ليفرح بيتُ صيهون (٦) من أجل أن الله اصطفى له أمة، وأعطاهم النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون له بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، ويوثقون ملوكهم بالحديد وأشرافهم بالأغلال.

فهذه - أيدك الله- جملة عظيمة الموقع في البشارات بمحمد ﷺ جاءت في كتب الله مجيئًا لا يدفعه أهل الكتاب، وحكيناها عنهم بالتراجم التي رضوها واختاروا

---

(١) لعلها: وأشار، أو أشير فيه.

(٢) قسي: جمع قوس. وموترة: أي مشدودة الأوتار استعدادًا للحرب.

(٣) الأبار.

(٤) في الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر أشعياء ص ١٠٧٤ بعبارة: تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهو النرجس، يزهر أزهارًا ويبتهج ابتهاجًا ويرنم يدفع إليه مجد لبنان..إلخ.

(٥) في المزمورين السادس والسبعين والذي يليه بعبارة أولها: رنموا للرب ترنيمة جديدة رنمي للرب يا كل الأرض، ص٩٠٠.

(٦) قد مر أن كلمة صهيون محرفة عن كلمة صيفون.

تسطيرها في كتبهم، فلا يدعون علينا فيها تحريفًا، وهي على تحققنا أنهم حرفوها وحذفوها وحذفوا منها ما كتموه، مستقلة بدفع المعتدين ونفع المهتدين، إن شاء الله.

التحريف والدليل عليه:

واعلم حرس الله علمك وقدس عملك- أن ليس في أيدي اليهود والنصارى من الكتابين التوراة والإنجيل إلا ما اختاره ضلال علمائهم أن يكون بأيديهم بعد تحريفهم له واشترائهم به ثمنًا قليلاً، والسبب في أمر التوراة أنهم أمروا بأخذها جُزءًا [(١)] حفظًا، وامتنعوا من ذلك لشقوتهم، فألزموا بحفظ تسبيحات ونكت قلائل.

وكتب موسى التوراة وأودعها تابوت الشهادة فهجرت، إلى أن سلّط الله عليهم «بخت نرسي» [(٢)]، فأحرقها، وفقدوها، فجدد لهم عُزير [(٣)] عليه السلام ما شاء الله أن يجدده منها، وكانت مكتوبة عندهم لا يقرؤها إلا أحبارهم، فما أخرجه الأحبار إلى العامة قبلوه، لا تدري العامة ما حذفوا ولا ما حرفوا.

وأدل دليل على الحذف منها والتحريف أن ليس فيما بأيديهم من التوراة الذي يزعمون أنه جميعُ ما أنزل الله على موسى بن عمران ذكرُ القيامة ولا الدار الآخرة ولا بعث ولا جنةٍ ولا نارٍ، وكل جزاء فيها إنما هو معجَّلٌ في الدنيا، فيُجزون على الطاعة بالنصر على الأعداء وطولِ العمر، وطيب العيشن وسعة الرزق، وطول المكث في الأرض المقدسة، ويُجزون على الكفر والمعاصي بالموت، ومنع القطر، ومنع الثمرة، وظهور الأعداء، والشقاء والتعب والقروح والحميات والجرب واليرقان وريح السموم، وتكون السماء عليهم مثل النحاس، والأرض مثل الحديد، وينزلُ عليهم بدل المطر الغبار والظلمة، ويسفى عليهم التراب من السماء، ويكونون يلمسون الشيء نصف النهار كما يلمسه الأعمى، لا يبصرونهم ولا يستقيم لهم أمر، ويهرمون ويشيخون، وتصيبهم عينُ سوء في ركبهم وفي سوقهم، لا يكون لها شفاء.

هذا نص ما عندهم في التوراة في أشباه له.

---

(١) أي جُزءًا، جزءًا، وقد تكون بالفتح جَزءًا بمعنى اكتفاء واستغناء بها.

(٢) هو بختنصر السابق الإشارة إليه.

(٣) أورد ابن كثير والقرطبي قصة تجديد عزير للتوراة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله..﴾ [التوبة: ٣٠].

وليس في كتابهم ذم الدنيا ولا زهد فيها، ولا وظيفة صلوات معلومة، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والقصف والغناء واللهو، إلى عجائب قد تضمنها تأباها العقول والديانات.

منها: أن الله ندم على خلق آدم، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة فيصير إلهًا مثله، ولذلك أخرجه من الجنة، وأنه قال لنوح: إني قد أسفت على آدم وها أنا أتلف البشر الذين خلقت على الأرض، والأنعام والدواب وطير السماء من أجل أني ندمت إذ خلقتهم! هذا نص ما عندهم.

وإن لوطًا عليه السلام وطئ ابنتيه وهو سكران بعدما أهلك الله قومه فولدتا معًا منه، وأن يهوذا في زمان نبوته زنى بامرأة ابنه، وأعطاها عمامته وخاتمه وعصاه رهنًا على جدي هو أُجرة الزنى، وهو لا يعرفها، فأمسكت ذلك عندها، وأرسل إليها بالجدي فلم توجد، وظهر حملُها بذلك، فأمر بها أن تُحرق فأنفذت إليه بالرهن، فعرف يهوذا أنه الذي زنى بها وتركها. وقال: هي أصدق [(١)].

وأن روبيل بن يعقوب وطئ سُرية أبيه، وعرف بذلك أبوه، وأن أولاد يعقوب من أمتيه كانوا يزنون مع نساء أبيهم وجاء يوسف أباه بخبر إخوته القبيح، وأن راحيل اشترت من ضرتها ليـــًا وهي أختها مبيت ابن ليا بكرها وهو روبيل عندها ليلة بمبيت يعقوب ليلة عند ليا أم روبيل.

وأن موسى قال لله عز وجل: أطلُبُ إليك يا رب أن ترسل في هذه الرسالة غيري، فاشتد غضب الله على موسى، وأنه سأل الله أن يصرف عنه النبوة [(٢)]، وأن الله ما أرسله إلى فرعون ليدعوه إلى الله، وإنما أرسله لإخراج بني إسرائيل من مصر فحسب، وأن سحرة فرعون عملوا مثل كل الآيات التي جاء بها موسى سواءً، إلا أنهم ما قدروا على أن يفسدوا آيات موسى ويبطلوها، ولا أبطل موسى ما عمل السحرة، وأن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله كما سمعه موسى.

---

(١) وردت هذه القصة في سفر التكوين ٣٨ ص٦٤، العهد القديم، الإصحاح الثامن والثلاثين، ط. دار الكتاب المقدس.

(٢) في الإصحاح الرابع من سفر الخروج الحوار الذي دار بين موسى وربه جل جلاله، بما يؤدي هذا المعنى الذي ذكره المؤلف، ص٦١، ط. دار الكتاب المقدس.

وفيها تحريم التصوير وعمل الأصنام، واللعنة لمن تولى ذلك وعمله، والغضب عليه، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين[١] من ذهب مفرغ، أجنحتهما مبسوطة، وجه كل واحد منهما إلى وجه الآخر، ونصبهما على صحيفة من ذهب تسمى صحيفة التطهير، فكلّمه الله من بينهما، وعمل أيضًا حيّة من نحاس، وأن هارون عمل العجل الذي عبده بنو إسرائيل لما سألوه أن يعمل لهم إلهًا، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين ففعلوا ذلك واتخذوا له عيدًا، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتسافهون- هذا لفظهم [٢].

وأن موسى قال لله سبحانه: والآن إن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فامحني من سِفرك الذي كتبت، وأن الله غضب على موسى وهارون فمنعهما دخول الأرض المقدسة، وقال لهما: من أجل أنكما أسخطتما كلمة فمي على[٣] ما الخصومة؟ ثم كرر ذلك في السفر الخامس، فقال موسى: وغضب عليّ أنا وحلف أن لا أعبر إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم.

وفيها أن بني إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين بالآيات والعجائب، وأن الله يأخذ الأبناء بذنوب الآباء إلى ثلاثة خلوف.

وأما الإنجيل فأكثره قصص وتسبيح وكلام يتملق به المسيح عليه السلام ربه ويسترحمه ويتضرع إليه، وإنما أُخذ عن أربعة من أصحابه بعد أن رفعه الله، نجلوه أي ولدوه من الكلام الذي سمعوه من المسيح عليه السلام، وخاطب كل واحد منهم الأمة التي قام فيها بما أفهمهم فاختلفوا لذلك اختلافًا كثيرًا بحسب اختلاف التعبير، لكنّ الذكر الحكيم - زاده الله شرفًا- مخصوص بكلام الله، قال الله سبحانه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩]، والحمد لله رب العالمين.

(١) الكروبيون من الملائكة هم : العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون بالليل والنهار لا يفترون، عجائب المخلوقات للقزويني ص٥٩.

(٢) الإصحاح الثاني والثلاثون من سفر الخروج ص١٣٩، ط. دار الكتاب المقدس.

(٣) علام، ومعنى العبادة: من أجل أنكما غيرتما كلمة فمي، علام الخصومة بينكم وبين أهل الأرض.

الصنف الثاني من خير البَشَر
البشارة على ألسنة الأحبار

قال محمد – عفا الله عنه –: نذكر إن شاء الله في هذا الباب الثاني جملة مقنعة مما كتمه الأحبار فأظهره الله عليهم.

ما رواه وهب بن منبه:

فمن ذلك ما روي عن وهب [١] بن منبه أنه قال: قرأت في بعض كتب الله المنزلة على نبي من بني إسرائيل: أن قم في قومك وقل: يا سماء اسمعي، ويا أرض أنصتي، لأن الله تعالى يريد أن يقص شأن بني إسرائيل، إني ربيتهم بنعمتي وآثرتهم بكرامتي واخترتهم لنفسي، وإني وجدت بني إسرائيل كالغنم الشاردة التي لا راعي لها، فرددت شاردتها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها وحفظت سمينها، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضًا، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الظالمين، إني قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حتمًا وجعلت له أجلاً مؤجلاً لابد منه – فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمته؟ – في أي زمان يكون ذلك؟ فإني مظهره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا، ومن القيّم به، ومن أعوانه وأنصاره، إن كانوا يعلمون؟ فإني باعث بذلك رسولاً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا قوّال بالهُجر والخنا، أسدده لكل جميل، وأهبُ له كل خلق كريم، وأجعلُ السكينة على لسانه والتقوى ضميره والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والإسلام ملّته، أرفع به من الوضيعة، وأغني به من العيلة، وأهدي به من

(١) وهب بن منبه: يكنى أبا عبدالله، أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: «يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب، يهبه الله الحكمة». قال وهب: قرأت اثنين وتسعين كتابًا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وفي أيدي الناس، وعشرون منها لا يعلمها إلا القليل، وجدت في كلها: أن من أضاف إلى نفسه شيئًا كفر. توفي وهب بصنعاء اليمن سنة عشر ومائة، في أول خلافة هشام – الطبقات الكبرى جـ ٥ صـ ٣٩٥.

الضلالة، وأؤلف به بين قلوب متفرقة، وأهواء مختلفة، وأجعل أمته خير الأمم، إيمانًا بي وتوحيدًا وإخلاصًا، لما جاء به رسولي، أُلهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لي في مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي، يقاتلون في سبيلي صفوفًا ويصلون لي قيامًا وركوعًا وسجودًا، يكبّروني على كل شرف، رهبانُ الليل أسد النهار، ذلك فضلي على من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

ومنه ما رُوي: أن رجلاً أتى النبي ﷺ بورقةٍ ورثها عن أبيه وعن جده، وذكر أن سلفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر، فإذا فيها: اسمُ الله وقوله الحق، وقولُ الظالمين تبار، هذا ذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يأتزرون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحر إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، ولو كانت في ثمود ما هلكوا بالصيحة، قال: فقرئت الورقة على الناس وأمر النبي ﷺ بحفظها.

ما روي عن علي بن أبي طالب:

ومنه ما رُوي أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه نزل بالبليخ إلى جانب دير، فأتاه قيّم الدير، فقال: يا أمير المؤمنين، إني ورثت عن آبائي كتابًا قديمًا كتبه أصحابُ المسيح عليه السلام، فإن شئت قرأته عليك، قال: نعم، هات كتابك، فجاء بكتاب فإذا فيه: الحمد لله الذي قضى فيما قضى وسطّر فيما سطّر أنه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الجنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وأمته الحمّادون لله في كل هبوط وصعود، ذُلّلٌ ألسنتهم بالتكبير والتهليل، يُنصر دينهم على كل من ناوأه.

ما رواه عبدالله بن عمر:

ومنه ما رواه [1] عبدالله بن عمر [2]: أن رجلاً جاء إلى كعب

---

(١) في نسخة أخرى: إن رجلاً جاء من بلاد اليمن آمًا إلى كعب الأحبار، فقال.

(٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقيل: أسلم قبل أبيه- ولا يصح - وإنما كانت هجرته قبل هجرة أبيه، ولم يشهد بدرًا لصغر سنه، وشهد بقية المشاهد - كان كثير الاتباع لآثار الرسول ﷺ، حتى إنه كان ينزل منازله، وكان شديد الورع توفي سنة ٧٣ هـــ وعمره أربع وثمانون سنة، أسد الغابة.

الأحبار [١] من بلاده باليمن فقال له: إن فلانًا الحبر اليهودي أرسلني إليك برسالة، قال له كعب: هاتها. قال الرجل: إنه يقول لك: ألم تكن فينا سيدًا شريفًا مطاعًا، فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة أحمد؟

فقال له كعب: أتراك راجعًا؟ قال: نعم. قال: فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك وقل له: يقول لك كعب: أسألك بالذي رد موسى إلى أمه، وأسألك بالذي فرق البحر لموسى، وأسألك بالذي ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شيء، ألست تجد في كتاب الله أن أمة أحمد ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله، وثلث يحاسبون حسابًا عسيرًا ثم يدخلون الجنة، فإنه سيقول لك: نعم. فقل له: يقول لك كعب: اجعلني في أي هذه الأثلاث شئت.

مقالة كعب لعمر:

ومنه ما روي أن عمر ﷺ قال لكعب: يا كعب أدركت النبي ﷺ وقد علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون في أيامه فلم تسلم على يده، ثم أدركت أبا بكر وهو خير مني فلم تسلم على يده، ثم أسلمت على أيامي؟

قال: لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين، فإني كنت أثبت حتى أنظر كيف الأمر، فوجدته كالذي في التوراة.

قال عمر: وكيف هو في التوراة؟

قال: رأيت في التوراة: أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يظهر من جبال فاران من منابت القرظ [٢] من الوادي المقدس، فيظهر التوحيد والحق، ثم ينتقل إلى طيبة، فتكون حروبه وأيامه بها، ثم يقبض فيها ويدفن بها.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يلي من بعده الشيخ الصالح.

---

(١) كعب الأحبار بن مانع، ويكنى أبا إسحاق، وهو من حمير من آل ذي رعين كان على دين اليهود، أسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام وسكن حمص حتى توفي بها سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان، ذكر قصة إسلامه ابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٧ صـ١٥٦.

(٢) القرظ: ورق السلم يدبغ به، وقيل: قشر البلوط.

قال عمر: ثم ماذا.

قال كعب: ثم يموت متبعًا.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يلي من بعده القرن (١) الحديد.

فقال عمر: وادفراه (٢)، ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يقتل شهيدًا.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يلي صاحب الحياء والكرم.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يقتل مظلومًا.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يلي صاحب الحجة البيضاء والعدل والسواء صاحب الشرف التام والعلم الجم.

قال عمر: هو أبو حسن، ثم ماذا؟

قال كعب: ثم يموت شهيدًا سعيدًا.

قال عمر: ثم ماذا؟

قال كعب: ثم ينتقل الأمر إلى الشام.

فقال عمر: حسبك يا كعب.

قال محمد - عفا الله عنه -: الدفر - بالدال المهملة التي لا تنقط- هو النتن، والحديد دفر، وإنما قال عمر: وادفراه تواضعًا.. أعرض عن ذكر الحديد بمحاسن صفاته وشدة بأسه، وذكر نتنه، وقول من قال: إنه أراد: واذلاه، ليس بصحيح، ولا يأوي إلى حجة ولا شبهة، وما هذا مما يقلد فيه تأويله بغير حجة.

---

(١) في هامش الأصل: ويروى: صدع من حديد، وبعضهم يقول: صد من حديد، والصد والصدع : الفتى من الرجال.

(٢) وادفراه: واذلاه، قال ابن الأعرابي: الدفر الذل، وبه فسر قول عمر ﷺ، كأنه رأى نفسه غير جدير بولاية الأمر - لسان العرب مادة دفر، وسيأتي تفسير من المؤلف لهذه الكلمة غير هذا.

ما رواه الواقدي عن ثعلبة:

ومنه ما روى الواقدي(١) عن ثعلبة بن أبي مالك: أن عمر رضي الله عنه سأل أبا مالك (٢) وهو أبو ثعلبة، وكان من أحبائه فقال له: أخبرني بصفة النبي ﷺ في التوراة.

فقال له: إن صفته في توراة بني هارون التي لم تبدل ولم تغير: أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي، يأتي بدين إبراهيم الحنيفية، يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، وليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة ويجتزي بالبلغة، ويركب الحمار ويمشي في الأسواق، سيفه على عاتقه، لا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة. مولده بمكة ومنشؤه وبدء نبوته بها ودار هجرته يثرب بين لابتي(٣) حرة ونخل وسبخة، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وهو الحمّاد، يحمد الله على كل شدة ورخاء، سلطانه بالشام وصاحبه من الملائكة جبريل، يلقى من قومه أذى شديدًا، ثم يدال عليهم فيحصدهم حصدًا، تكون له وقعات بيثرب، منها له ومنها عليه، ثم له العاقبة، معه قوم هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم، قربانهم دماؤهم ليوث النهار رهبان الليل، يرعب عدوه منه مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه حتى يجرح ويكلم، لا شرطة معه ولا حرس، الله يحرسه.

---

(١) الواقدي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني، مولى بني هاشم، كان إمامًا له تصانيف في المغازي، ولاه المأمون القضاء، وروى عنه بشر الحافي وغيره - توفي سنة ٢٠٧ هـ ببغداد، الوفيات جـ٢.

(٢) أبو مالك هو عبدالله بن سام، ويكنى أبا ثعلبة بابنه وأصله من كندة اليمن، وكان على دين يهود، فلما قدم المدينة حالف بني قريظة فقيل له: القرظي، الطبقات جـ٥ صـ ٥٧، وثعلبة ابنه من التابعين بالمدينة، روى عن عمر وعثمان، وكان يكنى أبا جعفر وأبا يحيى، كان إمام بني قريظة حتى مات، وكان كبيرًا قليل الحديث- الطبقات جـ٥ ص٥٧.

(٣) لابتا المدينة بتخفيف الباء: حرتان تكتنفانها. والحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

قصة أبي ذؤيب الزاهد:

ومنه ما روي أن أبا ذؤيب الزاهد قال: دخلت في سياحتي ديرًا فقلت للراهب القيم عليه: أعندك فائدة؟

قال: نعم، لك يا عربي.

قلت: هاتها.

قال: فأخرج إليّ ورقة فيها أربعة أسطر، فذكر أنها من الكتب المنزلة.

ففي السطر الأول منها يقول الجبار تبارك وتعالى: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي.

والسطر الثاني: محمد المختار عبدي ورسولي.

والسطر الثالث: أمته الحمادون، أمته الحمادون.

والسطر الرابع: رعاة الشمس، رعاة الشمس.

ما رواه ابن الديال عن بعض الأحبار:

ومنه ما روى محمد بن الديال عن بعض الأحبار من أهل الكتاب أنه قال: أوحى الله إلى عيسى ابن مريم: يا عيسى، اسمع قولي وأطع أمري، يا ابن الطاهرة البكر البتول، فإني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد، وعلي فتوكل، وخذ الكتاب بقوة (وفسره لأهل سوريا) (١) ، وبلّغ من بين يديك أخبرهم أني أنا الله البديع الدائم الذي لا يزول، صدقوا النبي الأمي الذي أبعث في آخر الزمان، صاحب الجمل والنسب والنسل، الكثير الأزواج، القليل الأولاد، نسله من المباركة التي مع أمك في الجنة، له منها ابنة، لها فرخان يُستشهدان، دينه الحنيفية، وقبلته يمانية، وهو رحمة للعالمين، له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس، فيه آنية مثل نجوم السماء، وله لون كل شراب الجنة، وطعم كل ثمار الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، يصُفُّ لله قدميه كما تصف الملائكة، ويخشع له قلبه، النور في صدره والحق على لسانه، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له تدخر الشفاعة وعلى أمته تقوم القيامة.

(١) في نسخة أخرى: وفسر لأهل سونيا.

روايات أخرى عن كعب الأحبار:

روى عطاء [١] بن يسار وأبو صالح السمان [٢] عن كعب الأحبار أنه قال: أجد في التوراة: أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، أمته الحمّادون، يحمدون الله على كل حال، ويسبحونه في كل منزل، ويكبرونه في كل شرف، يأتزرون على أوساطهم ويغسلون أطرافهم، وهم رعاة الشمس، وداعيهم إلى الصلاة ينادي في جو السماء، وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل أسد بالنهار، لهم بالليل، لهم دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم من الأرض، مولده مكة ومهاجره طابة، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا.

ومنه ما روي: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: دلني على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه، فذكر له رجلاً من اليهود باليمن، فأشخصه إليه، فجمع معاوية بينهما، فقال له كعب: أسألك بالذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل بأن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أمة مرحومة هي خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يؤمنون بالكتاب الأول، ويؤمنون بالكتاب الآخر، يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم يا رب أمتي. قال: هم أمة أحمد؟

قال الحبر: نعم، أجد ذلك.

ثم قال كعب للحبر: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب، أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبّر الله، وإذا هبط واديًا حمد الله، الصعيد لهم طهور يتطهرون من الجنابة

---

(١) عطاء بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج رسول الله ﷺ، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ١٠٣ هـ وهو ابن أربع وثمانين سنة، الطبقات الكبرى جـ٥ صـ١٢٦.

(٢) أبو صالح السمان اسمه: ذكوان، وهو أبو سهيل بن أبي صالح مولى جويرية امرأة من قيس. وكان من أهل المدينة، ويقدم الكوفة كثيرًا فينزل في بني كاهل، فيؤمهم، وقد روى عن علي وروى عنه كثيرون، وكان ثقة كثير الحديث، الطبقات الكبرى جـ٧ صـ١٥٨.

كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، حيث كانوا فلهم[١] مسجد، غر محجلون[٢] من الوضوء فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد؟

فقال الحبر: نعم، أجد ذلك.

ثم قال كعب: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: أي إني أجد أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإذا عملها أضعفت له بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة مثلها فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد؟

قال الحبر: نعم، أجد ذلك.

قال كعب: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم [٣] وصدقاتهم في بطونهم، ويؤجرون عليها، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد؟

قال الحبر: نعم، أجد ذلك.

قلت: هكذا الرواية: يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، ومعنى ذلك يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها، كما كان غيرهم من الأمم يفعل.

وجاء في حديث غير هذا مما هو منسوب إلى كُتب الله السالفة: يأكلون قرابينهم في بطونهم. فالمراد بهذا اللفظ: الضحايا وما يؤكل من الهدايا، فهذا وشبهه

(١) هكذا بالأصل، والمقصود: فلهم الأرض مسجد.

(٢) غر: جمع أغر، والغرة: البياض في الوجه، والمحجلون من التحجيل وهو البياض في الأرجل، ومنه الحديث: «أمتي الغر المحجلون» ، أي: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام. استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه – لسان العرب.

(٣) من خصائص أمة النبي ﷺ أنهم أحلت لهم الغنائم والكفارات، وكانت لا تحل للأمم السابقة، ومن ذلك الحديث: «أعطيت خمسًا لم يعطهن قبلي، ولا أقوله فخرًا: بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، ونصرت بالرعب فرعب العدو مني مسيرة شهر. وقيل: سل تعط، فاختبأت دعوتي لأمتي» ، أخرجه أحمد عن أبي ذر والطبراني في الكبير عن ابن عباس – الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور جـ١ صـ ٦١.

من صريح ذكر النبي ﷺ هو الذي كتمه أهل الكتابين، وأما الذي أبدوه وأثبتوه وترجموه فهو المحرف.

ومما قدمناه ما روي عن كعب الأحبار أنه قال: كان لأبي سفر من التوراة. يدخله تابوتًا ويُقفل عليه، فلما مات أبي فتحته فإذا فيه: إن نبيًا يخرج في آخر الزمان هو خير الأنبياء، وأمته خير الأمم، وهم يشهدون ألا إله إلا الله، يكبرون على كل شرف، ويُصَفُّون في الصلاة كصفوفهم في القتال، قلوبهم مصاحفهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين، اسمه أحمد، وأمته الحمادون، يحمدون الله على كل شدة ورخاء، مولده مكة ودار هجرته طابة، لا يلقون عدوًا إلا وبين أيديهم ملائكة معهم رماح، تحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخها، يدخلون الجنة، تأتي ثلة منهم فيدخلون الجنة بغير حساب، وتأتي ثلة منهم بذنوب وخطايا فيغفر لهم، وتأتي ثلة بذنوب وخطايا عظام فيقول الله: اذهبوا بهم فزنوهم وانظروا إلى أعمالهم فيوزنون ويقولون: ربنا وجدناهم قد أسرفوا على أنفسهم ووجدنا أعمالهم من الذنوب أمثال الجبال غير أنهم كانوا يشهدون ألا إله إلا الله، فيقول: وعزتي لا أجعل من أخلص لي الشهادة كمن كفر بي. قال كعب: فأنا أرجو أن أكون من هذه الثلة - إن شاء الله تعالى.

ومنه ما روي أن رجلين جلسا يتحدثان وكعب الأحبار قريب منهما فقال أحدهما: رأيت فيما يرى النائم وكأن الناس حشروا فرأيت النبيين كلهم لهم نوران ورأيت لأتباعهم نورًا، ورأيت محمدًا ﷺ وما من شعرة في رأسه ولا في جسده إلا وفيها نور، ورأيت أتباعه ولهم نوران.

فقال له كعب: اتق الله يا عبدالله وانظر ما تحدّث به.

فقال له الرجل: إنما هي رؤيا منام أخبرت بها على ما رأيتها.

فقال كعب: والذي بعث محمدًا بالحق وأنزل التوراة على موسى بن عمران: إن هذا لفي كتاب الله المنزل على موسى بن عمران كما ذكرت.

ومنه ما روى مكحول (١) عن كعب أنه قال: إن موسى قال: يا رب إني وجدت في الألواح نعت قوم قلوبهم مثل قلوب الأنبياء، لهم من النور أمثال الجبال

(١) مكحول الدمشقي، وقيل: الشامي، وهو أبو عبدالله مكحول بن عبدالله الشامي، كان مملوكًا =

الراسيات، تكاد تسجد لهم الدواب والشجر من النور الذي في قلوبهم، فاجعلهم يا رب أمّتي قال: يا موسى، هم أمة أحمد.

قال: يا رب، فبم بلغوا ذلك كله، حتى آمر بني إسرائيل أن يعملوا مثل أعمالهم؟

قال: يا موسى، إن الأنبياء تكاد تعجز عما أعطيت أولئك، بلغوا ما بلغوا بأنهم تركوا نعيم الذي أحللت لهم رغبة فيما عندي، فكان عيشهم من الدنيا الجشب [١] من الخبز، والعباء من الثياب، ليسوا من الدينا وليست الدنيا منهم.

ومنه ما روي عن وهب بن منبه أنه قال: قرأت في بعض الكتب القديمة: قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنزلنّ على جبال العرب نورًا يملا ما بين المشرق والمغرب، ولأخرجن من ولد إسماعيل نبيًا عربيًا أميًا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض، كلهم يؤمن بي ربًا وبه رسولاً، ويكفرون بملل آبائهم ويفرون منها.

قال موسى: سبحانك وتقدست أسماؤك، لقد كرمت هذا النبي وشرفته.

قال الله عز وجل: يا موسى، إني أنتقم من عدوه في الدنيا والآخرة، وأظهر دعوته على كل دعوة، وسلطانه على كل سلطان، وأنصره ومن اتبعه على البر والبحر، وأخرج لهم من كنوز الأرض وأذل من خالف شريعته، يا موسى بالعدل زينته، وللقسط أخرجته، وعزتي لأستنقذن به أممًا من النار، فتحت الدنيا بإبراهيم عليه السلام [٢]، وختمتها بمحمد ﷺ ، مثل كتابه الذي يجيء به فاعقلوه يا بني إسرائيل مثل السقاء المملوء لبنًا، يُمخض فيخرج زبدًا، بكتابه أختتم الكتب وبشريعته أختم الشرائع، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل شريعته فهو من الله بريء، أجعل أمته يبنون في مشارق

-

لعمرو بن سعيد بن العاص، فوهبه لرجل من هذيل بمصر، لقي الشعبي ورأى من أصحاب رسول الله ﷺ أنس بن مالك وسأله، كان عالمًا ورعًا راويًا للحديث، توفي سنة ١١٢ هـ الطبقات الكبرى، الوفيات.

(١) في نسخة: الخشن، وهو بمعنى الجشب الوارد في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها خطأ من الناسخ، وصحتها بآدم.

الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر اسمي فيها ذكر ذلك النبي معي، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول.

ما رواه الزهري:

ومنه ما روى معمر[١] عن الزهري[٢] أنه قال: أشخصني هشام بن عبد الملك[٣] إلى الشام، فلما كنت بالبلقاء وجدت حجرًا مكتوبًا عليه بالخط العبراني، فطلبت من يقرؤه، فأرشدت إلى شيخ فانطلقت به إلى الحجر فقرأه وضحك. قلت له: مم تضحك؟ قال: أمر عجيب مكتوب على هذا الحجر: باسمك اللهم جاء الحق من ربك، لسان عربي مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكتب ذلك موسى بن عمران بخط يده.

ما رواه ابن عباس:

ومنه ما رُوي عن عبدالله بن عباس[٤] رضي الله عنهما: أن كتاب النبي ﷺ لما بلغ قيصر ملك الروم جمع بطارقته وعظماء دينه وعرض عليهم الإسلام، فأبوا وأنكروا ذلك إنكارًا شديدًا، فقال لهم قيصر: إنما أردت اختباركم فقد علمت الآن حفظكم لدينكم فقام راهب كان عظيم القدر فيهم فقال: أيها الملك، إنك لتعلمُ أن هذا العربيُ هو النبي الذي بشر به عيسى، وإنه راكب الجمل الذي يجيء بعد راكب الحمار، مولده مكة ومهاجره طابة، وملكه بالشام، وأمته الحمادون، وذكر كلامًا

(١) معمر: معمر بن راشد ويكنى أبا عروة، وكان مولى للأزد، وكان من أهل البصرة، فانتقل ونزل اليمن، وكان رجلاً له حلم ومروءة ونبل في نفسه توفي ١٥٣ هـ الطبقات الكبرى.

(٢) الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم المعروف بابن شهاب الزهري، نسبة إلى زهرة بن كلاب القرشي، أحد الفقهاء والمحدثين الأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة وروى عن جماعة من الأئمة منهم مالك وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، توفي في رمضان سنة ١٢٤ هـ الوفيات جـ٢.

(٣) هو الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بن مروان، تولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبدالملك في شوال سنة ١٠٥ هـ وظل بها حوالي عشرين عامًا حتى قبض سنة ١٢٥ هـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، مروج الذهب جـ٢ صـ١٦١.

(٤) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، حبر الأمة وابن عم النبي ﷺ، ولد والنبي ﷺ بالشعب محاصر، فأتى به النبي فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، ودعا له، كان من أعلم الناس بالتأويل، مات سنة ٦٨ هـ بالطائف، أسد الغابة جـ٣ صـ٢٩.

طويلاً في هذا الفن ثم إنه شهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فوثب القوم إليه فقطعوه بسيوفهم.

رواية دحية في سفارته لقيصر:

وقد روى هذا الحديث دحية بن خليفة الكلبي [١] رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر، وفيه زيادة. فقال رحمه الله: وافيت قيصر بكتاب رسول الله ﷺ وهو بدمشق، فأدخلت عليه خاليًا، فناولته الكتاب، فقبل خاتمه وفضه، وقرأه، ثم وضعه على وسادة أمامه، ثم دعا بطارقته وزعماء دينه فقام فيهم على وسادة بنيت له، وكذلك كانت ملوك فارس والروم تقوم إذا خطبت ولم تكن لها منابر، ثم خطبهم فقال: هذا كتاب النبي الذي بشرنا به عيسى المسيح، وأخبر أنه من ولد إسماعيل، قال: فنخروا [٢] نخرة عظيمة، وحاصوا [٣]، فأومأ إليهم بيده أن اسكنوا، ثم قال: إنما جربتكم لأرى كيف عصبتكم لدينكم ونصركم له، وصرفهم، ثم استدعاني من الغد فأخلاني وآنسني بحديثه، ثم أدخلني بيتًا عظيمًا فيه ثلاثمائة صورة وثلاث عشرة صورة، فإذا هي صور الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فقال: انظر صاحبك من هؤلاءِ الصور، فنظرت فإذا هي صورة النبي ﷺ كأنما تنطق، فقلت: هذا هو. فقال: صدقت، ثم أراني صورة عن يمينه، فقال: من هذا؟ قلت: صورة رجل من قومه يقال له: أبو بكر، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره، وقال: من هذا؟ فقلت: رجل من قومه يقال له: عمر. فقال: إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يتمم الله أمره.

قال دحية: فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته فقال: «**صدق، بأبي بكر وعمر يتم الله هذا الأمر ويفتح بعدي**».

---

(١) دحية الكلبي، هو دحية بن خليفة الكلبي صاحب رسول الله ﷺ شهد أُحدًا وما بعدها، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورته أحيانًا، وبعثه النبي ﷺ إلى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة، روى عنه الشعبي وغيره، أسد الغابة.

(٢) النخير صوت الأنف، تقول: نخر الإنسان وغيره أي مد الصوت والنفس في الخياشيم.

(٣) في الهامش: حاص: عدل، وفي الحديث: «**حاص المسلمون حيصة**» قلت: أورده لسان العرب في حديث أنس قال: لما كان المسلمون يوم أُحد حاص المسلمون حيصة.

ما رواه حكيم بن حزام:

ومنه ما روي عن حكيم بن حزام [(١)] أنه قال: دخلت الشام للتجارة قبل أن أسلم، ورسول الله ﷺ بمكة، فأرسل قيصر إلينا فجئناه ومعنا أمية بن أبي الصلت الثقفي، فقال: من أي العرب أنتم وما قرابتكم من هذا الرجل الذي جاء يزعم أنه نبي؟

قال حكيم بن حزام: فقلت له: أنا ابن عمه في جِذم [(٢)] نسبه، يجمعني وإياه الأب الخامس، فقال: هل أنتم صادقيّ في شيء أريكموه وأسألكم عنه؟

فقلنا: نعم نصدقك أيها الملك.

قال: أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه؟

فقلنا: نحن ممن رد عليه ما جاء به وعاداه، ولكننا نصدقك مع هذا.

فقال: احلفوا لي بآلهتكم لتصدقنني في جميع ما أسألكم عنه وأعرضه عليكم.

فحلفنا له وأعطيناه من المواثيق ما أرضاه، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله ﷺ فأخبرناه بها، ثم نهض واستنهضنا معه، وأتى كنيسة في قصره، فأمر بفتحها، ودخل ونحن معه، وجاء بنا إلى ستر فأمر بكشفه فإذا صورة رجل، فقال: أتعرفون من هذه صورته؟

قلنا: لا.

قال: هذه صورة آدم.

ثم تتبع أبوابًا يفتحها ويكشف لنا عن صور الأنبياء واحدًا بعد واحد ويقول: هذا صاحبكم، فنقول: لا، حتى فتح بابًا وكشف سترًا عن صورة محمد ﷺ فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذه صورة صاحبنا.

---

(١) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي، ولد في الكعبة، وأسلم يوم الفتح، كان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، وعاش مائة وعشرين عامًا، توفي سنة ٥٤ هـ أيام معاوية، أسد الغابة. وأمية بن أبي الصلت: عبدالله الثقفي، نظر في الكتب في الجاهلية وعرف أن نبيًا من العرب سيبعث فالتمس الدين وطمع في النبوة وتزهد، فلما بعث النبي ﷺ كفر به حسدًا، وحرض على المسلمين بشعره ومات كافرًا، وله شعر يتحدث فيه عن التوحيد والبعث والحساب والجزاء.

(٢) الجذم بالكسر أصل الشيء وقد يفتح، اللسان.

فقال: أتدرون منذ كم صوّرت؟

قلنا: لا.

قال: منذ أكثر من ألف سنة، إن صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه، ولوددت أني عنده فأشرب ما يغسل عن قدميه.

ما رواه جبير بن مطعم:

ومنه ما روي عن جبير بن مطعم (١) أنه قال: لما بعث النبي ﷺ خرجت تاجرًا إلى الشام، فأرسل إليّ عظيم الأساقفة، فأتيته، فقال: هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة يزعم أنه نبي الله؟ قال: قلت: نعم، هو ابن عمي، فأخذ بيدي وأدخلني بيتًا فيه تماثيل، وقال: انظر هل ترى صورته هاهنا؟ فنظرت فلم أر شيئًا، فأخرجني من ذلك البيت وأدخلني بيتًا أكبر منه فيه مثل ذلك، وقال: انظر هل تراها هاهنا، فنظرت فإذا صورة النبي ﷺ، وإذا صورة أبي بكر وهو آخذ بعقب النبي ﷺ، وإذا صورة عمر وهو آخذ بعقب أبي بكر. فقال: هل رأيته؟ قلت: نعم، هو ذا. فقال: أتعرف الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم، هذا ابن أبي قحافة ابن عمنا، قال: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم هذا ابن الخطاب ابن عمنا.

قال: أشهد أن هذا رسول الله وأن هذا هو الخليفة من بعده، وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا.

رواية الواقدي حول سؤال هرقل للنجاشي عن الرسول:

ومنه ما رواه الواقدي: أن هرقل كان يبعث إلى النجاشي بشمامسته فيقرأون عليه الإنجيل وغيره، وكان النجاشي من أعلم الناس بكتب الله في عصره، فإذا تعلموا ما يريدونه رجعوا إلى هرقل وبعث غيرهم للقراءة على النجاشي.

وإن قيصر قال يومًا لعلماء دينه: هاهنا أحد ممن قرأ على النجاشي؟

---

(١) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي يكنى أبا محمد، وقيل: أبا عدي. كان من حلماء قريش وعقلائهم، وكان يؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب قاطبة، أسد الغابة. وقد ذكر هذا الخبر البيهقي في دلائل النبوة جـ١ صـ ٣٨٤، وقال: رواه البخاري في التاريخ عن محمد غير منسوب، والتاريخ: هو التاريخ الكبير ١/١٧٩.

قالوا: نعم، عشرة من العلماء الشمامسة، فأحضرهم ثم سألهم عن أعلمهم، فأشاروا إلى أحدهم، فخلا به ثم قال له: ألا تخبرني عن النجاشي؟ قال: بلى أيها الملك، أنا آخر من قفل من عنده بعد مُقام أربعة أعوام، وقد عرفت أمرهُ جُلّه، فعن أي شيء يسألني الملك من أمره؟

فقال له قيصر: هل سمعته يذكر هذا العربي الذي يقول: إنه نبي؟

قال: نعم، إنه وضع الإنجيل أمامه وليس عنده غيري، فقرأ: أحمد العربي يركب البعير ويتجزى بالكسر، يخرج من مكة إلى يثرب، وهو خير الأنبياء، يقوم فيما بين عيسى والساعة، فمن أدركه واتبعه رشد، ومن خالفه هلك. ورأيتُه يُعلّم هذا ابنه. وحضرت أصحاب محمد يتكلمون عنده، فخاطبه ابن عم محمد (١) خطابًا أبكاه حتى بلّ لحيته بدموعه، ثم قال: أشهد أنه النبي العربي الذي بشر به المسيح وهو خير الأنبياء.

فقال قيصر: صدق النجاشي، ولولا أني أضِن بملكي ولا يتابعني الروم إن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه، وسيظهر دينه على منتهى الخف والحافر، ثم قال للشماس: على أي دين أنت؟ قال: لولا أني أكره خلاف الملك لاتبعت محمدًا.

فقال له قيصر: لا تخفني واكتم أمرك عن الروم وتوجه إلى حيث شئت أو أقم.

فقال الشماس: إني أريد اللحاق به.

قال: اذهب، فذهب متوجهًا إلى النبي ﷺ، فلما كان بالبلقاء اغتاله قوم، وبلغ ذلك قيصر، فأرسل إلى عامله بالبلقاء أن اطلب الذين قتلوا عبدي فاقتلهم به، فظفر بهم فصلبهم ثم قتلهم.

ما رواه عبدالله بن مالك:

ومنه ما رُوي عن عبدالله بن مالك أنه قال: قدمت اليمامة في خلافة عثمان ﷺ فجلست في نادٍ بحجْر - قال محمد: وهي قصبة اليمامة - فقال رجل

---

(١) يشير إلى جعفر بن أبي طالب حين سأله النجاشي عن الإسلام فأجابه، راجع سيرة ابن هشام جـ١ صـ ٣٥٨ ط. التحرير. عبدالله بن مالك، هذا اسم لعدة رجال من الصحابة منهم عبدالله بن مالك الحجازي، وعبدالله بن مالك الغافقي، وعبدالله بن مالك بن أبي القيم، وعبدالله بن مالك أبو كاهل، وعبدالله بن مالك بن المعتمر، وعبدالله بن مالك الخثعمي، راجع أسد الغابة.

في النادي: بينما أنا يومًا عند هوذة ذي التاج [(١)] - قال محمد: كان هوذة هذا نصرانيًا من ملوك العرب قد توجّه إلى كسرى وملّكه - قال: فدخل هوذة، فقال له: هذا راهبُ دمشق يستأذن فاذن له، فدخل فرحب به هوذة وتحادثا، فقال له الراهب: ما أطيب بلاد الملك. قال هوذة: أجل هي ريف العرب وأصح بلادها.

قال الراهب: أين بلادُ محمدٍ الذي يدعو الناس إلى دينه من بلاد الملك؟

فقال هوذة: هو منا قريب بيثرب، وقد جاءني كتابه يدعوني فلم أجبه إلى ما سأل.

قال: لم؟

قال: ضَنَنْتُ بملكي وخشيت أن يذهب إذا صرت تبعًا له.

فقال الراهب: لو اتبعته لملّكك وأقرّك، والخير لك في اتباعه، فإنه النبي الذي بشر به عيسى ووصفه في الإنجيل بصفته.

فقال هوذة للراهب: فما لك لا تتبعه؟

قال: أجدني أحسدُه وأحبّ الخمر وهو يحرّمها.

فقال هوذة: ما أراني إلا متبعه وسائله أن يقرني على ملكي، ولقد وعدني رسوله ذلك.

ثم أمر كاتبه فكتب إليه كتابًا وبعث به إلى النبي ﷺ وبعث إليه رسولاً بهدية مكانه ذلك، وشعر قومه بذلك فأتوه وقالوا: إن تركت دينك لم نملكك علينا، فارتجع الرسول. ورفض لما كان عليه، ولبث الراهب عنده في كرامة، وكان يفد عليه كل عام، ثم ظعن عنه إلى الشام، فلقيته عند ظعنه فقلت: أحق ما قلت لهوذة في أمر محمد؟ قال: نعم فاتبعه، فرجعت إلى أهلي فتجهزت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بما سمعت وآمنت به.

يهودي يخبر عبد المطلب بولادة النبي:

ومنه ما روي أن يهوديًا قال لعبد المطلب: يا سيد البطحاء، إن المولود الذي كنتُ حدثتكم عنه قد وُلِد البارحة.

---

(١) هوذة : هوذة بن علي الحنفي كان ملكًا على اليمامة. أرسل إليه النبي ﷺ سليط بن عمرو العامري فرد بقوله: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. فقال النبي ﷺ: «لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه» فهلك، الطبقات الكبرى جـ١ قسم ٣ صـ١٨، وهدي السيرة.

فقال عبدالمطلب: قد وُلد لي البارحة غلام.

قال اليهودي: ما اسمه؟

قال: محمد.

قال اليهودي: هذه ثلاث يشهد على نبوته: إحداهن: أنه طلع نجمه البارحة.

والثانية: أن اسمه محمد.

والثالثة: أنه يولد في صُيابة قومه، وأنت يا عبد المطلب صُيابتهم.

قال محمد - عفا الله عنه -: صُيّابة القوم: هو خالصهم وصميمهم وخيارهم.

ما رواه أبو البختري عن بني قريظة:

ومنه ما روى أبو البختري عن بعض بني قريظة أنه قال لجلسائه: أتدرون ما سبب إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسيد بن عبد [١] ؟

قالوا: لا.

قال: قدم علينا رجل من يهود الشام يقال له: الهيبان، فحل بين ظهرانينا، فما رأينا رجلاً لا يصلي الخمس كان أفضل منه، وكنا إذا قحطنا سألنا أن يستسقي لنا، فيأمرنا بإخراج صدقة فنخرجها ثم يظهر بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا، فما يبرح من مجلسه حتى يطلع السحاب ونُسقى، فلما حضرته الوفاة قال: يا معشر اليهود ما تظنون الذي أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع؟ فقلنا: أنت أعلم، فقال: إني إنما قدمت هذا البلد لأني كنتُ أنتظر خروج نبي قد أظل زمانه فلا يسبقكم إليه أحد، يا معشر اليهود، إنه يبعث بسفك الدم، وسبي الذرية والنساء ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه.

قال فلما بُعث النبي ﷺ قال هؤلاء النفر - وكانوا شبابًا [٢]-: يا بني قريظة،

---

(١) ثعلبة بن سعية القرظي، أسيد بن سعية القرظي، وقيل: أسد بن سعية القرظي، أسيد بن عبد، وقيل: أسد بن عبيد القرظي، أسلم ثلاثتهم في الليلة التي نزلت في غدها بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ، فمنعوا دماءهم وأموالهم. وحين أسلموا قال اليهود: ما آمن بمحمد إلا بعض شرارنا، فنزل قوله تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله... ﴾، أسد الغابة.

(٢) أورد البيهقي في دلائل النبوة هذا الخبر، قال: عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: هل تدري عما كان من إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وأسد بن عبيد، وساق الخبر بنحو ما ذكره ابن ظفر، إلا أنه قال: ابن الهيبان، دلائل النبوة جـ٢ صـ٨٠.

إن هذا لهو النبي الذي عهد إلينا فيه الهيبانُ ما عهد، فقالوا: لا ليس هو به، فنزل هؤلاء النفر فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.

قصة عن سلمة بن جندل:

ومنه ما روي عن سلمة بن جندل أنه قال: كان لنا جار من اليهود فخرج علينا قبل مبعث النبي ﷺ فأتى مجلسًا لنا وأنا يومئذ أحدث من في ذلك المجلس سنًا، وقد اضطجعت في بُردة لي بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ثم قال: إنما ذلك لقوم أهل شرك وعباد أوثان لا يرون أن شيئًا من ذلك كائن بعد الموت، وإن الناس يبعثون إلى دار فيها جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟ فقال: نعم.

فقالوا له: وما آية ذلك؟

فقال: نبيٌّ يبعث في ناحية من هذه الأرض وأشار بيده على جهة مكة.

قالوا: ومتى ترى ذلك كائنًا؟

قال: عما قريب.

قال سلمة: فقلما لبثنا أن بُعث النبي ﷺ واليهودي بين ظهرانينا، فكذّب وآمنا، فقلنا له: ويلك أتكفر بغيًا وحسدًا؟ ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟

فقال: بلى، ولكني لا أومن به أبدًا.

ما رواه حسان بن ثابت:

ومنه ما روي أن حسان بن ثابت (١) رحمه الله تعالى قال: والله إني لعلى أطمى فارع (٢) في السحر إذ سمعت صوتًا لم أسمع قط أنفذ منه، وإذا هو صوت

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبا الولد وأبا عبدالرحمن شاعر الرسول والإسلام، وكان النبي ﷺ ينصب له منبرًا في المسجد يقوم عليه يناضل عن رسول الله وعن الإسلام، وقال عنه الرسول: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله». توفي قبل الأربعين في خلافة علي. أسد الغابة، والخبر الذي ذكره المصنف أورده ابن هشام في سيرته جـ١ صـ١٧١ ط. التحرير.

(٢) في الهامش: فرع الجبل وغيره: علاه وصعده، ونزل منه ضده، والفارع هنا : العالي، أو هو اسم الأطم.

يهودي على أطم [(١)] من آطام اليهود معه شُعلة من نار، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صراخه، قالوا: ما بالك؟ ويلك، قال حسان: فسمعته يقول: هذا كوكب أحمر قد طلع، وهو كوكب لا يطلع إلا بالنبوة، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد. قال حسان: فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما أتى به. قال: وكان أبو قيس [(٢)] أحد بني النجار قد ترهب ولبس المسوح، فقيل له: يا أبا قيس، انظر فيما قال هذا اليهودي، فقال: صدق، إن انتظار أحمد هو الذي صنع بي ما صنع، ولعلي أن أدركه فأومن به، فلما بلغه [(٣)] ظهور النبي ﷺ آمن وهو في المدينة، وقد نالت السن من أبي قيس.

ما حدثت به أم المؤمنين صفية:

ومنها ما روي أن صفية [(٤)] بنت حيي بن أخطب قالت: كنت أحب الناس إلى أبي، وكان عمي أشد حبًا لي، فأتيا النبي ﷺ بقُباء، ثم رجعا من عنده ثقيلين لا يلتفتان نحوي ولا ينظران إلي، فسمعت عمي يقول لأبي: هل تعرفه؟ قال: نعم. قال: فماذا عندك فيه؟ قال: عداوته آخر الدهر. فقال عمي لأبي: أنشدك الله يا أخي أن تطيعني في هذا ثم اعصني فيما سواه، وهلُم نتبعه. قال أبي: لا والله لا أزال له عدوًا أبدًا. فقال عمي: إنك تهلكنا وتهلك نفسك، إن هذا نبي السيف، وجعل عمي يكلمه وهو يأبى ذلك إلا كلامه الأول.

قالت صفية: فلما كان الليل وجدت نسوة من بني النضير جلوسًا يقلن: والله ما أحسن حُيي بن أخطب بخلاف أخيه، وإنا لنعلم أن هذا نبي مذكور في الكتب،

---

(١) الأطم: الحصن، ويجمع على آطام.

(٢) أبو قيس بن صرمة بن أبي أنس من بني النجار- ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتًا له فاتخذه مسجدًا، فلما قدم الرسول المدينة أسلم وحسن إسلامه، وكانت له أشعار في الجاهلية يعظم الله فيها، أسد الغابة.

(٣) في نسخة: فلما بلغ أبو قيس ظهور النبي ﷺ بمكة آمن به وكان كبير السن فلم يقدر على الهجرة إليه، أبو قيس هكذا في نسخة، والصواب أبا قيس.

(٤) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية الذي كان زعيمًا من زعماء اليهود، أسرت في خيبر، فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها وكانت عاقلة حكيمة توفيت سنة ٣٦ هـ وقيل: سنة ٥٠ هـ، وكانت قد رأت قمرًا وقع في حجرها فذكرت ذلك لأبيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه، وقال: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى كانت عند الرسول فسألها عنه فأخبرته، أسد الغابة.

وقالت عجوز منهن: سمعت أبي وهو يقول لإخوتي: إن نبيًا من العرب يقال له: أحمد، مولده مكة ودار هجرته يثرب وهو خير الأنبياء، وإن خرج وأنتم أحياء فاتبعوه.

قالت صفية: وإذا هن كلهن يُزرين على أبي وينعين عليه فعله.

قالت صفية: فلما تزوجني رسول الله ﷺ جعلت أحدثه بذلك فيعجب.

اعتراف بني قريظة بنبوة محمد:

ومنه ما رُوي أن النبي ﷺ حاصر بني قريظة فلما كانت ليلة سبت قال كعب ابن عمرو لبني قريظة: اختاروا واحدة من ثلاث.

قالوا: وما هن؟

قال: نتبعُ هذا الرجل ونؤمن فقد علمنا أنه النبي العربي الذي بشر به موسى وإنا لنجد صفته في الكتاب.

قالوا: أما هذه فلا.

قال: فهلّم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نلقى محمدًا وليس وراءنا من نأسف على تركه، فإن ظهرنا فسنجد النساء والأولاد، وإن هلكنا لم نُخلّف عورة.

قالوا: لا تعجل بقتل هؤلاء المساكين ظلمًا.

قال كعب: فهذه ليلة السبت ومحمد يأمنها فهلم نلتمس عورته الليلة.

فقالوا: لا نفسدُ السبت.

فقال كعب: أشهد أنه ما بات رجل منكم حازمًا ليلة واحدة قط.

قصة من الإسكندرية:

ومنه ما رُوي أنه كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جمل من نحاس وعليه راكبٌ معتم متنكب قوسًا عربية وفي رجليه نعلان، فكانوا إذا تظالموا أتوا تلك الصورة فقال المظلوم للظالم: أنصفني قبل أن يخرج هذا النبي فيأخذ لي بحقي منك شئت أو أبيت، فلما قدم عمرو بن العاص مصر غيبوا تلك الصورة.

ما رواه أبو بكر عن سفرته في اليمن:

ومنه ما روى عبدالله بن مسعود [١] عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:

(١) عبدالله بن مسعود بن عامل بن حبيب وكنيته أبو عبدالرحمن الهذلي - من السابقين إلى الإسلام، هو سادس ستة، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، هاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد المشاهد

خرجت إلى اليمن في تجارة قبل مبعث النبي ﷺ فنزلت على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكتب وحوى علمًا كثيرًا، وأتى عليه من العمر ثلاثمائة وتسعون سنة، فلما تأملني، قال: أحسبك حَرَميًّا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فقلت: نعم، أنا من أهل الحرم.

قال: أحسبك تيميًّا.

فقلت: نعم، أنا من تيم بن مرة.

قال: بقيت لي فيك واحدة.

قلت: ما هي؟

قال: اكشف لي عن بطنك.

قلت: لا أفعل أو تخبرني لم ذلك؟

فقال: إني أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيًا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتىً وكهل، فأما الفتى فخوّاض غَمَرات وكشّاف معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة، فلا عليك أن تريني ما خفي علي.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي.

فقال: أنت هو ورب الكعبة، وإني متقدم إليك في أمر فاحذره.

فقلت: وما هو؟

قال: إياك والميل عن الهدي وتمسك بالطريقة المثلى، وخف الله عز وجل فيما أعطاك وخولك.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فقضيت باليمن إربي ثم أتيت الشيخ لأودعه فقال: أحامل أنت مني أبياتًا إلى ذلك النبي؟

قلت: نعم، فأنشأ يقول:

ألم تر أني قد سئمت معاشـــــري ونفسي وقد أصبحت في الحي راهنا؟

كلها مع رسول الله ﷺ، كان حسن القراءة للقرآن الكريم ويحب النبي أن يسمع صوته في قراءته، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٢ هـ، أسد الغابة.

حييت وفي الأيام للمــرء عــبرة ثلاث مئـــين ثم تسعين آمـــنا
وصاحبت أحبارًا أناروا بعلمهــم غياهب جهل ما ترى فيه طابـــنا
وكم عفشليل راهب فوق قائـــم لقيت وما غادرت في الأرض كاهـنا
فكلهم لما تغطمست قـــال لي بأن نبيًّا ســوف يلقـــاه دائـــنا
بمكة والأوثـــان فيها عـــزيزة فيركسها حتى تراهـــا كوامـــنا
فما زلت أدعو الله في كل حاضر حللت به ســـرًا وجهرًا معالـــنا
وقد خمدت مني شرارة قـــوتي وأُلقيتُ شيخًا لا أطـيق الشواجـنا
وأنت ورب البيت تلقى محمـدا بعامك هذا قـد أقـام البراهـــنا
فحي رسول الله عـــني فإنـــني على دينه أحيا وإن كنت واهـــنا
فياليتني أدركـــته في شـــبيبتي فكنت له عبدًا وإلا العجاهــــنا (١)
عليه سلام الله مـــا ذر شارق فألق هفهافًا من النور هافـــنا (٢)
وما سنحت بالجهلتين وشيجـــة ومـــا خلد الطـــود المتالع عـــادنا

قال أبو بكر ﷺ: فحفظت وصيته وشعره وقدمت مكة، فجاءني شيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري وعقبة بن أبي معيط ورجالات قريش مسلّمين عليّ.

فقلت: هل حدث أمر؟

قالوا: حدث أعظم الخطوب، هذا يتيم أبي طالب زعم أنه نبي أرسله الله إلى الناس، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذ جئت فأنت النهية.

قال: فأظهرت لهم تعجبًا وصرفتهم في أحسن مس، وذهبت أسأل عن النبي ﷺ فقيل لي: هو في منزل خديجة، فقرعت الباب عليه، فخرج إليّ، فقلت: يا محمد، فقدت من نادي قومك واتهموك بالغيبة وتركت دين آبائك.

(١) في الهامش: العجاهن صديق الرجل المعرس الذي يجري بينه وبين أهله في أعراسه فإذا بنى بأهله فلا عجاهن.

(٢) في نسخة: هامنا.

فقال: «**يا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله**». قلت: وما آيتك؟

قال: «**الشيخ الذي لقيته باليمن؟**».

فقلت: وكم من شيخ قد لقيتُ وبعت منه واشتريت وأخذت وأعطيت.

قال: «**الشيخ الذي أخبرك عني وأفادك الأبيات**».

قلت: ومن أخبرك بهذا يا حبيبي؟

قال: «**الملك العظيم الذي كان يأتي الأنبياء قبلي**».

قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال أبو بكر: وانصرفتُ وما أحد أشد سرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي.

تفسير غريب الأبيات:

قال محمد - عفا الله عنه -: في هذه الأبيات من الغريب قوله: راهنا. فالراهن: المقيم الثابت.

وقوله: طابنا. فالطابن: العارف بالشيء والخبير به.

وقوله: الشواجن: أحسبه أراد السير في الأرض ذات الشواجن، وهي الطرق المتداخلة المتخالفة.

وقوله: واهنا. أي: ضعيفًا.

وقوله: العجاهن: فالعجاهن من يُتلهى ويُضحك منه، وهو في الأصل رجل يحضر عرس الجارية البكر، فإذا خلا بها زوجها شدوا ظهرانه يُضرب ويعاقب فيستغيث بالعروس ويتكلم بما يضحكها فيتمكن منها بعلها فيفتضها.

وقوله: تألق. التألق: البريق واللمعان.

وقوله: هفهافًا. هو الرقيق المضطرب.

وقوله: هافنًا. أي: ضعيفًا.

وقوله: بالجلهتين وشيجة. فالجلهتان [1] جانبا الوادي، والوشيجة: عروق الشجر الملتفة المتداخلة.

(١) في لسان العرب: الجلهة: ما استقبلك من حروف الوادي وجمعها: جَلاهٍ، وقال ابن الأنباري: الجلهتان =

وقوله: متالع. أي مُطاول معال، ومنه التلع وهو طول العنق.

وقوله: عادنًا، أي مقيمًا.

قال محمد - عفا الله عنه -: هذا نمط عجاب زاخر العباب، وقد أتحفتك منه بلُبَاب هذا الباب، والله المسدد للصواب.

الصنف الثالث من خير البِشَر بخير البَشَر

ما جاء من البشارة على ألسنة الكهان

قال محمد - عفا الله عنه -: إن المأثور من بشاير الكهان والجان بمبعث رسول الله ﷺ ليُعجز الإحصاء ويعوز الاستقصاء، لكني أحليك منه في هذا الكتاب الأعجب وأجنيك الأطيب فالأطيب راغبًا إلى الله سبحانه في إجمال العون وإكمال الصون.

ما روي عن لهيب بن مالك اللهبي:

فمنه ما روي عن لهيب بن مالك اللهبي [١] أنه قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذُكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم. وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يُقال له: خَطَرٌ بن مالك، وكان شيخًا كبيرًا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة، وكان من أعلم كهاننا، فقلنا له: يا خطر، هل عندك علمٌ من هذه النجوم التي يرمى بها؛ فإنا قد فرغنا لها وخفنا سوء عاقبتها؟ فقال: عودوا إليّ السَّحر، إيتوني بسَحر أخبركم الخبر أبخير أم ضرر أو أمنٌ أو حذر.

قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد في وجه السَّحر، فإذا هو قائم على

جانبا الوادي، وهما بمنزلة الشطين.

(١) لهيب بن مالك اللهبي - ويقال: اللهيبي. ذكره أسد الغابة وقال: روى خبرًا عجيبًا في الكهانة وأعلام النبوة.

قدميه شاخصٌ إلى السماء بعينيه فناديناه: يا خطر، يا خطر، فأومأ إلينا أن أمسكوا فأمسكنا، وانقضَّ نجم عظيم من السماء فصرخ الكاهن بأعلى صوته قائلاً: أصابه أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابُه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حالُه، بلبله بالباله [١]، عاوده خباله، تقطعت حباله، وغُيِّرت أحواله.

ثم أمسك طويلاً. ثم قال: يا معشر بني قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة ذات الأركان، والبلد المؤتمن السكان، لقد مُنع السمعَ عتاةُ الجان، بثاقب بكف ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشان يُبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان.

قال: فقلنا له: ويحك يا خَطَر إنك لتذكر أمرًا عجبًا، فماذا ترى لقومك؟

فقال: أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتّبعوا خير بني الإنس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث في مكة ذات الحمسِ، بمحكم التنزيل غير اللبس.

فقلنا: يا خطر وممن هو هذا النبي؟

فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا خُلفه عيش، ولا خُلُقه غبش[٢]، يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل دبش [٣].

قبيلته من خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

فقلنا له: بيّن لنا من أي قريش هو؟

فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحايم [٤]، إنه لمن نجل هاشم، من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم.

ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان.

ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر.

---

(١) البلبلة والبلابل والبُلبال: شدة الهم والوسواس في الصدور.

(٢) الغبش: الظلام.

(٣) أقول: وربما كانت ربس وهي لفظة من معانيها الكثير والربيس من الرجال الشجاع والداهية، اللسان، والدبش بالشين: يقال: وسيل دباش: أي عظيم يجرب كل شيء.

(٤) من حام يحوم – والحوم القطيع الضخم من الإبل– قد يقصد البيت الذي يقدم له الهدي الكثير من الإبل، أو الذي يحوم الناس حوله.

ثم سكت وأُغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث، فقال: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد نطق عن مثل نُبوة وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة واحدة».

ما رواه المغيرة بن الأخنس:

ومنه ما روي عن المغيرة بن الأخنس [١] أنه قال: إن أول العرب فزع لرمي النجوم ثقيف، فاجتمعوا إلى كاهنهم وعالمهم أمية بن أبي الصلت [٢] وقالوا له: لقد رأيت ما كان من ترامي النجوم وقد خشينا أن يكون هذا لما ذكرته لنا من أمر القيامة.

فقال: أمهلوني إلى الليل، فذهبوا ثم أتوه ليلاً، فقال: انظروا هل تفقدون من نجوم البروج وما يهتدى به شيئًا؟ فنظروا فقالوا: لا نفقد مما نعرفُ من النجوم شيئًا.

فقال: لو كان هذا الأمر القيامة لسقطت نجوم البروج.

قالوا: فما تراه؟

قال: هذا لمولد نبي هذه الأمة الذي ذكرته لكم.

ما رواه ابن إسحاق في سيرته:

ومنها ما رويناه عن محمد بن إسحاق المطلبي [٣]: أن ربيعة بن أبي نصر اللخمي [٤] الملك رأى رؤيا هالته، فبعث إلى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من

---

(١) المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، وهو حليف بني زهرة وقتل يوم الدار مع عثمان شهيدًا، وأبلى يومئذ بلاءً حسنًا وقاتل قتالاً شديدًا حتى قتل، وقيل: إن الذي قتله رأى في المنام من يقول له: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار. وكان لا يعرفه، فلما قتله وعرف أنه المغيرة قال: ما أراني إلا المبشر بالنار، فلم يزل بِشر حتى هلك - أسد الغابة.

(٢) أمية بن أبي الصلت الثقفي - اسمه: منبه بن بكر بن هوازن- كان شاعر ثقيف، نظر في الكتب وقرأها في الجاهلية ولبس المسوح تعبدًا، والتمس الدين وشك في الأوثان وطمع في النبوة لأنه كان قد قرأ في الكتب أن نبيًا يبعث من العرب فظن أنه هو، فلما بعث النبي ﷺ كفر به وكذبه وحرض المشركين عليه، مهذب الأغاني جـ١ ص ٤٠.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المخزومي، أحد الأعلام وصاحب المغازي، ومن كتبه أخذ ابن هشام سيرة رسول الله ﷺ، الوافي بالوفيات جـ٢ ص١٨٨.

(٤) هو ربيعة بن أبي نصر، ملك اليمن بين أضعاف ملوك التتابعة.

رعيته، فاجتمعوا لديه، فقال لهم: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فقالوا له: قُصّها علينا نخبرك بتأويلها.

فقال لهم: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، ولست أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها.

فقال بعضهم: إن هذا الذي يروم الملك لا يجده إلا عن سطيح(١) وشِقّ(٢)، فبعث الملك إليهما من أتاه بهما، فسأل سطيحًا، فقال سطيح: إنك أيها الملك رأيت حُممة خرجت من ظلمة بين أكمة وروضة فأكلت كل جمجمة.

فقال الملك: ما أخطأت شيئًا، فما عندك في تأويلها؟

فقال سطيح: أحلف بما بين الحرّتين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش، فلتملكن ما بين أبين إلى جُرش.

فقال الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زماني أم بعده؟

فقال: بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين، ثم يُقتلون ويخرجون منها هاربين.

قال الملك: ومن الذي يلي من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه ابن ذي يزن(٣)، يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدًا منهم باليمن.

قال الملك: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟

قال: نبي زكي يأتيه الوحي من العلي.

---

(١) سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن، ينتهي إلى غسان.. أحد كهان العرب في الجاهلية، سيرة ابن هشام.

(٢) شق: هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم ينتهي إلى أنمار بن نزار أحد كهان العرب في الجاهلية. سيرة ابن هشام.

(٣) هو معد يكرب بن سيف بن ذي يزن، وقد تمكن من إخراج الحبشة وإجلائهم عن اليمن ووفدت إليه العرب مهنئة، وكان عبد المطلب أحد المهنئين له. سيرة ابن هشام.

قال: وممن هذا النبي؟

قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال الملك: وهل للدهر من آخر يا سطيح؟

قال: نعم، يوم يُجمع الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون.

قال الملك: أحقًّا ما تخبرني به يا سطيح؟

قال: نعم، والشفق والغسق والقمر المتسق، إن ما أخبرتك به من الحق.

ثم إن الملك أحضر شقًّا فسأله كما سأل سطيحًا: فقال له شق: إنك رأيت حُممة [1] خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت كل ذات نسمة.

فلما سمع الملك مقالة شق قال له: ما أخطأت شيئًا منها، فما عندك في تأويلها؟

فقال شق: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال الملك: إن ذلك لنا لغائظ مؤلم. فمتى يكون؟ أفي زماني أم بعده؟

فقال: بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم الشان، ويذيقهم أشد الهوان.

فقال الملك: من هذا العظيم الشأن؟

قال: غلام من علية اليمن يخرج من بيت ذي يزن.

قال الملك: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول هو خاتم الرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال الملك: وما يوم الفصل؟

قال شق: يوم تُجزى فيه ويدعى من السماء دعوات يسمعها الأحياء

---

(١) الحممة: القطعة من النار، وأبين ونجران مكانان، وكذلك جرش التي مرت في كلام سطيح، وطفلة البنان: كناية عن المرأة اللينة الأصابع.

والأموات، ويُجمع الناس للميقات، فيفوز الصالحون بالخيرات.

قال الملك: أحقًا ما تقول يا شق؟

قال شِق: ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما له نقض.

فوقع ذلك في نفس الملك لما رأى من تطابق سطيح وشق على ما ذكراه، فجهز أهل بيته إلى الحيرة فرقًا من سلطان الحبشة.

قصة ابن زهرة بن كلاب:

ومنه ما روي أن زهرة بن كلاب ولدت له بنت بيضاء ناصعة البياض بها شامة سوداء، فكره بياض لونها وعاف الشامة التي بجسدها وأمر أن توارى - أي تدفن حية- فخرج بها الذي أمره فيها بذلك، حتى إذا دنا من الحجون حفر لها ودلاها في الحفرة، فسمع هاتفًا يقول: رُبّ فارس ركّاد مطعم جواد في السنة الجماد من الجارية الملقاة بالواد.

فلما سمع الرجل مقالة الهاتف استخرج الطفلة من الحفرة وانطلق بها إلى أبيها، فأخبره بما سمع، فقال له زهرة: دعها فسيكون لها نبأ وشأن، وسماها السوداء، فلما كبرت زوجها عَمرًا بن كعب بن تيم، فولدت له، ثم صارت إلى غيره، وكثر بنوها وبناتها، وكانت لبيبة برزة حازمة كاهنة، ولما حضرتها الوفاة أمرت بأن يؤتى بذكور ولدها، فأوتيت بعبد الله بن جدعان، وهشام بن المغيرة، وغيرهما من ذكور ولدها، فوصفت كل واحد منهم بخصائصه، وذكرت جملاً مما يكون من أموره، ثم أمرت أن تُعرض عليها بناتها، وقالت: إن فيهن لنذيرة أو من تلد نذيرًا، فعُرضت عليها هالة بنت أهيب، فقالت: ليست بها وستلد، فولدت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[(١)]، وعرضت عليها الشفاء[(٢)]، فقالت: ليست بها وستلد، فولدت عبدالرحمن بن

---

(١) حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم عم النبي ﷺ، أسلم في السنة الثانية من البعثة وكسب المسلمون بإسلامه منعة، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا واستشهد في أحد. وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، أسد الغابة.

(٢) الشفاء بنت عوف بن عبدالحارث بن زهرة، وهي أم عبدالرحمن بن عوف، أسلمت وحسن إسلامها وهاجرت مع أختها لأمها بنت أبي قيس بن عبدمناف، توفيت الشفاء في حياة الرسول ﷺ، أسد

عوف ﷺ، وعرضت عليها آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ فقالت: واللات والعزى، إن ابنتي لنذيرة [١] أو والدة نذير، له شأن كبير، وبرهان منير.

ثم إن السوداء بنت زهرة ماتت، فخرج في جنازتها من بناتها وبنات بنيها وبنات بناتها مائة عذراء سوى الثيب.

ارتجاس إيوان كسرى:

ومنه ما رُوي أنه لما كانت السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة فجزع كسرى أنوشروان من ذلك وتطير له ورأى ألا يكتمه زعماء مملكته، فأحضر موبذان موبذ، وهو رئيس حكام دين المجوس من الفرس، وعنه يأخذون نواميس شرائعهم، وأحضر الموابذة وهم القضاة و«الهرابذة» وهم كالخلفاء للموابذة و«اصبهبذ» وهو حافظ الجيوش والأمين على الأمراء «وبزرُ جَفومذار» وهو الوزير الأعلى، ومعنى اسمه: أكبر مأمور، والمرازبة وهم حفظة الثغور، وولاة أرباع المملكة، فأخبرهم بما كان من ارتجاس إيوانه وسقوط ما سقط من شرفاته[٢].

فقال له رئيس الموابذة: إني رأيت في المنام كأن إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس - وأخبره في ذلك الوقت قومة النار بخمودها تلك الليلة فهالهم ذلك واستفظعوه ولم يظهر لهم وجهه، فتفرقوا عن الملك يرتوون في ذلك.

ووافت بُرُد كسرى من جميع جهات ممالكه تخبر بخمود النيران في تلك الليلة، ووافاه الخبر بأن بحيرة ساوة قد غاض ماؤها، فجمع زعماء دينه ورؤوساء سلطانه وأطلعهم على ما انتهى من ذلك وسألهم عما يرون فيه.

فقال له موبذان موبذ عندهم: أما رؤياي فتدل على حدث وأمر عظيم يكون

الغابة والطبقات الكبرى.

(١) النذير: الابن يجعله أبواه قيمًا أو خادمًا للمعبد من ذكر أو أنثى، وفي التنزيل العزيز: ﴿إني نذرت لك ما في بطني محررًا﴾، قالته امرأة عمران أم مريم - لسان العرب-.

(٢) وفي نسخة: هو قاضي القضاة عندهم، والموابذة وهم القضاة والهرابذة وهم أمناء الأحكام، وأحضر الوزراء والمرازبة وهم الولاة وحفاظ الثغور في أرباع المملكة وسألهم عن ارتجاس الإيوان.

من العرب.

فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر يأمره بأن يبعث إليه عبد المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني، وكان معمرًا، فلما قدم على كسرى قال له: هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟

قال: لا ولكن ليخبرني الملكُ عما يريدُ علمه، فإن كان عندي فيه علمُ أخبرته.

فقال أنوشروان: إنما أريد من يعلمُ أمري قبل أن أذكره له.

فقال عبد المسيح: هذا يعلمه خال لي يسكن بمشارق الشام يقال له سطيح.

قال كسرى: فاذهب إليه فاسأله وأتني بالجواب.

فانطلق عبد المسيح حتى انتهى إليه فوجده قد أشرف على الموت فحياه فلم يُجبه، فقال عبد المسيح رافعًا صوته يقول (١):

يا صاحب الجبلة أعيت من ومن وكاشف الكربة عن وجه الغضن (٢)
أتاك شيخ الحي من آل سَنَن وأمه من آل ذِئب بن حَجَن
أزرق مُهْمَى الناب صَرَّار الأُذن أبيض فضفاض الرداء والبدن (٣)
رسول قيلِ العُجْم يسري بالوسَنْ لا يرهَبُ الرعدَ ولا ريبَ الزمن (٤)
يجوب في الأرض علنداة شجن ترفعني وجنا ويهوى بي وجن (٥)
حتى أتى عاري الجآجي والقطن تلفه في الريح بوغاء الدمن (٦)

---

(١) وردت هذه الأبيات في دلائل النبوة ما عدا الشطر الأول، ووردت مرتبة بصورة أخرى غير التي وردت في الأصل.

(٢) الجبلة: الخلقة. والوجه الغضن: المتكسر، والغضن: العناء.

(٣) مهمى الناب، ومُهْمُ الناب: حديد الناب- قال في اللسان: وأظنه : مهو الناب، بالواو، يقال: سيف مهو، أي حديد ماض. وأورده الزمخشري: ممهى الناب. وصرار الأذن: صر أذنه نصبها وسواها.

(٤) قَيْلِ العجم: القَيْل: الرئيس والعظيم والملك.

(٥) علنداة: لعله علنداه، وهو الجمل القوي. والوجنا: الأرض الغليظة الصلبة ذات الحجارة، وكذلك الوجن.

(٦) الجآجي: جمع جؤجؤ، وهو عظام الصدر، والقطن: ما بين الفخذين، والبوغاء: التراب الناعم، والدمن: ما تدمن منه، أي تجمع وتلبد.

كأنما حُثْحِثَ من حِضني ثكن   يا فاضل الخطة أعيت من ومن [١]
أصم أم يسمع غطريف اليمن   أم فاد فاز لم به شأن العنن [٢]

ففتح سطيح عينيه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك آل ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا، قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلاد فارس.

ثم قال: يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاضت وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة لم تكن باب للفرس مقامًا ولا الشام لسطيح شاما، يملك من بني ساسان منهم ملوك وملكات على عدد تلك الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه، فاستوى عبد المسيح على راحلته، وعاد إلى كسرى وأخبره بمقالة سطيح.

فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور، فملك منهم عشرة في مدة أربع سنين، وملك الباقون إلى آخر خلافة عمر رضي الله عنه [٣].

ما رواه سفيان بن مجاشع:

ومنه ما روي أن سفيان بن مجاشع بن دارم[٤] احتمل ديات دماء كانت بين قومه، فخرج يستعين فيها، فدفع إلى حي من تميم فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة هم فأتاهم فحياهم ثم جلس إليهم فسمع الكاهنة تقول: العزيز من والاه، والذليل من خالاه، والموفور من مالاه، والموتور من عالاه.

فقال سفيان: من تذكرين لله أبوك؟

فقالت: صاحب حِلّ وحِرْم، وهدي وعلم، وبطش وحلم، وحرب وسلم،

---

(١) حثحث: حثّ وحرك وأسرع، وثكن: جبل حجازي.

(٢) الغطريف: السيد، وفاد بمعنى هلك، وأزلم: ذهب مسرعًا وقيل قبض-والعنن: الموت.

(٣) ورد هذا الخبر في العقد الفريد جـ١ وفي شرح المقامات للشربشتي وفي بلوغ الأرب للألوسي، واقتصرت هذه المراجع على أبيات ثلاثة من الأبيات المذكورة، وأضافت أبياتًا أخرى على لسان سطيح.

(٤) سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الداري، مات قبل البعثة، ولابنه محمد بن سفيان صُحبة برسول الله ﷺ، وقيل: لا صحبة له، بل هو جد للأقرع بن حابس التميمي الذي كانت له صحبة. أسد الغابة.

رأس رؤوس ورابض شموس، وساحي بوس، وماهد وعوس، وناعش متعوس.

قال سفيان: من هو لله أبوك؟

قالت: نبي مؤيد قد أتى حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود بكتاب لا يفند، اسمه محمد.

قال سفيان: لله أبوك أعربي هو أم عجمي؟

قالت: أما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفنان إنه لمن ولد عدنان، فقدك يا سفيان.

فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان ولد له غلام فسماه محمدًا لما رجاه من أن يكون النبي الموصوف.

تفسير غريب هذا الخبر:

تفسير قولها: خالاه، أي بريء منه.

وقولها: حل وحرم: أي حلال وحرام.

وقولها: رأس رؤوس، أي: سيد سادة، والرأس: السيد.

وقولها: ساحي يوس، أي: مُذهبه، والسحو هو القشر وبه سميت المسحاة.

وقولها: ماهد وعوس: الوعوس جمع وعس وهو من صفة الرمل الذي يشق السير فيه.

وقولها: متعوس، أي عاثر، والمستعمل في هذا تعس الرجل وأتعسه غيره، فجاء هذا على مثال مسحور.

وقولها: لا يفند، أي: لا يخطئ ولا يضعف رأيه.

وقولها: العنان، أي: السحاب والواحدة عنانة.

وقولها: الأفنان: أي الأغصان، الواحد فنن.

وقولها: قدك، معناه: حسبك وكفاك.

خبر قباث بن أشيم:

ومنه ما روي عن قباث بن أشيم [١] ، وكان قد شهد بدرًا مشركًا ففر. قال:

---

(١) قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الليثي يقال له : الكناني والليثي والتميمي، أسلم بعد بدر وحسن =

سرت عند ملحمة بدر يومين وليلتين أشد سير، ولما كانت الليلة الثالثة حسرت، وكنت أعسف، أي أسير على غير هدي لما خامرني من الرعب، فأغفيت إغفاءة ثم انتبهت مذعورًا فأسريت متثاقلاً، فلما تصرم الليل إلا قليلاً تراءت لي نار، فاعتمدتها حتى انتهيت إليها فإذا هي أمام خيمة مفردة بأرض لا أنيس بها، ولم أر للنار موقدًا، ولا سمعت هناك حسًا، فخفق قلبي وقفّ شعري وبرق بصري، فقمت بمكاني مرتاعًا، وإذا هاتف يقول: يا قباث، خشاش حثحاث، خابط أو عاث، وجائب ظلم أملاث، وسايس أمر لاث.

قال قباث: فقلت: أنا عائذ بك أيها الهاتف.

قال: فأجابني قائلاً: ادن من النار فإني لك جار.

فدنوت منها وجلست أصطلي ثم رميت الخيمة ببصري، فإذا بها شيخ هِمٌّ قد وضع رأسه على ركبتيه، فقلت له: عِم ظلامًا يا عمّ.

فقال: أهلاً وسعدًا وقرِىً مُعدًا وعيشًا رغدًا. كيف خلفت الجيش من قريش؟

فقلت: قهروا وظهروا.

فقال: كلا والبروق الخواطف، والرعود القواصف، والرياح العواصف، لقد شربتهم السمهريات الشوارع، وأكلتهم المشرفيات القواطع. وجاست خلالهم الضباع الخوامع، واستولت على رقابهم وأيديهم الجوامع، ولقد نصح قايل لو قيل سامع، ولكن ما لأمر الله دافع.

قال: ثم تأوه وقال: حُطّمت الأوثان، وعُطلت الكهان، ورجمت الجان ؛ لظهور الأذان، بدين يدمغ الأديان. ولكل مقدور أوان، أقسم يا قباث بالجمرات الثلاث، إنها لأحداث ذوات اندلاث. ثم صرخ صرخة منكرة عظيمة وخر لوجهه.

قال قباث: فقمت إليه فتأملته، فإذا روحه ينزع، فما كذبت أن خرجت

- إسلامه، ثم سكن دمشق بعد الفتوح، قيل عن سبب إسلامه: أنه خرج إلى الرسول فقال له الرسول: «اجلس يا قباث أنت الذي تقول: لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدًا وأصحابه؟». قال قباث: والذي بعثك بالحق ما تحرك به لساني ولا تزمزمت به شفتاي ولا سمعته أذناي وما هو إلا شيء هجس في نفسي، ثم أسلم. أسد الغابة جـ٤ صـ٣٧٩.

مبادرًا فانطلقت لوجهي وأنا متعجب منه ومما سمعت.

تفسير ألفاظ لغوية اشتمل عليها هذا الخبر:

قوله: حسرت، أي: انقطعت عن النهوض إعياءً.

وقوله: أعسف، العسف: السير على غير هدي.

وقوله: اعتمدتها، أي قصدتها.

وقوله: قف شعري، أي: اقشعررت، وحقيقة قف يبس. وكان شعره قام فتوسد.

وقوله: برق بصري، أي: دهش رهبة فشخص.

وقوله: خابط أوعاث، الخبط في السير على غير قصد مثل العسف، والأوعاث مثل الأوعاس وقد سلف ذكرها.

وقوله: أملاث، أي: أخلاط.

وقوله: أمر لاث، أي: ملتو على غير استواء وهو مقلوب عن لاث.

وقوله: شيخ هِمٌّ، أي: قد أذابه الكبر، والهم: الإذابة للشحم وغيره.

وقوله: عِمْ، هو مثل انعَم، دعاء بالنعمة.

وقوله: السمهريات، هي الرماح، سميت بذلك لصلابتها. وقيل: هي منسوبة إلى سمهر وكان يقوّم الرماح على خلاف في هذا.

والمشرفيات: السيوف، وهي منسوبة إلى موضع يسمى المشارف.

وقوله: الخوامع، الخمع هو العرج والضبع عرجاء، وصف لها.

وقوله: الجوامع، هي الأغلال تجمع الرقاب والأيدي.

وقوله: الجمرات الثلاث، يعني جمرات منى، والجمرة في الأصل اسم للحصاة.

وقوله: اندلاث، هو الدخول في الشيء بسرعة وشدة واقتحام.

رؤيا عبد المطلب وتأويل الكهنة لها:

ومنها ما روي أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه [1] قال: بينا عبدالمطلب نائم

(١) العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، ويكنى أبا الفضل كان أسنّ من النبي ﷺ بثلاث سنين وقيل: بسنتين، كان في الجاهلية رئيسًا لقريش وإليه عمارة المسجد الحرام والسقاية، وشهد مع الرسول بيعة العقبة، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، أسد الغابة جـ٣ ص١٦٤.

في الحجر انتبه مذعورًا. قال العباس: فتبعته وأنا يومئذ غلام أعقل. فأتى كهنة قريش يجر رداءه فقالوا: أبا الحارث ما بالك كالخائف. قال: رأيت رؤيا.

قالوا: ما هي؟

قال: رأيت كأن سلسلة بيضاء خرجت من ظهري لها أربعة أطراف، طرف قد بلغ مشارق الأرض، وطرف قد بلغ مغاربها، وطرف قد جاوز عنان السماء، وطرف قد جاوز الثرى، فبينا أنا أنظر إليها عادت شجرة خضراء لها نور، فبينا أنا كذلك قام علي شيخان فقلت لأحدهما: من أنت؟ قال: أنا نوح رسول رب العالمين. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أنا إبراهيم خليل رب العالمين. ثم انتبهت.

فقالوا: له: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السماء وأهل الأرض، ودلت السلسلة على كثرة أتباعه وأنصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة. ورجوعها شجرة ثابتة دليل على ثبات الأمر وعلو الذكر وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة إبراهيم.

قصة إسلام عروة بن مسعود الثقفي (١) :

ومنه ما روي أن عروة بن مسعود الثقفي كان غائبًا عن الطائف حين حاصرها النبي ﷺ، فلما ارتحل عنهم النبي ﷺ جاء عروة، فلقي غيلان بن سلمة (٢) ، فقال له عروة: ألا ترى علو أمر محمد واتباع الناس له؟ قال له غيلان: بلى قد رأيت فماذا عندك في أمره؟ قال: عروة: إن العرب يرون أن لنا رأيًا ودهاءً ولسنا كذلك، إن لم نتبعه ونؤمن به. قال غيلان: ما أحب أن يسمع أحد من ثقيف هذا القول منك وإني لأخافها عليك وإن كنت سيدها.

قال عروة: والله ما ينبغي أن تجهل صدق مقالتي وإن محمدًا نبي، وإني معتمده

---

(١) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك، يكنى أبا مسعود، وقيل: أبا يعفور، يجتمع مع المغيرة بن شعبة في أحد جدوده، وهو الذي أرسلته قريش للنبي ﷺ يوم الحديبية فعاد يقول لهم: لقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، كان عروة يشبه المسيح في صورته، قتله قومه حين أسلم، أسد الغابة ٣١/٤.

(٢) غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب، أسلم بعد فتح الطائف، وكان تحته عشرة نسوة في الجاهلية فقال له النبي ﷺ: «اختر أربعًا وفارق سائرهن» ، كان من وجوه ثقيف ومقدميهم، ووفد على كسرى وله معه أخبار عجيبة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، أسد الغابة ٣٤٣/٤.

فمتبعه وذاكر لك أمرًا لم أذكره لأحد قط.

قال غيلان: ما هو؟

قال عروة: قصدت نجران لتجارة قبل أن يظهر أمر محمد وخلافه قومه، فغوّرت تحت سرحة منتبذًا من أصحابي، فإذا جاريتان تسوقان بهمًا إلى السرحة، فحجرتا إليهما في ناحية من ظل السرحة وجلسنا وأنا مضطجع فتناومت.

فقالت إحداهما للأخرى: من هذا فيما تقولين يا ابنة الأكرمين؟

قالت الأخرى: هذا عروة بن مسعود سيد غير مسود، مفيض جود وعصرة منجود.

قالت لها: صدقت يا ابنة الأكرمين، فمن أين هوى؟ وإلى أين نوى؟

قالت الأخرى: أتى من المعقل المنيف، طائف ثقيف، وهو ينوي نجران ذات المخاليف.

قالت: صدقت يا ابنة الأكرمين، فما هو مصيب في سفره هذا؟

قالت الأخرى: تسهل طريقه، وتنفق سوقه، ويعلو فوقه.

قال: صدقت يا ابنة الأكرمين، فما عاقبة أمره؟

قالت الأخرى: يعيش زعيمًا، ويتبع نبيًا كريمًا ويتعاطى أمرًا جسيمًا فيرتد عنه كليمًا.

قالت: صدقت يا ابنة الأكرمين، وما النبي؟

قالت الأخرى: داع مجاب، له أمر عجاب. يأتيه من السماء كتاب، يبهر الألباب، ويقهر الأرباب.

قال عروة: ثم أمسكتا عن القول، فغشيني النوم فما أيقظني إلا رغاء الإبل، وأصحابي يتحملون، فإذا الجاريتان قد ذهبتا.

ولما بلغت نجران نزلت على أسقفها، وكان لي صديقًا فقال: يا أبا يعفور هذا حين خروج نبي من أهل حرمكم يهدي إلى الحق. قلت: ما هذا الذي تقول؟ قال: إي والمسيح، إنه لخير الأنبياء وآخرهم، فإن ظهر فكن أول من يؤمن به.

وقد كتمت هذا عن ثقيف لما كنت أرى من شدتهم عليهم وكنت امرءًا منهم. وأما الآن فإني معتمده ومتبعه ومستكثر منه فاكتم علي مخرجي هذا.

قال غيلان: إني فاعل ذلك، فانصرف راشدًا فأتى عروة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه.

تفسير ألفاظ لغوية منه:

قوله: غورت، التغوير: النزول للقائلة.

وقوله: سرحة، أي: شجرة عظيمة.

وقوله: منتبذ به، أي: منفرد عن صحابته.

وقوله: تسوقان بهمًا، البهم: صغار الغنم.

وقوله: عصرة منجود، العصرة الملجاء: العاصم والمعقل معصر، والمنجود: المكروب.

وقولها: هوى لوى، هوى، أي: قصد أرضًا غورًا، وأصله أن يخر من علو إلى سفل، ولوى: أي قصد.

وقولها: نجران ذات المخاليف، نجران: قرية بالشام معروفة، والمخاليف: قرى تخلف القرية العظيمة في المرافق، وتنوب منابها، واحدتها مخلاف.

وقولها: يعلو فوقه، هذا مثل يضرب للظفر ولعلو الجد، وأصله فوق السهم.

وقولها: يعيش زعيمًا، أي سيدًا.

وقولها: يرتد عنه كليمًا، أي: يرتد عنه جريحًا.

والخطب الجسيم الذي ذكرته من حديثه، لأن عروة لما أسلم قال للنبي ﷺ [1]: ما رأيت يا رسول الله مثل هذا الدين ذهب عنه ذاهب، فأذن لي أنطلق إلى قومي بخير ما قدم به وافد، فلعل الله أن يهديهم.

فقال النبي عليه السلام: «إنهم قاتلوك يا عروة». فقال عروة: يا رسول الله، إني لأعز عليهم من أسماعهم وأبصارهم وأبكار أولادهم، ثم استأذن رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال له: «إنهم قاتلوك». قال: يا رسول الله، لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. ثم

---

(١) في نسخة أخرى: استأذن النبي ﷺ في ذهابه لقومه لينذرهم، وقال: ما رأيت مثل هذا الدين ذهب عنه ذاهب، فأذن لي يا رسول الله أن أذهب إلى قومي بخير ما قدم به وافد على قومه، فلعل الله أن يهديهم، فقال له النبي ﷺ: إنهم قاتلوك يا عروة. فقال يا رسول الله، إني لأعز..... ثم استأذنه مرة أخرى...

استأذنه الثالثة فقال له: «**إن شئت فاخرج**»، فتجهز عروة للخروج. فقال له المغيرة بن شعبة: يا عم، إني أريد الخروج معك في هذا الوجه. قال: يا ابن أخي، إني خائف منهم مع شرفي فيهم، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**»، وقوله الحق، ولكني وطنت نفسي على الموت. ورجوت أن تكون لي شهادة ورسول الله حي يشهد ويستغفر لي، وما أحب أن أبقى بعده.

فخرج عروة بن مسعود حتى أتى الطائف عشاء فدخل منزله ولم يذهب إلى الربّة فيحلق رأسه عندها كما يصنع قومه، فأنكروا ذلك منه وتشوفوا له وتحدثوا فيه.

قالوا: لعله عجز عن ذلك لما ناله من نصب السفر، فأتوا منزله فحيوه بتحية الجاهلية فقال: عليكم بتحية أهل الجنة: السلام، ثم قال لهم: يا قوم أتعلمون أني أوسطكم نسبًا وأعزكم نفرًا وأكثركم مالاً؟ قالوا: نعم. قال: فاقبلوا نصيحتي، فوالله ما قدم بأفضل مما قدمت عليكم به، واعلموا أن أمر محمد رسول الله حق.

فلما سمعوا مقالته أغلظوا له القول وآذوه، وخرجوا من عنده يأتمرون به، فبات عروة في منزله، ولما طلع الفجر صعد غرفة له فقام على سطحها وأذن، فتداعت ثقيف لما سمعوا أذانه، فأتوه من كل جهة، فرماه أوس بن عوف[١] من بني مالك بسهم فقطع أكحله، فنزفه الدم، ولبس قومه السلاح وقالوا: نقتل من بني مالك به عشرة، فدعاهم وقال لهم: إني تصدقت بدمي على قاتلي، وهذه كرامة ساقها الله إليّ، وقد أخبرني بها رسول الله ﷺ، وأشهد أن قوله الحق.

ثم قال لأهله: ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع النبي ﷺ حين حاصرهم، ففعلوا ذلك.

ولما بلغ النبي ﷺ أمر عروة قال: «**مثلُ عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه**».

---

(١) أوس بن عوف الثقفي، قدم مع وفد ثقيف على النبي ﷺ بعد الفتح وأسلم وسكن الطائف. وقيل: هو أوس بن حذيفة بن ربيعة ينتهي الى عوف، وهو أوس بن أبي أوس - ثلاثة أسماء والمسمى واحد- أسد الغابة ١/١٧٤.

حديث عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

ومنه ما روي أن عمرو بن معدي كرب [١] عوتب على تردده في الإسلام وردّته عنه. فقال: والله ما هو إلا الشّقاء، ولقد علمت أن محمدًا ﷺ رسول الله قبل أن يُوحي الله إليه. قالوا: كيف كان ذلك يا أبا ثور؟

قال: حدث بين بني زُبيد تناجُش وتظالم ونما إلى أن سفك بعضهم دماء بعض، ففزع حلماؤهم إلى كاهن لهم رجوا أن يكون عنده المخرج مما نزل بهم، فقال الكاهن: أقسم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الأدراج، والريح ذات العجاج، والجبال ذات الفجاج، والبحار ذات الأمواج، أن هذا الإمراج والارتجاج، للقاح ونتاج.

قالوا: وما نتاجه؟

قال: ظهور نبي صادق، بكتاب ناطق وحُسام ذالق.

قالوا: أين يظهر؟ وإلى ماذا يدعو؟

قال: يظهر بصلاح، ويدعو إلى الفلاح، ويُعطِّل القِداح، وينهي عن الراح والسفاح، وعن كل أمر قُباح. قالوا: وممن هو؟ قال: من وَلَد الشيخ الأكرم، حافر زمزم ومطعم الطير الحوّم، والسباع الصوّم. قالوا: ما اسمه؟

قال: اسمه محمد، وعِزّه سرمد، وخصمه مكمد.

قال عمرو: ولقد حضرت هوذة ذا التاج وعنده راهب دمشق وكان يفد عليه كل عام فيبره ويصله، فقال الراهب لهوذة: بلغني أن محمدًا ﷺ أرسل إليك يدعوك إلى دينه.

قال هوذة: قد كان ذلك.

قال الراهب: فبماذا أجبته؟

قال: لم أجبه إلى ما سأل.

---

(١) عمرو بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو الزّبيدي، قدم على رسول الله ﷺ في وفد مراد، لأنه كان قد فارق قومه سعد العشيرة ونزل في مراد، وقيل: قدم في وفد زبيد قومه، وأسلم سنة تسع، ثم ارتد مع الأسود العنسي، فقاتله خالد بن سعيد بن العاص، ثم عاد إلى الإسلام وحسنت سيرته فيه وشهد اليرموك والقادسية وفيها استشهد، وقيل: استشهد في موقعة نهاوند، أسد الغابة ٤/٢٧٣.

قال الراهب لهوذة: أجبه فإنه النبي العربي الذي بشر به المسيح.

قال له هوذة: فما لك لم تتبعه، وقد علمت ذلك؟

قال: أما والله إنه لفي الإنجيل مكتوب محمد ﷺ رسول الله، ولكن صدّني عنه التسويف وحب الخمر.

فقال هوذة: وإني لا آمن أن يذهب ملكي باتباعه.

قال الراهب: كلا لو اتبعته لزادك ملكًا إلى ملكك، فإن الأنبياء لا يشقى بهم إلا من عصاهم.

قال هوذة: لقد وعدني رسوله بذلك ولأتبعنّه.

ثم إن هوذة أعد هدية يبعث بها إلى رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك قومه فاجتمعوا إليه وقالوا: إن فارقت دينك خلعناك، فأضرب عما كان عزم عليه.

رؤيا مرثد بن عبدكلال:

ومنه ما روي أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة، فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه، فرفع الحجاب عن الوافدين وأوسعهم عطاء، واشتد سروره بتقريظ الخطباء والشعراء، وبينما هو على ذلك أُرِي في المنام رؤيا أخافته وذعرته وهالته في حال منامه، فلما انتبه أُنسيها حتى ما يذكر منها شيئًا، وثبت ارتياعه لها في نفسه، فانقلب سروره حزنًا واحتجب عن الوفود حتى أساءوا به الظن، ثم إنه حشد الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ويقول له: أخبرني عما أريد أن أسألك عنه، فيجيبه الكاهن: بألا علمَ عنده حتى لم يدع كاهنًا عَلمه إلا كان منه إليه ذلك، فتضاعف قلقه وطال أرقه، وكانت أمه قد تكهنت فقالت له: أبيت اللعن إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه لأن أتباع الكواهن من الجان ألطف وأظرف من أتباع الكهان.

فأمر الملك بحشر الكواهن إليه، وسألهن كما سأل الكهان، فلم يجد عند واحدة منهن ما أراد علمه.

ولما يئس من طلبه سلا عنها ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل في طلب الصيد وانفرد من أصحابه، فرُفعت له أبيات في ذُرا جبل وقد لفَحَه الهجير، فعدل إلى الأبيات وقصد بيتًا منها كان منفردًا عنها، فبرزت إليه منه عجوز، فقالت له:

انزل بالرحب والسعة، والأمن والدعة، والجفنة المدعدعة، والعُلبة المترعة.

فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرياح نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير، فجلس يمسح عينيه، فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً وقوامًا. فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك الهمام، هل لك في الطعام؟ فاشتدّ إشفاقه وخاف على نفسه لما أنها قد عرفته وتصامم عن كلمتها. فقالت له: لا حذر فداك البشر، فجدُّك الأكبر، وحظُنا بك الأوفر، ثم قربت إليه ثريدًا وقديدًا وحيسًا، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله، ثم سقته لبنًا صريفًا وضريبًا، فشرب ما شاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حسنًا، وقلبه هوىً، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟

قالت: اسمي عُفيراء.

قال لها: يا عفيراء من الذي دعوته الملك الهمام؟

فقالت: مرثدُ العظيم الشان، حاشر الكواهن والكهان، لمعضلة بَعِل بها الجان.

فقال: يا عفيراء أتعلمين ما تلك المعضلة؟

قالت: أجل أيها الملك الهمام، إنها رؤيا منام ليست بأضغاث أحلام.

قال الملك: أصبتِ يا عفيراء فما تلك الرؤيا؟

قالت: رأيت أعاصير وزوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهيب لامع، ودُخانٌ ساطع، يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صادع: هلموا إلى المشارع، هلموا إلى المشارع، روِي جارع وغرق كارع.

قال الملك: أجل هذه رؤياي فما تأويلها يا عفيراء؟

قالت: الزوابع ملوك تبابع، والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع وليٌّ له تابع، والكارع عدو له منازع.

قال الملك: يا عفيراء أسِلْم هذا النبي أم حرب؟

فقالت: أقسم برافع السماء، ومنزل الماء من العماء، إنه لمبطل الدماء، ومنطق العقائل نطق الإماء.

قال الملك: إلى ماذا يدعو يا عفيراء؟

قالت: إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام،

واجتناب آثام.

قال الملك: يا عفيراء من قومه؟

قالت: مُضر بنُ نزار، ولهم منه نقع مُثار يُجلي عن ذبح وإسار.

قال: يا عفيراء، إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟

قالت: أعضاده غطاريف يمانون، طائرهم به ميمون، يغزو بهم فيغزون، ويُدمث بهم الحزون، وإلى نصره يعتزون.

فأطرق الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت: أبيت اللعن إن تابعي غيور، ولأمري صبور، وناكحي مقبور، والكلَفَ بي ثبور.

فنهض الملك مبادرًا فجال في صهوة جواده وانطلق، فبعث إليها بمائة ناقة كوماء.

تفسير غريب الألفاظ المعربة:

قوله: أوغل في طلب الصيد، أي: بالغ في ذلك وأمعن، والوغول: الدخول في الشيء بقوة.

وقوله: ذرا جبل، الذرا - بفتح الذال-: الكنُّ.

وقولها: الجفنة المدعدعة، هي التي ملئت ثم حركت حتى تراص ما فيها ثم ملئت بعد ذلك؟

وقولها: العُلبة، هي إناء من جلد.

وقوله: الأرواح، هي الرياح.

وقوله: صريفًا وضريبًا، الصريف: اللبن المخض بحدثان الحلاب، يصرف عن الضرع إلى الشارب، والضريب من اللبن: الرائب يحلب عليه فيستضرب أي يغلظ.

وقولها: بَعل بها الجان، أي جبنوا عنها ولم يطيقوها.

وقولها: أعاصير زوابع، هي من الرياح تثير التراب فتعليه في الجو وتديره.

وقولها: ساطع، أي: مرتفع.

وقولها: ذو جرس صادع، الجرس: الصوت.

وقولها: المشارع، هي المداخل إلى النهر.

وقولها: روي جارع وغرق كارع، أي: من شرب جرعا رَوِيَ، ومن أمعن

غرق، وقد كرعت الماشية في الحوض، والإنسان يكرع في النهر ويشرب بفيه منه. وقيل: إنما ذلك إذا دخلت في النهر فأصاب الماء أكارعها.

وقولها: تبابع، جمع تُبّع، وهذا لقب كان لملوك اليمن وهو من الاتباع لأن بعضهم كان يتبع في الملك والسيرة بعضًا.

وقولها: العماء هو الغيم والغمام.

وقولها: مُنطق العقايل، هنَّ الكرائم من النساء، أي يسبيهن ويشددن على أوساطهن النطق للمهنة والخدمة.

وقولها: نقع مثار، النقع: الغبار الذي يثيره المتحاربون والخيل وغيرها.

وقولها: غطاريف، الأعضاد الأنصار، والغطاريف: السادة، والتغطرف: التكبر.

وقولها: يدمثُ، أي يسهل.

وقولها: إلى نصره يعتزون، هو قولنا أنصار النبي ﷺ.

وقولها: يؤامر نفسه، هكذا يقال ويراد به تعارض الرأيين المتضادين في النفس وفي ذلك قال الشاعر:

تفكر من أني ومن أين شربه ... يؤامر نفسيه كذي الهجمة الإبل

وقولها: صَيور، أي: عاقبة يصير إليها، يقولونها على جهة التعظيم.

وقولها: جال في صهوة جواده. جال: أي وثب، والصهوة: مقعد الفارس من ظهر فرسه.

وقولها: كوماء، عظيمة السنام.

خبر في الرؤيا المنسية:

ومما ينحو إلى ما ذكرناه في الرؤيا المنسية - وليس من هذا الصنف لأنه خبر نبوي - ما رُوي أن بختَ نصّر لما غزا بيت المقدس اختار من سبي بني إسرائيل مائة ألف صبي، فكان منهم دانيال عليه السلام فرأى بخت نصر رؤيا ارتاع لها. ثم حدث له في المنام ما أنساه الرؤيا، فسأل الكهان والسحرة والمنجمين عن ذلك، فقالوا له: إن أخبرتنا بالرؤيا أخبرناك بتأويلها.

فقال: قد أنسيتها ولئن لم تخبروني بتأويلها لأنزعن أكتافكم، فخرجوا من

عنده مذعورين، ثم رجع إليه أحدهم فقال له: أيها الملك إن يكن عند أحد من هذا علم فهو دانيال الغلام الإسرائيلي، فأحضره وسأله، فقال له دانيال: إن لي ربًا عنده علم ذلك فأجَلني، فأجّله ثلاثًا، فخرج دانيال فأقبل على الصلاة والدعاء، فأوحى الله تعالى إليه بالرؤيا وبتأويلها، فجاء بخت نصر فقال: إنك رأيت صنمًا عظيمًا، قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، وعنقه من حديد.

قال: صدقت. قال: فبينما أنت تنظر إليه وتعجب منه أرسل عليه صخرة من السماء فهشمته فصار رفاتًا، ثم عظمت تلك الصخرة حتى ملأت الدنيا فهي التي أنستك الرؤيا.

قال: صدقت. فما تأويلها؟ قال: الصنم مثل لملك ملوك الدنيا، وكان بعضهم ألين ملكًا من بعض. وكان أول الملك الفخار وهو أضعفه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كانت الفضة فوقه وهي أفضل وأحسن، ثم كان فوقه الذهب وهو أحسنُ وأفضلُ وأشرف من ذلك كله. ثم كان الحديد فوقه وهو مُلكك، وأعز مما كان قبله. والصخرة التي أرسل الله عليه من السماء نبيُ يبعثه الله في آخر الزمان فيدق ذلك كله أجمع، وتمتلئ الدنيا بدينه، ويصير الأمر إليه، ويقيم الله له ملكًا لا يزول أبدًا ما بقي الدهر، فعجب بخت نصر مما سمع وأحسن إلى دانيال عليه السلام وقربه وألطف منزلته.

قال محمد – عفا الله عنه –: هذا عنوان فيه مغناه عما في معناه إن شاء الله.

الصنف الـرابع من خير البشر بخير البَشَر

ما أخبر به الجان

حديث عن الجان:

قال محمد – عفا الله عنه –: نفتتح هذا الصنف بآثار تصدع عن كيفية خلق الجان، لنزوع النفس غالبًا إلى البحث عن ذلك.

فنقول: من حديث أبي الدرداء [1] : أن النبي ﷺ قال: «**خلق الله الجنّ ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال الله عز وجل: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[الأعراف:١٧٩]، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله**».

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: الخلق كلهم أربعة أصناف: فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم، وخلقان في الجنة والنار.

فأما الذين في الجنة كلهم فالملائكة.

وأما الذين في النار كلهم فالشياطين.

وأما الذين في الجنة والنار فالجن والإنس، لهم الثواب وعليهم العقاب. وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنه.

وعن الحسن أنه قال: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين، وكان أبًا للجن، كما أن آدم أبو الإنس.

وأما عبدالله بن عباس فإنه رُوي عنه أنه قال: كان إبليس من خُزّان الجنة يُدبر أمر السماء الدنيا وكان من الملائكة، فلما غضب الله عليه صار شيطانًا رجيمًا.

وعن محمد بن كعب [2] القرظي أنه قال: الجن مؤمنون والشياطين كفار وأصلهم واحد.

وسئل وهب بن منبه عن الجن ما هم؟ وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون؟

---

(١) أبو الدرداء: هو عويمر بن عامر بن مالك بن زيد الخزرجي، تأخر إسلامه قليلاً، وحسن إسلامه، وشهد ما بعد أحد من المشاهد، قال عنه النبي ﷺ: عويمر حكيم أمتي. توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، أسد الغابة. والحديث المذكور رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان. قال ابن حبان: رواه أبو سلمة عن أبي الدرداء.

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني، كنيته أبو حمزة، روى أبوه عن علي بن أبي طالب، وهو روى عن أبيه وعن ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وكان من فضلاء المدينة، توفي بها سنة ١٠٨ - اللباب في تهذيب الأنساب -.

فقال: هم أجناس، فأما الصميم الخالص من الجن فإنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون في الدنيا ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهم السعالي والغيلان والعقارب وأشباه ذلك.

وعن جابر بن عبدالله قال: سئل النبي ﷺ عن الغيلان فقال: «**هم سحرة الجن**»(١).

وعن أبي ثعلبة الخشني(٢)- يرفع الحديث- أن النبي ﷺ قال: «**الجن ثلاثة أصناف: فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات، وصنف يحلون ويظعنون**».

وعن أبي بن كعب (٣) أنه قال: كان لنا مخزن فيه تمر، وكنت أتعاهده فأجده ينقص، فحرسته ليلة، فإذا بشخص كهيئة الغلام المحتلم، فسلمت عليه فرد السلام. فقلت: أجنيٌّ أنت أم إنسي؟

قال: جني.

قلت: ناولني يدك، فناولني فإذا كلب وشعر كلب.

فقلت: هكذا خلق الجن كلهم، فقال: لقد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد مني.

---

(١) روى النسائي في آخر سننه الكبرى من حديث الحسن عن جابر، أن النبي ﷺ قال: عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل، فإذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان. وجابر الذي روى الحديث الذي ذكره المصنف هو : جابر بن عبدالله بن رئاب الأنصاري السلمي، أول من أسلم من الأنصار، قبل العقبة الأولى، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهناك جابر بن عبدالله بن حرام، ويكنى أبا عبدالله شهد العقبة الثانية مع أبيه، وشهد المشاهد كلها ما عدا بدر الصغرى، توفي سنة ٧٤ هـ أسد الغابة ٣٠٦/١.

(٢) أبو ثعلبة الخشني، اختلف في اسمه واسم أبيه، قيل: اسمه جرهم، وقيل: جرثوم، وقيل: الأسود بن جرهم، ولم يختلفوا في صحبته ولا في نسبته إلى خشين، واسمه وائل بن النمر بن وبرة بن ثعلب، غلبت عليه كنيته، وكان ممن بايع تحت شجرة الرضوان، ثم نزل الشام ومات قيل: في أيام معاوية، وقيل: سنة ٧٥هـ في أيام عبدالملك، أسد الغابة.

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار، كناه النبي ﷺ بأبي المنذر، وقال عنه عمر: أبيّ سيد المسلمين، وروى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس وعبدالله بن جناب وابنه الطفيل بن أبيّ، كان من كتاب الوحي، اختلف في سنة وفاته، قيل: سنة ثلاثين، في خلافة عثمان، وقيل: الأكثر أنه في خلافة عمر سنة اثنتين وعشرين، أسد الغابة.

فقلت: ما حملك على ما صنعت؟

قال: بلغني أنك تحب الصدقة فأحببتُ أن أصيب من طعامك.

قلت: ما الذي يجيرنا منكم؟

قال: آية الكرسي.

قال: فتركته ثم غدوت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: «**صدق الخبيث**».

وعن طلق بن حبيب [(١)] قال: كنت عند ابن العباس رضي الله عنه وهو جالس عند زمزم إذ أقبل حية ذو طفيتين فطاف حول البيت أسبوعًا، ثم أتى المقام فكأنه صلى، فأرسل إليه ابن عباس من قال له: إن الله قد قضى نسكك، وإن لنا غلمانًا وأعبدًا لا نأمنهم عليك. قال: فتكوم الحية ثم صعد إلى السماء ونحن ننظر إليه.

وعن عبيد [(٢)] الكاتب، وقيل: عن المكتّب عن إبراهيم قال: خرج نفر من أصحاب عبدالله بن مسعود يريدون الحج، حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا حية بيضاء تثني على الطريق تنفح منها ريح المسك. قال: فقلت لأصحابي: امضوا فلست ببارح حتى أنظر ما يصير إليه أمر هذه الحية.

قال: فما لبثت أن ماتت، فظننت بها الخير لمكان ريحها الطيبة. فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها، وأدركت أصحابي في المتعشى.

قال: فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب. فقالت واحدة منهن: أيكم دفن عمرًا؟

قلنا: من عمرو؟

قالت: أيكم دفن الحية؟

قال: قلت: أنا.

قالت: أما والله لقد دفنت صوّامًا قوّامًا يؤمن بما أنزل الله، ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة.

---

(١) طلق بن حبيب العنزي من أهل البصرة تحول إلى مكة، روى عن ابن عباس وجابر بن عبدالله.

(٢) في حياة الحيوان: عبيد المكتب وساق الخبر المذكور في باب الجن وفي تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر: المكتب وقد يثقل. وقال عنه: من طبقة الأعمش.

قال: فحمدت الله، ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعُمَرَ رضي الله عنه فأخبرته خبر الحية والمرأة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول في هذا.

ومنه ما روي عن ابن أبي مليكة (١) أنه قال: كان جان يطلع على عائشة رضي الله عنها، يعني حية، فأمرت عائشة بقتله، فقيل لها في رؤيا المنام: قتلت عبدالله المسلم. فقالت: لو كان مسلمًا ما اطلع على أزواج النبي ﷺ، فقيل لها: إنما كان يطّلع عليك بعد أن تجمعي عليك ثيابك، وإنما كان يجيء ليستمع القرآن، فلما أصبحت عائشة رضي الله عنها أمرت باثنى عشر ألف درهم ديته فقسمتها في المساكين.

وعن أبي رجاء (٢) قال: كنا في سفر فنزلنا على الماء فضربنا أخبيتنا وذهبت أقيل، فإذا أنا بحية قد دخلت الخباء وهي تضطرب، فأخذت إداوة فنضحت عليها من الماء فسكنت، ثم اضطربت فنضحت أيضًا عليها فسكنت، ولم يزل ذلك دأبي ودأبها حتى أذن مؤذن الرحيل فقلت لأصحابي: انتظروا حتى أعلم علم هذه الحية إلى ماذا تصير، فلما صلينا العصر ماتت، فاستخرجت من عيبتي خرقة بيضاء فكفنتها فيها وحفرت لها ودفنتها، ثم سرنا بقية يومنا ذلك وليلتنا، فلما أصبحنا نزلنا على الماء في أخبيتنا فإذا نحن بأصوات: سلام عليكم، سلام عليكم، لا عشرة ولا مائة ولا ألف، هي أكثر من ذلك، فرددنا عليهم السلام، فقلنا: ما أنتم؟ قالوا: نحن الجن. ثم قالوا لي: بارك الله عليك يا فلان، قد صنعت إلينا ما لا نستطيع أن نجازيك عليه، فقلت: وما الذي صنعت إليكم؟ قالوا: إن الحية الذي مات عندك كان آخر من بقي من الحي الذين بايعوا رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر قال: كنتُ عند أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إذ جاء رجل فقال له: ألا أحدثك بعجب يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. قال: بينما أنا بفلاة من أرض

---

(١) ابن أبي مليكة، واسمه عبدالله بن أبي بكر وهو الذي يقال له : زوج جبرة، وله أحاديث ضعيفة، الطبقات جـ٥ ص٣٦٤.

(٢) أبو رجاء العطاردي بصري اسمه : عمران، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عمران بن تيم، وقيل: عمران بن عبدالله، أدرك الجاهلية وكان مسلمًا على عهد رسول الله ﷺ، أسلم بعد الفتح وعمّر طويلاً - أسد الغابة.

كذا إذا عصابتان قد التقتا ثم افترقتا.

قال: فجئت مُعتركهما. قال: فإذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قط، وإذا ريح المسك أجده من حية منها صفراء دقيقة. فظننت أن تلك الرائحة لخير فيها، فأخذتها فلففتها في عمامتي ثم دفنتها. فبينما أنا أمشي إذا مُناد يقول: قد هداك الله، إن هذين حيان من الجن كان بينهما قتال، فاستشهد الحية الذي دفنت وهو من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ [١].

وفادة الجن على النبي ﷺ:

قال محمد عفا الله عنه: ينبغي أن نتبع هذه الآثار بذكر وفادة الجن على رسول الله ﷺ وهو ما روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن؟» قال: فانطلقت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة خطَّ لي خطًا ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيه أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انطلقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط.

ثم أتاني رسول الله ﷺ فقال: «ما فعل الرهط؟» قلت: هم أولئك يا رسول الله، قال: فأخذ عظمًا وروثًا فأعطاهم إياه، ونهى أن يستطيب أحدٌ بعظم أو روث [٢].

ومن المشهور للأحاديث في ذلك حديث الأنصاري الذي كان حديث عهد بعرس، وحضر حفر الخندق، فاستأذن النبي ﷺ في أن ينقلب إلى أهله فأذن له، فأتاهم فإذا امرأته قائمة بين الناس، وفي يده رمح فأهوى به إليها، فقالت: اصبر حتى تدخل بيتك فترى، فدخل بيته فإذا حية متطوّق على فراشه، فشكه بالرمح ورفعه عليه فسقط ولم تزل الحية تضطرب والرجل يضطرب حتى ماتا معًا هلكًا، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن بالمدينة جنًا قد آمنوا، ونهى عن قتل حيّات البيوت حتى يُؤذن لها، بمعنى الحديث[٣].

---

(١) ذكر الدميري هذا الخبر في حياة الحيوان – مادة الجن–.

(٢) ذكر الدميري هذا الخبر في حياة الحيوان مرويًا عن كتاب ابن ظفر هذا، قال: وفي إسناده ضعف.

(٣) رواه مسلم ومالك في أواخر الموطأ، وغيرهما عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، ذكر ذلك الدميري في حياة الحيوان.

وعن بلال بن الحارث[١] قال: نزلنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره العرج فتوجهت نحوه فلما قاربته سمعت لغطًا وخصومة رجال، لم أسمع أحدٌ من ألسنتهم، فوقفت حتى جاء النبي ﷺ وهو يضحك، فقال: اختصم إلي الجنّ المسلمون والجنّ المشركون، وسألوني أن أسكنهم، فأسكنت المسلمين من الجلس، وأسكنت المشركين الغور[٢].

قال محمد: الجلس نجد، والغور تهامة. وكل مرتفع من الأرض جلْس ونجد كما أن كل منخفض غور.

ثم نعود لمقصود هذا الفصل الرابع، وهو ذكر بشائر الجن بمبعث رسول الله ﷺ.

قصة في سبب إسلام عمر:

فمن ذلك ما تضمنه حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنه، عن سبب إسلام عمر رضي الله عنه، وأنه توجّه لما ضمنه لقريش من قتل رسول الله ﷺ، فمرّ بقوم من خزاعة قد اعتمدوا صنمًا لهم كانوا يريدون أن يتحاكموا إليه. فقالوا لعمر: ادخل معنا لتشهد الحكم، فدخل معهم، فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفًا من جوفه يقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ما أنتمُ وطائش الأحلام
ومسندَ الحكم إلى الأصنام ... أصبحتم كراتع الأنعام
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطع يجلو دُجى الظلام
قد لاح للناظر من تهامي ... وقد بدا للناظر الشآمي
محمدٌ ذو البرّ والإكرام ... أكرمه الرحمن من إمام
قد جاء بعد الشرك بالإسلام ... يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للأرحام ... ويزجرُ الناس عن الآثام
فبادروا سبقًا إلى الإسلام ... بلا فتور وبلا إحجام

---

(١) بلال بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرة وفد على النبي ﷺ في وفد مزينة سنة خمس وأقام بالمدينة ثم سكن البصرة، وكان يحمل لواء مزينة في فتح مكة، توفي سنة ٦٥ هـ آخر أيام معاوية وهو ابن ثمانين سنة، أسد الغابة.

(٢) ذكره الدميري أيضًا في حياة الحيوان بالإسناد نفسه.

قال: فتفرق القوم عن الصنم، ولم يحضره يومئذ أحد إلا أسلم، ثم إنه ذكر ابن عباس انطلاق عمر إلى منزل أخته زوج سعيد[١] بن زيد وامتحانه إياها على إسلامها ومبيته عندها، وأنه لما أصبح سأل عن النبي ﷺ أين هو؟ فأخبر بأنه في منزل عمه حمزة، فخرج من بيت أخته واضعًا سيفه على عاتقه فلقيه رجال من بني سُليم، قد تنافروا إلى صنم لهم ليحكم بينهم اسمه الضمار، فدعوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل، ولما قاموا بين يدي الصنم سمعوا هاتفًا من جوفه يقول:

أودى الضمار وكـــان يُعبد مرة ... قبل الكتاب وقبل بعث محمـــد
إن الذي ورث النبوة والهـــــدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضمار[٢] ومثله ... ليت الضمار ومثله لم يعـــــبد
أبشر أبا حفص بدين صــــادق ... تهدى إليه وبالكتاب المرشـــــد
واصبر أبا حفص قليــــلاً إنــه ... يأتيك عز فوق عز بني عـــدي
لا تعجلن فأنت ناصــرُ ديـــنه ... حقًا يقينًا باللســـــان وباليـــد

قال: فعجب القوم، وانكسر عمرُ ﷺ، وأذهب الله ما كان في نفسه من عداوة النبي ﷺ، ثم ذكر ابن عباس حديث إسلامه.

سبب إسلام وائل بن حجر[٣]:

ومنه ما روي أن وائل بن حجر، وكان ملكًا مطاعًا، كان له صنم من العقيق الأحمر يعبده ويحبه حبًا شديدًا، ولم يكن يكلم منه إلا أنه كان يرجو ذلك، فيكثر السجود له ويعقر له العقائر، وهي ذبائح كانوا يتقربون بها إلى الأصنام، ويستنزل كلامه استنزالاً شديدًا، وبينما هو نائم في الظهيرة أيقظه صوت منكر من المخدع الذي فيه الصنم، فقام من مضجعه وأتاه فسجد بين يديه، وإذا قائل يقول:

---

(١) سعيد بن زيد، هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو زوج فاطمة أخت عمر بن الخطاب ، أسلم قديمًا هو وزوجته، وكانا من المهاجرين الأولين. آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بن كعب، ولم يشهد بدرًا لأنه كان غائبًا بالشام وأسهم له النبي ﷺ توفي سنة ٥٠ هـ، أسد الغابة.

(٢) الضمار في اللغة الغائب الذي لا يرجى وكل شيء لست منه على ثقة فهو ضمار.

(٣) وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي، وكنيته أبو عمر، وكان من أقيال حضر موت، وكان أبوه من ملوكهم، بشر النبي ﷺ أصحابه بمقدمه قبل وصوله بأيام، ودعا له النبي ﷺ قائلاً: «اللهم بارك في وائل وولده»، شهد مع علي صفين، أسد الغابة.

واعجبًا لوائل بن حُجـــــر يخال يدري وهـــو ليـــس يدري
ماذا يرجّي من نحيت صخر ليس بذي عُرف ولا ذي نكـــــر
ولا بـــذي نفع ولا ذي ضر لو كان ذا حجرا [١] أطاع أمري

قال وائل: فرفعت رأسي واستويت جالسًا ثم قلت: قد سمعت أيها الناصح فماذا تأمرني؟ قال:

ارحل إلى يثرب ذات النخل وسر إليها سير مشمعل [٢]
قبل تقضّي العُمر المـــــولي تدن بدين الصائم المصلي
محمد المرسل خير الرســـل

قال وائل: ثم خر الصنم لوجهه، وانكسر أنفه، واندقت عنقه، فقمت إليه فجعلته رفاتًا، ثم سرت مُغذًا - أي مسرعًا - حتى أتيت المدينة وأتيت المسجد.

فلما رآني رسول الله ﷺ أدناني، وبسط لي رداءه، فجلست عليه، ثم صعد المنبر وأقامني دونه، ثم قال: «**أيها الناس، هذا وائل بن حُجر، أتاكم من أرض بعيدة، من حضر موت راغبًا في الإسلام**».

فقلت: يا رسول الله، بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم، فمنّ الله عليّ أن رفضت ذلك كله، وآثرت دين الله.

قال: «**صدقت، اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده**».

قال وائل: فما لقيني أحد من أصحابه إلا قال لي: بشرنا بك رسول الله ﷺ قبل قدومك بثلاث.

ومنه ما روي أنه كان لبني خطامة وبني الصامت صنم، وكان سادنه مازن بن الغضوبة [٣] الخطامي، قال مازن: فعترنا عنده عتيرة - يعني ذبيحة- فسمعنا صوتًا

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: "حِجْر" بالجر بمعنى: عقل.

(٢) المشمعل: السريع الماضي النشيط.

(٣) مازن بن الغضوبة الطائي الخطامي، ذكره أسد الغابة، وذكر خبره الذي ساقه المؤلف، وفي خبره قال مازن: قلت: يا رسول الله، إني من خطامة طيء، وإني لمولع بالطرب وشرب الخمر والفساد، فيذهب مالي ولا أحمد حالي، فادع الله أن يهب لي ولدًا. فدعا لي، فأذهب الله عني ما كنت أجد، وتزوجت أربع حرائر، ورزقت الولد، وحفظت شطر القرآن، وحججت حججًا، أخرجه الثلاثة، أسد الغابة، وساق البيهقي في دلائل النبوة ج٢ ص٢٥٥، هذا الخبر بتفصيل أكثر، وأورد شعرًا أنشده مازن بين =

من الصنم يقول: يا مازنُ اسمع تُسرُّ، ظهر خيرٌ وبطن شر، بُعث نبي من مضر، يدين بدين الله الأكبر، فدع نحيتًا من حجر، تسلم من حر سقر.

قال مازن: فتداخلني رعب شديد. قال: ولبثت أيامًا، فقدم علينا رجل من الأزد فقال: قد خرج بمكة رجلٌ اسمه محمدٌ يقول لمن أتاه: أجيبوا داعي الله. فقلت في نفسي: هذا والله نبأ ما سمعت فثرت إلى الصنم فكسرته جذاذًا، ثم خرجت فقدمت على النبي ﷺ فعرض علي الإسلام فأسلمت.

عمر يسأل رجلاً عن سبب إسلامه:

ومنه ما روي عن عبدالله بن كعب [١] أنه قال: بينا عمر رضي الله عنه جالسٌ في الناس بمسجد رسول الله ﷺ أقبل رجل من العرب فدخل المسجد، فلما رآه عمرُ رضي الله عنه قال: لقد كان هذا الرجل كاهنًا في الجاهلية، فسلّم الرجل ثم جلس، فقال له: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهل كنت في الجاهلية كاهنًا؟ قال: يا أمير المؤمنين ما ذكرك لما كان؟

قال عمر: اللهم غفرًا، قد كنا على شر من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام فأخبرنا ما جاءك به صاحبك، قال: جاءني قبل إسلامي بشهر فقال:

عجبت للجن وتقساسها ... وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كأرجاسها

ثم أتاني في الليلة القابلة فقال:

عجبت للجن وترحالها ... ونصبها العيش وأعمالها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كضلالها

يدي المصطفى.

(١) عبدالله بن كعب اسم لعدة من الصحابة، منهم : عبدالله بن كعب الحميري توفي ٥٨هـ، وعبدالله بن كعب بن زيد الأنصاري توفي ٣٣ هـ، وعبدالله بن كعب بن عمرو الأنصاري توفي ٣٣ هـ، وعبدالله بن كعب بن مالك وعبد الله بن كعب المرادي، أسد الغابة، وهذا الخبر أورده البيهقي في دلائل النبوة، وذكر أن راويه عبدالله بن عمر، أما الرجل فقد ذكره مرتين: الأولى بدون ذكر اسمه، والأخرى ذكر أنه سواد بن قارب، دلائل النبوة جـ٢ ص٢٤٣، وما بعدها.

ثم أتاني في الليلة الثالثة فقال:

عجبت للجن وإجلابــــها وشدها العيش بأقتابــــها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما زمع الجن كصُيّابهـــا

فقال عمر ﷺ: إني لأعبد وثنًا من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، وقد ذبح له عجلٌ، فنحن ننتظر أن يقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ قط أبعدَ منه، يقول: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، لا إله إلا الله.

قال محمد - عفا الله عنه -: قد جاء هذا الرجزُ المروي عن الكاهن بألفاظ متغايرة، وما ذكرناه أفضل ما بلغنا منه وأتمه.

وفيه ألفاظ مفتقرة إلى الشرح:

فمنها قوله: تقساسها، فالتقساس: التسمع على المتحدثين، وقد قسّ الحديثَ وتقسَّس تفعّل منه، وروي إبلاسها وهو باطل، ولا يقال: مُبلس لمن ابتغى الهدى.

وقوله: أحلاسها، فالأحلاس: جمع حِلْس وهو ما يُوضع على ظهر الدابة تحت سَرْج أو بردعة.

وقوله: نصَّها العيس، النصُّ: تحريك الراحلة لترفع من سيرها، ويسمى السير المرتفع: نصًا، فكل مرفوع منصوص، والعيس من الإبل: البيض التي يخالط بياضها حمرة يسيرة.

وقوله: إجلابها، يقال: أجلب الرجل بالقوم وبالخيل، إذا صاح وذمَّر وحض على الإسراع.

وقوله: ما زَمَعُ الجن كصُيَّابها، الزَّمع من الناس: الأدنياء الذين لا خير عندهم، والصُّياب: الخيار من كل شيء.

ما رواه جبير بن مطعم:

ومنه ما روي عن جبير بن مطعم[(١)] عن أبيه أنه قال: كنا جُلُوسًا عند صنم لنا فإذا صائح يصيح من جوفه فيقول: اسمعوا إلى العجب، وتوقعوا حادثًا قد اقترب،

(١) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي، يكنى أبا محمد، كان من حلماء قريش وسادتهم، أسلم بعد الحديبية، وقيل: يوم الفتح، توفي سنة ٥٧ هـ أسد الغابة.

ذهب استراق السمع وترمى بالشهب، لنبي من العرب، هاشمي النسب، مولده بمكة ومهاجره يثرب. قال: وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله ﷺ.

إسلام تميم الداري:

ومنه ما روى الواقدي عن خالد بن سعيد [١] عن تميم الداري أنه قال: سرت إلى الشام فأدركني الليل فأتيت واديًا، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة، فلما أخذت مضجعي إذا قائل يقول لا أراه: عُذ بالله الأحد، فإن الجنّ لا تجير على الله أحدًا[٢]، وإنه قد خرج رسول الأميين، وصلينا بالحجون وأسلمنا واتبعناه وآمنا به وصدقناه فاسلم تسلم.

قال تميم: فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهبة عما سمعت من الهاتف قال: صدق، يخرج حيزُ الأنبياء من الحرم، ويهاجر إلى الحرم، فلا تُسبقُ إليه، فسرت إلى مكة فلقيت النبي ﷺ وكان مستخفيًا فآمنت به.

إسلام أبي خزيم بن فاتك:

ومنه ما روي عن أبي خزيم فاتك [٣] أنه قال: خرجت في الجاهلية أطلب إبلاً أضللتها، فلما كنت بأبرق العزّاف [٤]، عقلت راحلتي وتوسدت ذراعها وقلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت هاتفًا يقول:

تعوذن بالله ذي الجلال ووحد الله ولا تبالِ

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد مناف القرشي الأموي يكنى أبا سعيد، أسلم قديمًا في الخمسة الأوائل، هاجر إلى الحبشة ومعه امرأته وعاد في خيبر مع جعفر بن أبي طالب وشهد مع النبي ﷺ عمرة القضية وما بعدها، استشهد في معركة مرج الصفر سنة ١٤هـ في صدر خلافة عمر رضي الله عنهما، أسد الغابة.

(٢) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة، كان نصرانيًا وأسلم سنة تسع من الهجرة وكان كثير التهجد قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن وهو يبكي وهي قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات....﴾ الآية، كان يسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، أسد الغابة.

(٣) خريم بن فاتك بن الأخرم، ينتهي إلى خزيمة الأسدي، شهد بدرًا مع أخيه سبرة بن فاتك، وقيل: أسلم يوم فتح مكة والأول أصح، والحديث الذي رواه ذكره أسد الغابة مرويًا عنه، أسد الغابة.

(٤) في الأصل: العراف، والتصويب من أسد الغابة، وأبرق العزاف، ماء لبني أسد في طريق المدينة من البصرة.

ما هول الجن من الأهوال [١]

فقلت: بيّن لي رحمك الله. فقال:

هذا رسول الله ذو الخيرات   يدعو إلى الجنة والنجاة

يأمر بالصوم وبالصلاة [٢]

قال: فوقع في قلبي الإسلام، فقلت: من أنت أيها الهاتف؟ قال: أنا مالك بن مالك[٣]، إن أردت الإسلام فأنا أكفيك طلب ضالتك حتى أردها إلى أهلك.

قال: فركبت راحلتي وقصدت المدينة فقدمتها في يوم جمعة، وأتيت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فأنخت بباب المسجد وقلت: ألبث حتى يفرغ من خطبته، فإذا أبو ذر قد خرج فقال لي: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك وهو يقول لك: «**مرحبًا، قد بلغني إسلامك فادخل مع الناس**» ، قال: فتطهرت ودخلت فصليت، ثم دعاني رسول الله ﷺ فبايعني وأخبرني بالخبر قبل أن أذكره له. وقال لي: «**أمّا إبلك فقد بلغت أهلك، وقد وفى لك صاحبك**»، فقلت: جزاه الله خيرًا ورحمة. فقال رسول الله ﷺ: «**آمين**».

حديث فاطمة بنت النعمان النجارية:

ومنه ما روي أن فاطمة بنت النعمان النجارية قالت: كان لي تابع من الجن، فكان إذا جاء اقتحم البيت الذي أنا فيه اقتحامًا على من به، قالت: ثم جاءني يومًا فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنعه. فقلت له: ما بالك اليوم لم تصنع صنيعك قبل؟ فقال: إنه قد بعث اليوم نبي يحرم الزنا.

ومنها ما روي عن سلمة بن زيد: أن رجلاً من خثعم قال: كانت خثعم لا

---

(١) في أسد الغابة:

ويحك عذ بالله ذي الجلال   منزل الحرام والحلال

ووحد الله ولا تبالِ   ما هول ذي الجن من الأهوال

(٢) في أسد الغابة:

هذا رسول الله ذو الخيرات   جاء بياسين وحاميمات

وسور بعد مفصلات   محرمات ومحللات

يأمر بالصوم وبالصلاة   ويزجر الناس عن الهنات

(٣) مالك بن مالك الجني، أخرج أسد الغابة خبره في ترجمته جـ٥ صـ٤٧.

تحرم حرامًا، فبينا هم عند وثن لهم كانوا يعبدونه ويتحاكمون إليه هتف منه هاتف يقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام ... ما أنتم وطايش الأحلام

ومسند الحكم إلى الأصنام ... هذا النبي سيد الأنام

أعدل ذي حكم من الحكام ... يصدع بالنور وبالإسلام

مضطهد بالبلد الحرام

قال: فتفرقوا، وصار الشعر حديثهم حتى أتاهم الخبر بمبعث النبي ﷺ، ووقع الإسلام في قلبي، فأتيت النبي ﷺ فأسلمت.

قال محمد - عفا الله عنه -: قد وقعت أبيات من هذا الرجز في حديث عمر رضي الله عنه، وهما حديثان مرويان هكذا.

ما رواه عبدالله بن ساعدة الهذلي:

ومنه ما روي عن عبدالله بن ساعدة الهذلي (١) أنه قال: كنا نعبد سُواعًا، وكانت لي غنم فجربت فسقتها إليه وأدنيتها منه أرجو بركته، فسمعت مناديًا من جوف الصنم يقول: العجب كل العجب - سُدلت الحجب- ورُميت الجنُ بالشهب- وسقطت النُّصب- ونزل خير الكتب- على خير العرب. قال: فسقت غنمي وعدت إلى أهلي وقد بُغضت إلي الأوثان، فجعلت أنقب عن الحوادث حتى بلغني ظهور رسول الله ﷺ بمكة فأتيته فأسلمت.

ما رواه مالك بن نفيع:

ومنه ما روي عن مالك بن نُفيع أنه قال: ندّ بعير لي فركبت نجيبة حتى ظفرت به، فأخذته وانكفأت راجعًا إلى أهلي، فأسريت ليلتي(٢) حتى كدت أصبح، فأنخت النجيبة والجمل وعلقتهما، واضطجعت في ذرا كثيب رمل، فلما كحلني الوسن سمعت هاتفًا يقول: يا مالك يا مالك، لو فحصت عن مبرك العود البارك لسرّك ما هنالك. قال: فثرت وأثرت البعير عن مبركة واحتفرت، فإذا صنم على

(١) عبدالله بن ساعدة الهذلي، ويكنى أبا محمد، روى عن عمر ومات سنة مائة وأبوه ساعدة في صحبته نظر، وقد روي إسلام أبيه في أسد الغابة جـ٢ ص٣٠٦.

(٢) في الأصل: فاستريت ليلة.

صورة امرأة من صفاة[١] صفراء كالورس مجلُوّة كالمرآة، فاستخرجتها ومسحتها بثوبي ونصبتها فاستوت قائمة، فما تمالكت أن خررت ساجدًا لها، ثم قمت فنحرت البعير لها ورششتها بدمه، وسميتها غلاب. ثم حملتها على النجيبة وأتيت بها أهلي، فحسدني كثير من قومي عليها، وسألوني نصبها لهم ليعبدوها معي، فأبيت عليهم، وانفردت بعبادتها، وجعلت لها على نفسي أن أعترها كل يوم عتيرة، وكانت لي ثلة[٢] من الضأن فأتيت على آخرها. وأصبحتُ يومًا وليس لي ما أعتره[٣]، وكرهت الإخلال بنذري، فأتيتها فشكوت إليها ذلك، فإذا هاتف من جوفها يقول: يا مال، يا مال، لا تأس على المال - سر إلى طوِيّ الأرقم، فخذ الكلب الأسحم، الوالغ في الدم، ثم صد به تغنم.

قال مالك: فخرجت من فوري إلى طوي الأرقم، فإذا كلب أسحم هايل المنظرة قد وثب على قرهب - يعني ثورًا وحشيًا - فصرعه، وأنا أنظر إليه. ثم بقر بطنه وجعل يلغ في دمه. قال: فتهيبته، ثم أقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته لم يلتفت إلي، فشددت في عنقه حبلاً ثم جذبته فتبعني، فأتيت راحلتي فأثرتها وقدتها إلى القرهب، فأنختها وجزرته وجعلته عليها، ثم قدتها قاصدًا إلى الحي والكلب يلوذ بي، فعنّت لي ظبية، فجعل الكلب يثب ويجاذبني المرس، فترددت في إرساله ثم أرسلته، فمر كالسهم حتى اختطفها، فأتيته فجاذبته إياها فأرسلها في يدي، فاستفزّني السرور، وأتيت أهلي فعترت الظبية لغلاب ووزعت لحم القرهب، وبت بخير ليلة.

ثم باكرت به الصيد فلم يفته حمار، ولا ماطله ثور، ولا اعتصم منه وعل، ولا أعجزه ظبي، فتضاعف سروري به وبالغت في إكرامه وسميته سُحامًا[٤]، فلبث بذلك ما شاء الله، فإني بذات يوم أصيد به بصرت بنعامة على إدحِيّها[٥] وهي قريبة مني،

---

(١) الصفا: العريض من الحجارة الأملس، جمع: صفاة، يكتب بالألف، فإذا ثني قيل: صفوان، ومنه الصفا والمروة، والورس: نبات أصفر يصبغ به - اللسان.

(٢) في الأصل: ثلاثة، والصواب هنا من نسخة أخرى، والثلة - بفتح الثاء -: جماعة الغنم، وبضمها جماعة الناس.

(٣) العتيرة: شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم، وتطلق على كل ما يذبح للأصنام.

(٤) كأنه اشتق اسمه من لونه الأسحم، والأسحم: الأسود.

(٥) الأدحي والإدحي والأدحية والأدحوة: بيض النعام في الرمل، سمي بذلك لأن النعامة تدحوه برجلها،

فأرسلته عليها فأجفلت أمامه، واتبعتهما على فرس جواد، فلما كاد الكلب يثب عليها انقضت عليه عقاب من الجو فكر راجعًا نحوي.

فصحت به، فما كذب، وأمسكت الفرس، فجاء سحام حتى دخل بين قوائمه، وتنزلت العقاب أمامي على صخرة. وقال: سُحام. قال الكلب: لبيك. قالت: هلكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسلم تنج بسلام، وإلا فليست بدار مقام.

ثم طارت وتبصرت سحامًا فلم أره، فكان ذلك آخر عهدي به.

تفسير ألفاظ من هذا الخبر:

قوله: كالورس. هو نبات يُصبغُ به، ويكون بأرض اليمن.

وقوله: غلاب، هو اسم معدول عن غالبة، مبني على الكسر، مثل كساب وسكاب، وحذام وقطام.

وقوله: طوي الأرقم: بئر مطوية بالحجارة.

وقوله: الأسحم. هو الأسود، وبه سمي الكلب سحامًا، فهو فعال من ذلك.

وقوله: قرْهَب، هو الثور الوحشي المسن.

وقوله: بقر بطنه، أي شقه.

وقوله: وزعت، أي قسمت.

وقوله: نعامة على إدحيتها، أي الموضع الذي فيه بيضها.

وقوله: ما كذب، أي ما توقف ولا انثني.

وقوله: دار مقام، أي دار إقامة.

وقال محمد - عفا الله عنه -: وأكثر الأصنام المعبودة لها قومة من الشياطين ينطلقون عنها ويفتنون الناس بها، فلما صرف الله إلى رسوله نفرًا من الجن فاستمعوا القرآن أسلموا ثم ولوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله وطردوا الشياطين التي كانت تقوم بأمر الأصنام عنها، فمن ذلك ما تضمنه الخبر المذكور آنفًا.

-

ثم تبيض فيه، اللسان.

ما رواه عبدالله بن أبي ذياب في إسلام أبيه:

ومنه ما روى قتادة [١] عن عبدالله بن أبي ذياب [٢] عن أبيه أنه قال: كنت مولعًا بالصيد وكان لنا صنم اسمه فراض، كنت كثيرًا ما أذبح له، ولم أكن أتخذ جارحًا للصيد إلا رمي بآفة، وقل ما أدخل إلى الحي صيدًا حيًا لأني كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك، فلما طال بي ذلك أتيت فراضًا فعترت له عتيرة ولطخته[٣] من دمها وقلت:

فراض أشكو أنكد الجوارح ... من طائر ذي مخلب ونابح
وأنت للأمر الشديد الفادح ... فافتح فقد أسهلت المفاتح

فأجابني مجيب من الصنم فقال:

دونك كلبًا جارحًا مباركًا أعد للوحش سلاحًا شايكا
يفري حزون الأرض والدكادكا

قال: فانقلبت إلى خبائي فوجدت به كلبًا خلاسيًا[٤] بهيمًا عظيمًا، أهرت[٥] الشدقين، شابك الأنياب، شثن[٦] البراثن، أشعر مهول المنظر، فصفرت به فأتاني فلاذ بي وبصبص، فسميته: جياظًا، واتخذت له مربطًا بإزاء فراشي وأكرمته، ثم خرجت به إلى التصيد، فإذا هو أبصر بالصيد مني، وكان لا يثبت له شيء من الوحش، فقلت فيه:

جياض إنك مأمول منافعه ... وقد جعلتك موقوفًا لفراض

فكنت أعتر لفراض من صيده وأقري الضيف، فلم أزل به من أوسع العرب

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي، ويكنى أبا الخطاب، وكان ثقة مأمونًا حجة في الحديث، روى عن كثير من التابعين ومنهم سعيد بن المسيب، وكان يجالس الحسن البصري، توفي سنة ١١٧هـ، الطبقات الكبرى جـ٧ قسم ٢ ص١.

(٢) عبدالله بن أبي ذباب السعدي من سعد العشيرة، من أصحاب رسول الله ﷺ، عاش حتى شهد صفين مع علي، فكان له غناء، الطبقات الكبرى.

(٣) في الأصل: ولطختها، وما هنا من نسخة أخرى وهو الأصح.

(٤) خلاسيًا: مختلطًا بين لونين.

(٥) أهرت الشدقين: واسعهما. والشدق: جانب الفم.

(٦) ششن: غليظ، البراثن: المخالب.

رجلاً وأكثرها ضيفًا إلى أن ظهر رسول الله ﷺ، فنزل بي ضيف كان رآه وسمع منه القرآن فحدثني عنه، فرأيت جياضًا كأنه يُنصت لحديثه.

ثم إني غدوت أقتنص بجياض فجعل يجاذبني ويأبى أن يتبعني فأجذبه وأمسحه، إلى أن عنّ لي تولب يعني جحشًا من حمير الوحش، قال: فأرسلته عليه فقصده، حتى إذا قلت قد أخذه حاد عنّي، فساءني ذلك، ثم إني أرسلته على رأل - يعني فرخ النعام - فصنع مثل ذلك. ثم أرسلته على بقرة ثم على خِشف [1] كل ذلك لا يأتي بخير فقلت:

ألا ما لجياض يحيد كأنما   يرى الصيد ممنوعًا بزُرق اللهاذم

قال: فأجابني هاتف لا أراه فقال:

يحيد لأمر لو بدا لك غيبه   لكنت صفوحًا عاذرًا غير لائم

قال: فأخذت الكلب وانكفأت راجعًا، فإذا شخص إنسان عظيم الخلق قد ركب حمارًا وحشيًا فتربع على ظهره وهو يساير شخصًا مثله راكبًا على قرهب وخلفهما عبد أسود يقود كلبًا عظيمًا بساجور[2]، فأشار أحد الراكبين إلى جياض وأنشد وجعل يقول:

ويلك يا جياض لم تصيدُ؟   اخنس وحد عما حوته البيدُ
الله أعلى وله التوحـــيد   وعبـــده محـــمد السـديد
سُحقًا لفراض وما يكـــيد   قد ظــل لا يبدي ولا يعيد

قال: فَمُلِئتُ رعبًا، وذل الكلب فما يرفع رأسًا، وأتيت أهلي مغمومًا كاسف البال، فبت أتململ على فراشي من آخر الليل فإذا نغمة ففتحت عيني فرأيت الكلب الذي كان الأسود يقوده، وإذا جياض يقول له: أحسب صاحبي يقضان[3]. قال: فتناومت، ثم قصدني فتألمني ورجع إليه فقال: قد نام فلا عين ولا سمع فما عندك؟ قال: أرأيت العفريتين وسمعت ما قالا؟ قال جياض، نعم. قال: إنهما أسلما واتبعا محمدًا وقد سُلطا على شياطين الأوثان فما يتركان لوثن شيطانًا، وقد عذباني عذابًا

(١) الخشف بكسر الخاء وإسكان الشين: ولد الظبي.
(٢) الساجور: القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب.
(٣) هكذا بالأصل وهي بمعنى يقظان، لغة فيها.

شديدًا وأخذا علي موثقًا ألا أقرب وثني، وأنا خارجٌ إلى جزائر الهند، فما رأيك لنفسك؟ قال جياض: ما أمرنا إلا واحد، وذهبا.

فقمت أنظر فإذا لا عين ولا أثر، ولما أصبحت أخبرت قومي بما رأيت وسمعت، وقلت لهم: تخيروا من ينطلق معي إلى هذا النبي من حكمائكم وخطبائكم، فقالوا: ترغب عن دين آبائك؟ فقلت لهم: إذا كرهتم شيئًا كرهته، فما أنا إلا واحد منكم. ثم انسللت منهم فكسرت الصنم، ثم قصدت المدينة فقدمتها ورسول الله ﷺ يخطب، فجلست بإزاء منبره، فعقب خطبته بأن قال: «**بإزاء منبري رجل من سعد العشيرة، قدم راغبًا في الإسلام لم يرني ولم أره إلا هذه الساعة، ولم أكلمه ولم يكلمني قط، وسيخبركم خبرًا عجبًا**»، ونزل فصلى، ثم قال لي: «**ادن يا أخا سعد العشيرة**»، فدنوت، فقال: «**أخبرنا خبر جياض وفراض وما رأيت وسمعت**». قال: فقمت على قدمي فقصصت القصة، والمسلمون يسمعون، فسُر رسول الله ﷺ ودعاني إلى الإسلام وتلا علي القرآن فأسلمت على يديه وقلت في ذلك:

تــبعتُ رســول الله إذ جاء بالهدى ... وخلفــت فراضًــا بــدار هــوان
شــددتُ علــيه شــدةً فتركتــه ... كــأن لم يكــن، والدهر ذو حدثان
رأيــت لــه كلــبًا يقوم بأمــره ... يُهــدّد بالتنكــيل والــرجــفان
فلمــا رأيــت الله أظهر ديـــنه ... أجــبت رســول الله حــين دعاني
وأصــبحت للإســلام ما عشت ناصرًا ... وألقــيت فــيه كلكلي وجراني [(١)]
فمــن مــبلغ ســعد العــشيرة أنني ... شــريت الذي يبقى بما هو فاني [(٢)]

أبو عامر الراهب يستطلع أخبار النبي قبل بعثته:

ومنه ما روى خزيمة بن ثابت [(٣)] فقال: كان أبو عامر الراهب وصّافًا لرسول الله ﷺ قــبل ظهور أمره، وذلك لأن أبا عامر قد كان رغب عن الشرك ووحد الله سبحانه وتعالى وطلب الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وظعن إلى جهات شتى يسأل أهل

---

(١) الكلكل: الصدر. والجران: مقدم العنق.

(٢) أورد ابن سعد في طبقاته هذا الخبر مختصرًا في الوفود ج١ قسم ٢ ص٧٤ ط. التحرير.

(٣) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصاري، صاحب الشهادتين، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها، كان مع علي في صفين والجمل وقتل في صفين سنة ٣٧هـ، أسد الغابة.

الكتابين: اليهود والنصارى عن الحنيفية، فأخبره علماؤهم بمبعث محمد رسول الله ﷺ بملة إبراهيم ونعتوه له.

قال خزيمة: فجلس أبو عامر مجلسًا فيه سادة الأوس والخزرج، فذكر النبي محمدًا ﷺ وعيّن مخرجَه ومُهاجره، ثم وصفه وصفًا بليغًا، فقال له أبو الهيثم (١) بن التيهان القضاعي حليف بني عبد الأشهل، وكان موحدًا يلتمس الحنيفية: يا أبا عامر لو شاهدته ما زدت.

فقال أبو عامر: أجل فوالله لقد وصفه لي الإنس والجن.

فقال أبو الهيثم: هؤلاء الإنس يصفونه لك بما يجدون في كتب الله، فما بال الجن؟ إن هذا لشيء لم تخبرنا عنه بعد فأفدناه.

فقال أبو عامر: إنه ذكر لي عن كاهن باليمن أنه لهج بذكر متوقف الأحداث فتوجهت إليه منفردًا في شهر الله مَنصِل الأسنة، فأسريت في قمراء وغشيني النوم، فما أفقت إلا وراحلتي تعسف مجهلاً حَزْنًا منكرًا فراعني ذلك، وأوجست خوفًا، وتلفتُّ فإذا نيران كالنجوم فنحوتها عسفًا خبطًا حتى دنوت منها، فإذا هي متقاربة قد خفّ بها مصطلون لا يشبهون البشر لهم لغط ولم أر بيوتًا ولا نَعَمًا، فقفَّ شعري، وقامت الراحلة، فتفاجّتْ ورجزت، فألقيت نفسي عنها، وانقضت تلك الأشخاص نحوي، فصرخت بأندى صوتي: أنا عائذ بزعيم هذه الزُّرافات. قال: وإذا وزعة منهم يزعونهم بالقول والفعل، فخنسوا عن قصدي، وأتاني أربعة منهم فحيوني وجلسوا إليّ، وإذا صور مشوهة ومناظر فظيعة، فقال لي أحدهم: مَن الإنسي؟ قلت: رجل من غسان من بني قيلة.

قال: أين نويت؟

قلت: ألست في ذمة وجوار؟

قال: بلى ولا بأس عليك.

فأخبرتهم خبري من فصّه، ثم قلت: إنا معشر الإنس إنما نعتمد الكهان لما

---

(١) أبو الهيثم بن التيهان: هو أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك الخزرجي الأنصاري - شهد العقبة وكان أحد النقباء، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات سنة ٢٦ هـ، وقيل: إنه أدرك صفين واستشهد فيها مع علي وهو الأكثر. أسد الغابة.

يأخذونه عنكم من العلم، وإني واسل بالجوار من قفا منكم لطلبتي رسمًا أن يقضني على كتمه، فأشار ثلاثة منهم إلى الرابع وقالوا: على الخبير سقطت، فخصصته بالمسألة والرغبة، فقال: ما اسمك؟

قلت: أبو عامر.

فقال: نعم يا أبا عامر ونعامة عين، فدونك علم ليس بالمِيْن، أقسم بنا عش القفر الغامر بالقطر الهامر لتُعلمن العباسر الضوامر، إلى أكرم آمر وأنصح ذامر، ولينزلن عن السمر السامر، يا أبا عامر، إن الله قد آسفه هياع دغامر ومياع عوامر، وكأن قد نُدِب هاصر أكاسر وقياصر، وزافى غوايات أعاطر.

قال أبو عامر: فقلت: أملك هذا المندوب؟

قال: كلا بل نبي شرافٌ كريم واف موطأ الأكناف من بني هاشم بن عبد مناف.

قال أبو عامر: فقلت: أراك تنسبه فهل تصفه؟

فقال: أجل، إنه لأزهر وضّاح، ليس بالطويل الملواح، ولا بالقصير الدحداح، إذا نظر رنا أو لاح، وإن أوذي أعرض وأشاح، في عينيه نُجلَة ولا مرة، وشُكْلَةٌ غير مُمغَرة، وبين كتفيه أمرةَ، وهو أمي لا يذبُر السطرة، يأتي بالحنيفية الميسرة، فيسعد به من قاف أثره، سمْع أذني من المجنحة السَّفرة، ثم نهض واستتبع الثلاثة فتبعوه، فلزمت مكاني سائر ليلتي، فلما أصبحت عدت لمطيتي.

تفسير غريبه:

قوله: منصل الأسنة، هو شهر رجب، وكانوا يحرمون القتل والقتال فيه، فكأنما يزيل الأسنة عن الرماح، أو لعلهم كانوا ينزعون الأسنة فيه عن الرماح صونًا لها وللناس كلام يطول في الأنصال ليس هذا موضعه.

وقوله: عسفًا وخبطًا، العسف: السير على غير هدي، وكذلك الخبط.

وقوله: قفّ شعري. القفوف: اليبس، وإنما يريد أن شعره توتد فكأنه يبس من الذعر.

وقوله: تفاجّت، أي: باعدت ما بين رجليها كما تصنع عند الحلاب وعند البول.

وقوله: رجزت، أي: أرعدت، أصابها الرجز وهو داء ترعد له الفخذان والعَجُز.

وقوله: أندى صوتي، أي: أشده وأبعده مطرحًا.

وقوله: زعيم هذه الزرافات، فالزعيم: السيد هنا، والزرافات: الجماعات.

وقوله: وزعة يزعونهم، فالوزع الكافُّ، والوزْعُ: الكف.

وقوله: خنسوا، أي: تأخروا.

وقوله: من بني قيلة، اسم امرأة، وهي أم الأوس والخزرج. قال النبي ﷺ وقد سِيم ما أنف منه: «يأبى الله ذلك وأبناء قيلة»[1]، يعني الأنصار.

وقوله: أين نويت؟، أي: أين قصدت؟.

وقوله: من فصّه، أي: من حقيقته ومظنة صدقه، وهي كلمة يقال: أتاك بالخبر من فصّه بفتح الفاء، وكذلك فص الخاتم، والفصوص رؤوس المفاصل، ومن هاهنا أُخذ.

وقوله: من قفا منكم علمًا، تقول: قفوت الأثر، إذا تبعته، وكذلك قفته أقوفه وهو مقلوب منه.

وقوله: نُعامةُ عين، يقال: أفعل ذلك ونُعْمة عين، ونُعْمى عين، ونُعامة عين سواء.

وقوله: القفر الغامر، هو الذي غَمَره الخلاء والدروس ولا ماء به. وإنما نُلِمُّ من الفسر هاهنا بتعلة كالنهلة [2].

وقوله: العباسر، هو جمع عَبِسرة بالباء وهي الناقة السريعة.

وقوله: أنصح ذامر، الذّمر هو الحض على فعل الشيء بالتوبيخ ونحوه، والرجل يذمر القوم في الحرب، أي يخاطبهم بما يُهيج غضبهم ويستخرج بأسهم ونجدتهم.

---

(١) في النهاية لابن الأثير من حديث سلمان: يمنعك ابنا قيلة، يريد الأوس والخزرج قبيلتي الأنصار، وقيلة: اسم أم لهم قديمة، وهي قيْلة بنت كاهل.

(٢) التعلة ما يعلل به ويسكن، والنهلة: الشرب أولاً، والتعلة من العلل وهو الشرب بعد الشرب، فكأنه يقصد أن التعلة هنا تفيد الارتواء، وكلمة النهلة وردت في الأصل النخلة ولا معنى لها على ذلك.

وقوله: كلام آمر[١]، أحسبه أراد: الكثير من الكلام، يقال: أمر الشيء وأَمَر إذا كثر، ومنه قوله عز وجل: ﴿أمرنا مترفيها﴾ [الإسراء: ١٠] أي: كثرناهم.

وقوله: يُخش العَكِص المغامر، يخشه: أي يذلّله، وحقيقته: أن يدخل في أنفه الخشاش وهو عود يجعل في أنف البعير، والعَكصُ الذي تناهى في سوء الخلق والخلاف، ومثله العكس على البدل. والمُغامر: المداخل في غمرات الأهوال والحروب راكبًا رأسه في ذلك.

وقوله: يفحم عن السمر السامر، السّمر: المحادثة ليلاً، والسّامر: فاعل ذلك، ويُفحمه: يقطعه عن سمره، وكانوا يفتخرون بحسن السمر.

وقوله: آسفه هياعُ دغامر ومياع عوامر، آسفه أي: أغضبه، والهياع: المصايحة والمضاجحة، والدغامر والعوامر: الاختلاط، الواحدة: دغمرة وعومرة، والمياع: الدفاع والقتال، وليس هذا موضع استيفاء القول في هذا وشبهه.

وقوله: هاصر أكاسر وقياصر، إذا ثنيت القضيب أو غيره لتكسره فذلك الهصر، وبه سمي الأسد: هصورًا، والأكاسر: ملوك الفرس، والقياصر: ملوك الروم.

وقوله:نبي شُراف، هو فُعَال من الشرف كالعُظام من العظم والكُرام من الكرم.

وقوله: موطأ الأكناف، هذا مثل يراد به الحلم ولين الجانب[٢]، ومذل الجبابرة ومخذلهم.

وقوله: أزهر وضاح، فالأزهر ما كان على لون النجوم، والوضاح: الأبلج المنير.

وقوله: الملواح، هو المضطرب الخلق.

وقوله: الدحداح، الدحدحة قصر في غلظ.

وقوله: إذا نظر رنا أو لاح، يريد: ليس بحديد النظر، ومعنى رنا: أي نظر

---

(١) وردت في النص السابق: أكرم، والتعبير على ذلك لا يحتاج إلى تفسير.

(٢) في اللسان: الوطئ من كل شيء ما سهل ولان، وفي الحديث: «ألا أخبركم بأحبكم إلي... الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون». قال ابن الأثير: هذا مثل وحقيقته من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل.

نظرًا فاترًا ساكنًا في دوام، ومعنى لاح: أي لمح الشيء لمحًا خفيفًا ثم أغضى عنه.

وقوله: نجلة، هي سعة العين.

وقوله: ولا مرة، يقول: هو أكحل، والكحل سوا منابت حروف الأجفان وهي منابت الهدب ونقيضها المَرهُ وهو بياض ذلك لقلة الهدب وخفة نباته.

وقوله: شُكْلَة غير مُمغَرة، فالشُّكْلَة: مزجٌ من حمرة تكون في بياض المقلة، والممَغّر بالتشديد: المصبوغ بالمغرة، والرواية: مُمْغَرة - بالتخفيف- ولا أعرف هذا الفعل إلا: مغرت ومغّرت، فأما: أمغرت[1] فلا أحفظه، وإنما يريد أن الحمرة التي في بياض مقلتيه ليست شديدة.

وأما قوله: بين كتفيه أمَرَة، والأمَرَة والأمارة سواء، وإنما يعني خاتم النبوة، والأمرة والأمار والأمارة سواء.

وقوله: لا يَذْبُر السِّطرة، الذبْر والذبُر: الكتابة، والسِّطرة والسُّطور سواء.

قوله: من قاف أثره، أي أتبعه وقد سلف.

وقوله: المجنحة يعني الملائكة ذوي الأجنحة عليهم السلام.

وقوله: السَّفرة هم الرسل الواحد سافر.

وقوله: عدت لمطيتي أي رجعت من حيث جئت.

قال محمد عفا الله عنه: نتبع تفسير غريب هذا الخبر العجيب بحديث عن أبي عامر الخبيث حرصًا على عائدة إكمال الفائدة.

وهو أن أبا عامر هذا الخبيث حُرِم العمل بما علمه من أمر النبي ﷺ، وكان قد ترهب ولبس المسوح وزعم أنه على الملة الحنيفية، فلما ظهر النبي ﷺ بمكة لم يهاجر إليه ولا حض عليه، بل كان يثبط عنه ويخذل إلى أن قدم ﷺ، فأتاه فقال له: يا محمد بأي دين بعثت؟

قال: «**بالحنيفية التي كنت تطلبها وتزعم أنك دائن بها**».

فقال: يا محمد إنك خلطتها بغيرها.

---

(١) في اللسان: أمغرت الشاه والناقة وأنغرت، وهي ممغر: احمر لبنها وإذا حلبت فخرج مع لبنها دم من داء بها.

فقال النبي ﷺ: «**لا بل أتيت بها بيضاء نقية**» ، ثم ذهب ليقوم، فقال له النبي ﷺ: «**أين ما كنت تزعم من انتظاري وتخبر به عن صفتي مما أخبرك به علماء اليهود والنصارى؟**» ، فقال: لست الذي وصفوه لي.

فقال له النبي ﷺ: «**الكاذب أماته الله طريرًا وحيدًا**». قال: آمين.

وسار إلى مكة فترك ترهيبه وحنيفيته التي يزعم، وعبد الأوثان وخرج من قريش إلى أحد، ثم عاد إلى مكة فكان بها إلى أن فتحها الله على رسوله وأخزى الله الشرك وأهله، ففر إلى الروم فتنصر ومات هناك طريدًا وحيدًا بدعوة رسول الله ﷺ.

ما رواه عباس بن مرداس في إسلامه:

ومنه ما روي عن عبدالرحمن بن أنس السُّلمي: أن العباس بن مرداس السلمي [(١)] كان في لقاح له وقد قام قائم الظهيرة، فطلع عليه راكبُ نعامة بيضاء في ثياب بيض. فقال له: يا عباس بن مرداس، ألم تر أن السماء بُثّت أحراسها وأن الخيل شدت أحلاسها وأن الحرب جُرّعت أنفاسها، وأن الذي بعث بالبر والتقى، ونزل عليه الوحي من السماء، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء هو صاحب الناقة القصواء.

قال عباس: فنهضت مرعوبًا وقد راعني ما رأيت وسمعت حتى جئت وثنًا لنا يقال له: ضمار، كنا نعبده ونُكَلَّم منه، فكنست ما حوله فتمسحت به، فإذا صائح يصيح من جوفه فيقول:

قل للقبائل من سُلَيْم كلها ... هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد قبل أن ... نزل الكتاب على النبي محمد

إن الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال: فخرجت إلى قومي فأخبرتهم بما رأيت وسمعت وأحرقت ضمارًا، ثم نهضت في ثلاثمائة إلى رسول الله ﷺ، فلما رآني تبسم وقال: «**يا عباس حدثنا بما رأيت وسمعت**» ، فقصصت عليه القصة، فقال: «**صدقت**» ، وأسلمت أنا وأصحابي.

---

(١) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية، أسلم قبل فتح مكة بقليل، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وكان ينزل البادية، ثم قدم دمشق، وبنى بها دارًا، أسد الغابة.

قال محمد عفا الله عنه: وقد صدرت هذا الصنف ببيتين من هذه الأبيات في حديث عمر ﷺ، وهما حديثان مرويان على ما ذكرناه.

حديث هامة الجني:

ومنه ما روي عن أنس بن مالك [(١)] ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ وهو بظاهر المدينة، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه. فقال النبي ﷺ: «**إنها لمشية جني**» ، ثم سلم، فقال النبي ﷺ: «**إنها لنغمة جني**». فقال الشيخ: أجل يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**من أي الجن أنت؟**» فقال: يا رسول الله، أنا هامة [(٢)] بن الهام بن لاقيس بن إبليس. فقال له النبي ﷺ: «**لا أرى بينك وبينه إلا أبوين**» ، قال: أجل يا رسول الله، قال: «**كم أتى عليك من العمر؟**» قال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت حين قتل قابيل هابيل غلامًا ابن أعوام، فكنت أتشوف على الآكام وأصطاد الهام، وأفسد الطعام وأورِّش [(٣)] بين الأنام.

فقال النبي ﷺ: «**بئس العمل**».

فقال: يا رسول الله، دعني من العتب، فإني ممن آمن مع نوح ﷺ، وعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني، وقال: إني والله لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

ولقيت هودًا فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني. وقال: إني والله لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

ولقيت إبراهيم الخليل فآمنت به وكنت بينه وبين الأرض إذ قذف به في المنجنيق وكنت معه في النار إذا ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب

---

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ ، وكان يتسمى بذلك ويفتخر به، شهد بدرًا وما بعدها، خدم النبي ﷺ عشر سنين، وكان الرسول يدعو له بالبركة فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، توفي وعمره بضع وتسعون سنة، وقيل: بل أربى على المائة، أسد الغابة.

(٢) الهامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس أورده جعفر في الصحابة وذكره أسد الغابة، وأورد خبره المذكور مسندًا إلى أنس بن مالك.

(٣) التوريش: التحريش. يقال: ورّش بين القوم وأرش إذا حرض بعضهم على بعض وأفسد ما بينهم، اللسان.

فسبقته إلى قعره، ولقيت موسى بن عمران بالمكان الأثير، وكنت مع عيسى ابن مريم، فقال لي: إن لقيت محمدًا فاقرأ عليه السلام.

قال أنس: فقال النبي ﷺ: «**وعليه السلام، وعليك يا هامة... ما حاجتك؟**».

قال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الإنجيل، فعلمني القرآن.

قال أنس: فعلمه النبي ﷺ وقُبض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا، فلا نراه والله أعلم إلا حيًا.

ومنها ما روي أن ربيعة [١] بن أبي براء قال: أخبرني خالي فقال: لما أظهر الله علينا رسوله بحنين انشعبنا في كل مشعب لا يلوي حميم على حميم، فبينا أنا في بعض الشعاب رأيت ثعلبًا قد تحوّى عليه أرقم، والثعلب يعدو عدوًا شديدًا، فانتحيت له بحجر فما أخطأه وانتهيت إليه، وإذا الثعلب قد سبقني بنفسه، وإذا الأرقم قد تقطع فهو يضطرب، فقمت أنظر إليه فهتف هاتف بصوت ما سمعت أفظع ولا أهول يقول: تعسًا لك وبؤسًا ؛ فقد قتلت رئيسًا، ووترت بئيسًا. ثم قال: يا داثر يا داثر، فأجابه مجيب من العُدوة الأخرى: لبيك لبيك. فقال: بادر بادر إلى بني الغدافر فأخبرهم بما صنع الكافر.

قال خالي: فناديت: إني لم أشعر وأنا عائذ بك فأجرني.

فقال: كلا والحرم الأمين، لا أجير من قاتل المسلمين وعبد غير رب العالمين.

قال: فناديت، إني أسلم.

فقال: إن أسلمت سقط عنك القصاص، وأكسبك الخلاص، وإلا فلا مناص.

قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فقال: نجوت وهُديت، ولولا ذلك لرديت، فارجع من حيث جئت.

قال: فرجعت أقفو أدراجي فإذا هو يقول: امتط السّمعَ الأزلَ يعلُ بك التل، فهناك أبو عامر [٢] يتبع الفلّ.

---

(١) ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري الكلابي، أبو براء، المعروف بملاعب الأسنة – الإصابة.

(٢) أبو عامر كنية عدة من الصحابة، منهم أبو عامر الثقفي، وأبو عامر الأنصاري، وأبو عامر الأشعري، –

قال: فالتفت فإذا سِمعٌ كالأسد النهد فركبته ومر ينسلّ حتى انتهى إلى تل عظيم فتوغل فيه إلى أن تسنمه، فأشرفت منه على خيل المسلمين فنزلت عنه وصوبت في الحدور نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلى فارس كالفالج الهائج، فقال: ألق سلاحك لا أم لك، فألقيت سلاحي فقال: ما أنت؟

فقلت: مسلم.

قال: فسلام عليك ورحمة الله.

قلت: وعليك السلام والرحمة، من أبو عامر؟

قال: أنا هو.

قلت: الحمد لله.

قال: لا باس عليك، هؤلاء إخوانك المسلمون، أما رأيتك بأعلى التل فارسًا؟ فأين فرسك؟

قال: فقصصت عليه أمري، فأعجبه ما سمع مني، وسرت مع القوم أقفو آثار هوازن بهم حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه.

تفسير ألفاظ من هذا الخبر:

قوله: تحوّى عليه أرقم، أي استدار عليه، والأرقم: حية فيه خطوط كأنه رُقِمَ، وتزعم الأعراب أن الثعالب مطايا الجن، ويكرهون اصطيادها، ويقولون: من صاد ثعلبًا أصيب في ماله بمكروه.

وقوله: سبقني بنفسه، أي هلك قبل أن أصل إليه.

وقوله: لولا ذلك لرديت، أي هلكت، والردى: الهلاك.

وقوله: أقفو أدراجي أتبع طرقي التي جئت فيها، والأدراج السبل.

وقوله: السِمع الأزل، السِّمع: سبع تلده الضبع وأبوه ذئب، وهو من أخبث السباع وأجرئها.

وقوله: الفل، هم المنهزمون.

وغيرهم – راجع أسد الغابة – وقد أورد الدميري هذا الخبر نقلاً عن كتاب المصنف، نقله في باب السمع.

وقوله: النهد، هو العظيم الخلق.

وقوله: ينسل، أي: يعدو، والنسلان: نوع من أنواع العدو وهو في الأصل للذئب والكلب وما ضاهاه.

وقوله: كالفالج، هو البعير العظيم الذي له سنامان.

قال محمد عفا الله عنه: إني قد أنهيت كتابي هذا إلى آخره، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك على يد العبد الفقير الشيخ جري بن الشيخ عباس، نهار السبت حادي عشر رجب الفرد سنة ستة عشر ومائة وألف [1].

---

(١) جاء في نهاية نسخة أخرى: قال الشيخ ﷺ: وقد انتهيت في كتابي هذا إلى حده، والحمد لله حق حمده، وصلواته على محمد رسوله وعبده، وعلى آله وأصحابه القائمين بسنته من بعده، تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه في اليوم المبارك السادس عشر من شهر الله المحرم سنة....

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

خير البِشَر بخير البَشَر ﷺ

جَمَعَ مؤلفُ هذا الكتاب الشيخ ابن ظفر الصقلّي المكّي الحموي (ت ٥٦٥هـ) مُلَحَ البشارات المقدّمات بين يدي مبعث سيدنا المصطفى ﷺ، وهي أربعة أصناف:

فالصنف الأول: ما جاء من ذلك في كتب الله عز وجلّ مجيئاً لا مُنكر له.

والصنف الثاني: ما جاء على ألسنة الأحبار.

والصنف الثالث: ما جاء منه عن الكهّان.

والصنف الرابع: ما جاء منه عن الجانّ.

وسمّاه «خير البِشر بخير البَشر»، والبِشر (بكسر الباء) جمع بشرى والبشارة نفسها، وقد يراد بها ظهور البِشر كالاستبشار، وقد يراد بها أيضاً هيئة البِشر.

وقد اعتنى الشيخ علي أحمد عبد العال آل ناصر بهذا الكتاب وشرحه ونقّحه وجعل له زيادات، فجعل الفصل الأول تمهيداً يشتمل على أدلّة من العقل والمنطق والقرآن على أن النبي ﷺ من ذرّية آدم عليه السلام. والفصل الثاني يتحدث عن آدم أبي البشر عليه السلام. والفصل الثالث يبيّن أن نبيّنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين. أما الفصل الرابع والأخير فهو يشتمل على كتاب ابن ظفر الحموي.

ISBN 978-2-7451-5257-2

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هاتف +961 5 804810/11/12
فاكس +961 5 804813
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107

info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
DKI
www.al-ilmiyah.com